امين يوسف غراب

Amly
http://arabicivilization2.blogspot.com

# يوم الثلاثاء

www.alkottob.com

www.alkottob.com

## الاهـــــداء

« الى الاستاذ الجليل »
« الدكتور أحمد عمار »
« عضو المجمع اللغوى »

« أمين يوسف غراب »

Amly
http://arabicivilization2.blogspot.com
www.alkottob.com

## مقدمـــــة

من عام مضى قدمت لكتاب من كتبى وهو : « آرض الخطايا » فقلت :

« لئن كانت النظم والاحكام هى مبعث »
« اطمئنان السادة ·· فلا اقل من ان »
« تكون الكتب والاقلام ·
هى مصدر انصاف العبيد »

وقد تحقق ما قلت ·· وتحقق سريعا ·· وسريعا جدا ·· واقتص الله لنا نحن « العبيد »من السادة الذين طالما داسونا بالنعال ، هذا القصاص العادل الذى لا يتأتى الا من لدن ولى حميم ·

ومما لا شك فيه ان « القلم » قد ساهم فى هـــذه العدالة بنصيب . اذ لولا الاقلام التى صارعت الظلم ·· والكتب التى حاربت الفساد · والقصص والروايات التى كان فى ظاهرها، التبذل والترف والنعيم ·· وفى باطنها المذلة والشـــــقوة والهوان . والتى كانت ترسم بخطوط واضحة صور الفسق والفجور والدعارة ·· لتصور فى خطوط اوضح اثار تلك النعال تداس بها رؤوسنا نحن « الفلاحين » كمـــــا كانوا يسموننا ···

أقول لولا هذا القلم ·· وهذا الكتاب · وهذا القصص · ما كان ذلك السيف الذى بتر الظلم من اساسه ··

والان ·· وقد آن لهـذا الكتاب « يوم الثلاثاء » ان يولد وفجر « العبيد » يتلألأ فى الافق نورا · فانى اقدمه الى القراء فأقول :



www.alkottob.com

ان اللحظات التى تلهبنا فيها سياط الظمأ • هى فى الخطوات التى بيننا وبين النهر • اما اذا بلغنا النهر فنكون قد ارتوينا •
ونحن ما زالت السياط تلهب ظهورنا •••
••• لاننا لم نقطع تلك الخطوات •••
••• لاننا لم نبلغ النهر •••
ترى متى •• سنقطع تلك الخطوات ؟!
ترى متى •• سنبلغ النهر ؟!
ترى متى •• سنرى صفاء الجدول ؟!
ترى متى •• سنسمع الى خرير القدير ؟!
ترى متى •• سنصغى الى هدير الموج ؟!
هذا ما ارجوه •••
وارجو أن اتحدث عنه باذن الله فى الكتاب القادم • فاصف ولأول مرة فى حياتى : عذوبة الماء •• ولذة الارتواء •

« أمين يوسف غراب »



www.alkottob.com

www.alkottob.com

# سارق الأهرام

www.alkottob.com

ـ من فضلك تذكرة لمصر ٠
ـ الشباك الثانى ٠
٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠
ـ من فضلك تذكرة لمصر
ـ هنا خطا الزقازيق والمنصورة
ـ وأين شباك القاهرة ؟؟
ـ يفتح السادسة صباحا

فلمعت عيناه فجأة وتدهورت أنفاسه ، وهو يتمتم بشفتين مقرورتين

ـ اقام آخر قطار ٠ ؟؟
ـ من عشر دقائق فقط ٠

فأرجع يده وهى تهتز بالخمسة عشر قرشا التى ترتعش فى يده ، ومن ثم وقف وسط الميدان الفسيح ، ينظر حينا الى المصابيح الشاحبة التى تتراقص هنا وهناك ، وحينا الى السيارات والمركبات التى تسرع مجتازة الميدان الرحب تفر من هنا وتفر من هناك بركابها وكأنها ثعابين هائجة فى الليل ٠٠٠ انه يريد أن يفر هو أيضا ، كما تفر هذه المركبات ، وكما تسرع السابلة ٠٠ ولكن الى أين يفر ؟؟ والى أى مكان يذهب ؟؟ ٠٠٠ انه لا يعرف أحدا فى هذا البلد ٠ ولم تطأ قدمه مدينة طنطا من عشرين عاما ٠ ، منذ اليوم الذى كان يقطن هو وامه فى حارة البرجاس خلف ترعة الجعفرية ٠٠ ثم انتقلا بعد ذلك فى سبيل العيش الى القاهرة ٠٠ وما زال هذا السبيل من يومها الى وقتنا هذا عسيرا غير ميسور ، وغير مطمئن ، ولا مستقر ٠ وهو لم يأت الى طنطا فى هذا اليوم المشئوم زائرا ، أو ليعود صديقا أو قريبا ، وانما أتى اليها سعيا خلف السبيل نفسه ٠ فقد قيل له ان ( الجرنان ) يقول أن فى طنطا شركة كبيرة فى حاجة الى عمال يعملون بها ، وأنها ستدفع أجرا طيبا ٠

وفكر فى الذهاب الى طنطا ، لعله يلتحق باحدى وظائف هذه الشركة ٠ ولعل الله بعد ذلك تائب عليه ، من مذلة الفاقة



www.alkottob.com

التى يعانيها هو وأولاده وزوجـــة فى القاهرة ·· ولعل الله أيضا تائب عليه بعد ذلك ، من تلك الرؤية التى لم يعديحتملها، وهى رؤية أطفاله الصغار ، عند ما يعوزهم الرغيف فيتضورون جوعا أمام عينيه ، فلا يســـعه الا ان يواسيهم بما يملك · بالدموع التى يذرفها ، حتى تعبت عيناه وعين زوجه من كثرة الدموع ، كما تعبت قدماه من كثرة التجوال فى الطرقات لعله يجد لهم ذلك الرغيف الذى يسك الرمق ، ويـــكفكف الدموع ، ويهدهد انة المحروم ووجيعة الجائع · ولـــكن الذى عاقه عن السفر الى طنطا بمجرد سماعه هذا الخبر الذى نشره (الجرنان) هو أجر السفر الى هناك ، ولكنه اليوم استطاع ان يظفر به ، فقد اقترضت له زوجه من الاسرة التى تجاورها ، أو التى تخدم عندها سرا ، دون أن تشعره بذلك ، مبلغ خمســـين قرشا · أعطته منها خمسة وثلاثين ، وابتاعت هى بما تبقى ما يســد رمق الاطفال ويسعدهم فى غيبة أبيهم يوما أو بعض يوم ·

وسافر الى طنطا ، وأنفق أجر الذهاب خمسة عشر قرشا ، وذهب الى الشركة فقيل له انتظر الى المســـاء ، حتى يحضر المدير ، فانتظر · وعضه الجوع فأنفق خمسة قروش ، وحرص على الخمسة عشر قرشا الباقية ، حرصه على تحقيق آماله ، لانها أجر العودة · ولم يحضر المدير الا متأخرا فى هذا اليوم · ولم يحضر أيضا الا ليقول له تلك الجملة التقليدية التى ملت أذناه من كثرة سماعها « نأسف »

مر هذا كله بمخيلته سريعا ، وهو فى مكانه من الميـــدان الفسيح ينظر الى المركبات انتى تفر من هنـا وتفر من هنـاك كأنها ثعابين هائجة فى الليل · والى المصـــابيح الشاحبة التى تتراقص أمام عينيه خافتة متهافتة كآماله وأحلامه ·· بيد ان هذا كله لم يكن يعنيه فى قليل أو كثير ، بقدر ما تعنيه تلك الكارثة التى حلت به بعد أن فاته القطار ·

ان كل ما معه هو الخمسة عشر قرشا أجر السفر الى القاهرة وهو ان مسها فسوف لا يذهب الى القاهرة ، لا الليلة ، ولا غدا ولا حتى بعد أيام ·· يا لله حتى القدر يأبى الا أن يسخر منه



www.alkottob.com

هذه السخرية المريرة ... لماذا جاء الى طنطا ما دامت تلك الكلمة الخالدة ـ نأسف ـ تنتظره . ؟! ولماذا يتأخر المدير فلا يحضر الا بعد آخر قطار ؟؟ .. حتى الفكرة الصائبة التى واتته سخر منها القدر هى الاخرى فقد ذهب الى الطريق الزراعى ، لعله يجد سيارة نقل تقله الى القاهرة ، ونو بالخمسة عشر قرشا التى معه . فلم يجد سيارة واحدة تقبل ان تجعله قطعة من متاعها ، أو جوالا من اجولتها .. حتى بيوت الله التى كانت فيما مضى تفتح أبوابها طوال الليل لتغيث أمثاله أحيانا . ابى القانون الأن يغلقها فى الليل . كأن القانون قد أدى مهمته ، ولم يبق أمامه سوى بيوت الله ، يحدد مواعيد فتحها واغلاقها .

وحانت منه التفاتة ، فرأى بصيصا من نور ينبعث من مكان بعيد ، فذهب اليه ولما اقترب منه ، عرف أنه مقهى بجوار المحطة ، يضم فى الليل بعض الحمالين والحوذية ، وان أبوابه تظل مفتوحة طوال الليل . وبالرغم من أن هذا سره كثيرا ، الا أنه تردد طويلا فى الاقدام . اذ لابد له من أن يمس الخمسة عشر قرشا ، ونو فى قرش واحد ، هو ثمن فنجان القهوة ، فى هذا المقهى الشعبى . ولكن ماذا يعمل فى ثمن التذكرة ؟؟ وأجهده التفكير ، وأخيرا أقدم وجلس على مقعد فى المقهى ، وسوف لا يحرم عند شباك التذاكر من أن يجد انسانا كريما يمده بالقرش الناقص ..

ومر بائع « السميط » وشعر بأنه جائع ، وانه سوف لا يحتمل آلام الجوع الى الغد .. وفكر .. وأجهده التفكير . وتمنى لو أن المقاهى تبيع السميط كما تبيع القهوة والشاى ، اذن لطلب ـ واحد سميط ـ بدل القهوة ودفع نفس القرش الواحد . وهم بأن يقول لنفسه شيئا اخر ، ولكن بائع السميط كان قد أدرك من نظراته اليه ، أنه يناديه من قلبه . فتقدم اليه ووضع أمامه سميطة وهو يقول سريعا بلهجته التقليدية المعروفة .. « سميط .. وجبنة رومى .. وطعمية .. وبيض » فلم يطلب شيئا من ذلك وانما تمتمت شفتاه بصوت لا يكاد يبين وهو يتناول السميط بيده وقال « شوية دقه » .



www.alkottob.com

بيد أنه لم يكد يلفظ هذه الكلمة ، حتى شعر بيد ضخمة تلقى على كتفه ، وبصوت أجش يناديه باسمه مرحبا · فالتفت فاذا به مرقص افندى صراف المركز · الذى كان يقطن معهم فى بيت واحد فى حارة البرجاس · خلف ترعة الجعفرية منذ عشرين عاما ·· وأدهشته المفاجأة · وأدهشه أكثر ان مرقص افندى لم يزل على قيد الحياة ، وانه ما زال يسعى بين الناس ، كما كان يسعى بينهم منذ ثلاثين عاما ·· وأدهشه اكثر من ذلك كله عند ما تأمله ، ان مرقص افندى ما زال هو لم يتغير ، ولم تستطع الايام ان تفعل فيه شيئا ، فجثته القصيرة انضخمة كما هى ، بل زادت قصرا عن ذى قبل ، لانها زادت عرضا وضخامة وترهلا ، وان لحيته الكثة المغبرة التى تلتف حول وجهه الكبير كجلد قنفذ ميت ، ما زالت هى هى زرقاء باهتة أشبه ما تكون بقطعة نحاسية أكلها الصدأ وأحدث بها نتوءا وفجوات ·· حتى منظاره الزجاجى الملوث دائما ، ما زال ملوثا ، وما زالت أسلاكه النحاسية السوداء هى لم تتغير ·· حتى الجلباب الازرق الذى يرتديه ، خيل اليه انه هوهو لم يبدله منذ ثلاثين عاما ، مثله كمثل طربوشه الذى أحال العرق لونه من احمر فاقع ، الى اسود مغبر ، حتى غدا مثله كمثل الحقيبة الجلدية التى يحملها دائما تحت ابطه ، والتى يملؤها كل يوم عشرات المرات ، ليفرغها كل يوم عشرات المرات ايضا، فى خزانة ـ الحكومة ـ هى هى لم تتغير ولم يبدلها الزمن ·

التقطت عيناه كل هذه الصور سريعا ، وهو يصافحه بحرارة وشوق ، كما التقطت عيناه ايضا اشياء اخرى كثيرة لمحتاها ، وهو يلقى بجثته الضخمة على المقعد · حدث كل هذا وبائع السميط فى مكانه ينتظر انقرش · ومد الشاب يده ليناوله له · ولكن مرقص افندى الذى يعرف بائع السميط جيدا ، كما يعرف غيره من سكان الحى جيدا ايضا ، ابتدره قائلا :

ـ ماذا معك يا سيد ابراهيم ·· ؟؟

ـ سميط ·· جبنه ·· بيض ·· طعميه ··

ـ من كل بستان زهرة ·· اكلت الشهية يا شيخ ابراهيم



www.alkottob.com

واختلجت نظرات الشاب ، وهو يرقب فى ذعر ، يدابراهيم وما تضعه على الطاولة من بيض وجبن وطعميه ، واربع سميطات وكانت الخمسة قروش التى سيعطى منها البائع القـــرش ما زالت تهتز فى يده • وظن ابراهيم انه سيعطيها اليه فقال له على الفور فى ادب سخيف مفتعل •

ـ ثمانيه صاغ ونص يا بيه •

ولم يجب مرقص افندى بشىء • لان لسانه كان قد دفن فى طيات لقمة كبيرة ، وبيضة كاملة ، وقطعة من الجبن حشرها فى فمه مرة واحدة • وراح يلوكها كما يلوك الثور حزمة كبيرة من البرسيم •• وارتعدت اصابع الشاب وهى تمتد الى عشرة القروش ، وتنتزعها انتزاعا من حصنها الحصين ، وتقدمها الى ابراهيم بائع السميط •

واكل مرقص افندى مريئا ، وشرب هنيئا • ومن ثم راح يتحدث مع حسين ، ويجتران معا ذكريات الماضى البعيد •ايام كان والد حسين على قيد الحياة ، وكانت الاسرة جميعهـــا تقطن نفس البيت ، الذى ما زال مرقص افندى يقطن غرفته الارضية الى الان من ثلاثين عاما • من يوم ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها ، وعاد مرقص افندى من « الشام » بعد أن حارب الترك ، وحارب الالمان ، واشتغل هناك بالتجارة ، وكاد يصبح من كبار الاثرياء ، لولا ان خانه الحظ فانهـــار فجأة المارك الالمانى ، الذى كان قد جمع منه مبالغ طائـــلة • وبذلك خسر كل ما كان يملك ، وعاد الى ارض الوطن بخفى حنين ، يبحث عن عمل يقتات منه ، الى ان حط الرحال فى طنطا ، واشتغل منظما لحسابات بعض المحال التجارية ، ثم صرافا اهليا لمتجر كبير • ثم صرافا حكوميا بعد ذلك • كما قص عليه حسين مأساته هو الاخر من عشرين عاما ، وكيف انه تزوج وانجب اولادا ، واضاف بذلك الى قائمة الاشـــقياء فى الدنيا ، ثلاثة اطفال صغار ، انصفهم القـــدر فجعلهم على رأس القائمة • حتى اتى الى حادث الليلة ، والخمسين قرشا التى استدانتها زوجه ، والكلمة الخالدة التى سمعها من المدير



www.alkottob.com

ـ تأسف ـ والقطار الذى فاته وهو يتمنى ان لو كان ادركه !!

كل ذلك ومرقص افندى يستمع اليه ، وهو يقطع معه الزقاق الضيق الموصل الى داره دون ان ينبس · ويسير الهوينا وكأنه ينتزع قدمه انتزاعا من الارض من فرط ضخامته، وضخامة بطنه المنتفخ امامه ، وكأنه بطن بقرة عجوز · حتى بلغا البيت الضيق ، الذى لم تغيره الايام هوالاخر · حتى ان حسينا وهو ينظر اليه ، ظن انه لم يفارقه الا من لحظات · فكل شىء فيه لم يتغير ، حتى الكلاب المتجمعة امامه فى الليل ، تلعق من المياه القذرة ، وتأكل نفايات الاطعمة الفاسدة ، وامعاء السمك التى تقذف من الابواب والنوافذ فتتجمع امام الدار ، ما زالت كما هى لم تتغير ، وما زالت رائحتها العفنة تعم الزقاق كله·

··· ومد مرقص افندى يده الغليظة الى قلب الحقيبة الجلدية ، واخرج مفتاحا حديديا كبيرا ، احدثت سلسلته الضخمة السوداء صريرا قابضا يبعث فى الصدور وحشة وكآبة ، وفتح مرقص افندى الباب واجتاز الدهليز القصير المظلم · ومد يده الى فجوة فى حائط متهدم ، وتناول منه مفتاحا حديديا اخر ، وفتح به باب الغرفة التى يسكنها من ثلاثين عاما كاملة ·

ونظر حسين الى محتويات الغرفة ، واستطاعت عينه ان تلم باثاثها سريعا على ضوء الثقاب الذى يشعل به مرقص افندى المصباح الزيتى الصغير ، ورأى حسين كل شىء كما هو لم يتغير ·· السرير السفرى الصغير باعمدته الحديدية المتآكلة وملاءته الزرقاء الملوثة ·· وحشيته التى تآكلت وبرز قطنها الاسود على الجانبين كأنه امعاء خنزير ·· كما رأى (البوريه) تعلوه الرخامة السوداء الخالدة · عليها بعض فتات من الخبز وبعض رؤوس البصل ، وعدة زجاجات فارغة بجوارها قلة كسر عنقها بعد ان ادركتها الشيخوخة ثم طربوش قديم متآكل من غير زر · وطبق زجاجى صغير كسر جانبه ،وبقى الجانب الاخر وبه قطعة من الجبن · وبجوار هذا كله نصف بطيخة ، وضعت فى قلبها سكين ضخمة كبيرة · وقد انعكست



www.alkottob.com

كل هذه المرئيات على وجه مرآة البوريه المتآكلة المطموسة فغدت خيالاتها على ضوء المصباح الخافت ، اشبه بخيالات التماثيل الاثرية فى متحف من متاحف القرون الغابرة ٠ ٠
وحاول ان يجلس فلم يجد مقعدا ، فجلس على حافة السرير ، فى حين بدأ مرقص افندى ينزع ثيابه على مهل ، وقد بدت هى الاخرى قديمة ، كمحتويات الغرفة سواء بسواء ٠ ثم فتح احد ادراج البوريه واخرج جلبابا من غير اكمام ليرتديه حسين للنوم ٠ ولكن حسين فضل ان ينام كما هو ، واعاد مرقص افندى الجلباب الى مكانه ٠ وهم ان يغلق الدرج ثانية ٠ ولكن عين حسين الفاحصة كانت قد سبقته الى قلب الدرج ،ولمحت شيئا غريبا وتعلقت به ٠ فقد رأت ثلاث رزم من الاوراق المالية من فئة عشرة الجنيهات ، داخل الدرج مخبأة بين طيات الثياب ٠٠ وعلى الرغم منه تسمرت نظراته عليها وعلى الدرج الذى يضمها ٠ وحاول ان يغض من بصره ولكنه لم يستطع ، وكأن مرقص افندى ادرك ما يجول بخاطره ، فقال له مرحبا وهو يغلق الدرج ٠

ــ والله شرفتنا يا سى حسين ٠

ومن ثم تمدد بجواره على السرير الصغير ، فرد حسين التحية بصوت خافت ، وهو يتمدد بجانبه ايضا ويغمض عينيه ٠ ٠

وما هى الا لحظات حتى كان شخير مرقص افندى ،يترامى الى اذنى حسين كأنه خوار ثور وحاول حسين ان ينام ولكنه لم يستطع ، وحاول ان يغمض عينيه ولكنه لم يستطع ايضا، ان شيئا لا يدريه كان يشغله عن كل شىء ٠٠ ولكن ما هو هذا الشىء ؟ انه هو نفسه كان لا يدريه على وجه التحديد ٠٠٠ اهو ثمن تذكرة السفر التى سيحتاج اليها فى الصباح ؟؟ ٠ اهو قلق زوجه واطفاله عليه هذه الليلة التى غاب فيها ٠ ؟؟ اهو شخير مرقص الذى يزعج اذنيه ؟؟ ٠٠ أم هو تلك الرزم المالية التى وقعت عيناه عليها مصادفة فى درج « البوريه » انه لا يدرى شيئا من ذلك ، ولكن الذى يدريه ان عينيه فتحتا على الرغم منه وامتدت نظراتهما على الرغم منه ايضا فى الظلام



www.alkottob.com

الحالك الى الدرج ·· وتسللت الى قلبه ورأت الاوراق المالية كأنما تراها في النور ·· ولما تأملتها طويلا وامعنت فيها النظر واتته فكرة ، ولكن سرعان ما انتفض جسمه لها وهو يبعدها عن خاطره خائفا مضطربا تتمتم شفتاه ببعض الفاظ من القرآن كان يحفظها ··

ولما رددها شعر بشيء من الهدوء · ومد أنامله المضطربة الى عينيه فأقفلهما غير ان نظراته المتهافتة لم يعقها هذا عن الاستمتاع والرؤية ، فظلت هناك تحوم حول الدرج ، كما تحوم حدأة في السماء حول شيء على الارض ··

ولكن مرقص افندي ماذا دهاه ، حتى يضع مبلغا ضخما كهذا في درج من غير قفل ، وفي غرفة كهذه ، تكاد تكون متهدمة متداعية ؟؟ ·· انه مبلغ لا يستهان به ··· وامتدت نظراته الى الدرج مرة اخرى فرأت عجبا ·· رأت ثلاث رزم كبيرة تضم الواحدة منها أكثر من مئة ورقة من فئة عشرة الجنيهات ·· انها في مجموعها تساوي أكثر من ثلاثة آلاف جنيه ··· ثلاثة آلاف جنيه ·· يا للعجب ·· وفكر طويلا ·· وواتته فكرة · ولكنه أسرع مرتعدا فاغمض عينيه وزم شفتيه ومن ثم راح يردد في الليل سرا بعض كلمات من القرآن كان يحفظها ···

وشعر بشيء من الهدوء · فمد يده واغلق عينيه ·· ولكن ترى لمن هذه النقود ؟؟ ·· انها للحكومة ·· وماذا ستصنع بها الحكومة ·· ؟ ! تنفقها على المرافق العامة ، واصلاح الطرق ·· وردم البرك ·· وانشاء الكباري ·· وتخطيط الحدائق ··· ورصف الطرقات لرفاهية الشعب وراحته ·· ولكن أليس من الخير أن يأكل الشعب أولا ·· ؟ أليس الافضل من ردم البرك ورصف الطرقات وتخطيط الحدائق ·· ان يطعم الجائع أولا ·· ان تكفكف عبرات الشعب قبل كل شيء ··· ان ··· وهم بأن يواصل حديثه لنفسه ، بيد ان نظراته امتدت الى شيء قطع عليه تفكيره فجأة · وجعله ينهض جالسا في ذعر كمن اصابته طعنة مفاجئة ·· فهي لم تمتد هذه المرة

الى الدرج ·· ولم تمتد الى النقود التى فيه ·· ولا الى الغرفة وما فيها ·· وانما امتدت الى بعيد جدا ·· الى حيث أطفاله الصغار حول زوجته فى الليل كالقطط الضريرة تتضور جوعا ·· ورأى عبده · وهو طفله الرضيع وكلما شد شفتيه الحالمتين على ثدى امه الجاف الشبيه بالخرقة البالية ، ولم تجد فيه شيئا ، تعالى صراخه وعويله فى الليل · فلا تصنع أمه أكثر من أن تسكب بعض الدموع ، فتتساقط على وجهه المضطرب كأنها تهدهده بها الى حين ··

وأزعجته هذه الرؤية · واضطربت لها فرائصه ، وراحت عيناه تقذفان فى عتمة الليل شيئا كأنه ألسنة اللهب ·

وحانت منه التفاتة فرأى مرقص افندى بجثته الضخمة ، وبطنه المنتفخ الذى يعلو ويهبط كأنه قربة كبيرة تمتلىء لتفرغ ··· ونظر اليه طويلا هذه المرة وتأمله مليا ·· ولكن اذا سرق هذا المبلغ مثلا ، فماذا يكون مصير مرقص افندى ··؟؟ السجن لا محالة ·· السجن ! واغمض عينيه وزم شفتيه · ومن ثم راح يردد فى سره بعض كلمات من القرآن كان يحفظها ···

ولكن هل يختلف السجن كثيرا عن هذه الحياة التى يحياها مرقص افندى ·· ؟؟

أليست ـ انزنزانة ـ هناك ، بأحسن من هذه الغرفة الرطبة المظلمة التى تتصاعد منها هذه الرائحة الكريهة ·· رائحة المياه القذرة ، وامعاء السمك التى تلقى أمامها ·· ؟ ثم أليس الطعام هناك بأحسن من الطعام هنا ·· ؟؟ انه سيكون هناك ألوان مختلفة ·· فول ·· عدس ·· لحم أحيانا ·· اليس هذا بأفضل من لون واحد يأكله مرقص افندى ٢٩ يوما فى الشهر ، لا لشىء الا ليكتنز المال ويجمعه هكذا رزما رزما · ؟ ·· ولكن لمن يكتنز مرقص افندى هذا المال ·· ؟ انه لا زوجة له ·· ولا أولاد ·· ولا حتى أقارب من بعيد أوقريب ·· ؟؟ فهل لو سرق هو هذا المال الان هل يكون قد ارتكب اثما ·· ؟ واذا كان ذلك ترى هل ينجو من الجريمة ·· ؟؟ سوف يتهمه



www.alkottob.com

مرقص افندى لا محالة ، سواء ان كان ماله او مال الحكومة ..
وسوف تثبت عليه التهمـــة .. لأن ابراهيم بائـع السميط سيتعرف عليه .. ومن يدرى ربما تضبط النقود معه وبذلك يخرج مرقص من السجن ، ويزج به هو فى غياهبه .. واذا كان ذلك ، فماذا سيكون مصير زوجه . وأطفاله الصغار .. ؟ انهم يتضورون جوعا ، وهو بجوارهم يسعى طليقا ، فماذا يكون الحال اذا زج به فى السجن ؟؟ .

وتعالى شخير مرقص افندى وراح يترامى الى اذنيه كخـوار ثور مذبوح .. وواتته فكرة .. فكرة جديدة هذه المرة .. بيد أنها جعلته ينتفض فى مرقده كالطـــير بلله الماء ثم تصلبت اساريره .. وتقلصت عضلات وجهه ، وراحت عيناه تقذفان فى الظلام شيئا كأنه ألسنة اللهب .. فارتاع ، وأغمض عينيه خائفا ، وزم شفتيه ومن ثم راح يقرأ بعض كلمات من القرآن كان يحفظها ..

وأحس بأنه فى حاجة الى جرعة ماء ، يبل بها شـــفتيه الجافتين . فمد يده وهو فوق السرير ، ليتناول القلة من فوق البوريه ، فاصطدمت انامله بشىء تناوله . فاذا به سكين .. ولم يدر لماذا تحسسها بأنامله ولا لماذا ازعجه ان وجدها مرهفة حادة النصل .. وهم بأن يردها الى مكانها بيد ان عينيه اصطدمت بعنق مرقص افندى الضخم المترهل . فنظر اليـه طويلا . والى الهواء الذى يتصاعد فى حشرجة مزعجة ويقذفه منخاره فى قوة . حتى لكأنه فوهة أتـــون يتلظى .. وما أن رآه حتى ارتعدت فرائصه ، وألقى السكين من يده ،واغمض عينيه ، وزم شفتيه .. محاولا ابعاد هذه الفكرة الخبيثة عن خاطره .. وسره جدا انها ابتعدت قليلا .. فأسرع وأدارظهره الى الحائط وهو يقرأ بعض كلمات من القرآن كان يحفظها .. حاول ان ينام ولكنه لم ينم .. لانه أحس بحاجته الى جرعة ماء يبل بها شفتيه الجافتين .. فاستدار ثانية ومد يده الى القلة .. ولكنه بدلا من ان يتناولها تناول السكين ..

ولم يدر لماذا راح يتحسسها مرة أخرى بأنامله .. ولم يدر



www.alkottob.com

أيضا لماذا سره جدا ان رآها مرهفة حادة النصل ·· وحانت منه التفاتة الى عنق مرقص افندى ·· فتأمله ·· وتأمله طويلا جدا هذه المرة ·· وواتته فكرة فارتعدت فرائصه وراح يتلفت مذعورا ··· وفجأة وقفت شعرات رأسه ·· وتقلصت أساريره وراحت عيناه فى الليل تقذفان شيئا كأنه السنة اللهب ، وهو يضغط بيديه على مقبض السكين ·· ويضغط ·· ويضغط · ولم يلق بها الا عندما سقط على الارض شيء ثقيل · ظنه فى أول الامر مرقص افندى ·· ولكنه تبين فيما بعد انه رأسه فقط فاستند الى الحائط ·· واستراح قليلا ·· ولما استرد بعض أنفاسه · انصرف · الى الطريق يستنشق نسمات الفجر الندية حتى بلغ المحطة ··

ـ من فضلك تذكرة لمصر ·

ـ الشباك الثانى ·

· · ·· · · · · ··

ـ من فضلك تذكرة لمصر

ـ هنا خط الزقازيق والمنصورة ·

ـ وأين شباك القاهرة ؟؟

ـ الرابع

· · · · · · · · · · · · ·

ـ من فضلك تذكرة لمصر

ـ ما هذه ؟؟

ـ عشرة جنيهات ·

ـ انها مارك ألمانى



www.alkottob.com

# صراع إلى الأبد

www.alkottob.com

... يا عسكرى

.... وترامى الصوت الى أذنيه الكبيرتين كأصداء حلم كئيب فى الليل فلم يحفل به . وظل فى وقفته المتراخية ، منقيا برأسه الضخم ، ووجهه الكبير الصامت على صدره العريض المكدود ، مرتكزا براحتيه المفرطحتين على مؤخر بندقيته التى يذود بها عن الامن .

... انت يا عسكرى .

... وترامى الصوت الى اذنيه مرة ثانية ، وأحس هذه المرة بما فيه من وضوح وغلظه ، تشبه غلظة الرؤساء وهم يلقون عليه الاوامر فى المكتب ، او فى الطابور .. فجاهد نفسه حتى فتح عينيه المتعبتين ، ثم رفع رأسه الكبير المنهك وما ان رأى « الست » فى شرفة الكابين ، حتى قفز من مكانه مذعورا كمن لدغته عقرب ، وشد على ذراعيه المتراخيتين ، وحياها تلك التحية العسكرية التى تعلمها منذ عشرين عاما . وتعلم معها كيف يجعلها تدك الارض تحت قدميه ، وهو يقول بصوته المرتعش الاجش الذى ملأ به فمه مرة واحدة .

ـ افندم حضرة الست

ـ اسمك ايه ؟

ـ عبد ربه حسن ابو تور يا افندم

ـ انت المعين هنا لحراسة الكابين ؟

ـ صدرت الاوامر والتعليمات بذلك يا افندم

ـ طيب ما تبقاش تنام ، وخد بالك كويس ..

ـ جميع الاوامر مطاعة يا أفندم

وهم بأن يقول شيئا آخر ، ولكنها كانت قد انصرفت من شرفة الكابين تجمع أطراف ـ روبها ـ الخفيف الذى انساب على جسدها العارى ، فكان عليه أشبه بنسيج رقيق على مصباح باهر الضياء . فشيعها بنفس التحية التى دكت الارض تحت قدميه . وعاد الى وقفته بجوار الكابين يهمهم بشفتيه الغليظتين فى غضب ، لان حضرة الست شرفت الكابين اليوم لأول مرة ، ولم يفطن الى مقدمها ، ولم يضع نفسه تحت



www.alkottob.com

تصرفها كما صدرت له التعليمات بذلك ٠

وقد ضايقه هذا كثيرا ٠ لدرجة انك لو رأيته وهو يزفر فى ضيق ، ويزم شفتيه فى غضب فيتراقص شـــاربه الطويل المتدلى ، ثم تأملته وهو فى بذلته العســـكرية ، وطربوشـــه الشاحب وحذائه الاجرب الضخم الشبيه برأس ثور ميت ، لحدثتك نفسك بأن الطبيعة انما هيـــأته من البـداية لهـذه الوظيفة ، كما كانت تهيىء فيمامضى اغوات القصور لحراسة نساء الامراء والسادة المترفين ٠

وظل كذلك يلفظ أنفاسه المحترقة من شـــدة الغيظ ٠ محاولا جهده ان يبعد عنه تلك الاطراقة الخبيثة التى تلم به من حين الى آخر ، فتلهيه عن كل شىء ، حتى عن حضـــور الست ، وراح ينظر الى ما حوله من جمال متناثر على الشاطىء أو مستلق على الرمال ٠ ولكن عينه المتعبة لم تستطع كعادتها ان تميز شيئا ، فقد اختلطت عليها المرئيات ، وبدت أمامهـا الصدور العارية ، والقدود الفارعة ، والاعطاف الســـكرى ، كخيالات تافهة يختلط بعضها ببعض ، وما هى الا لحظـات قصار حتى انطفأ ذلك الشعاع الخافت الذى كان ينبعث من عينيه الضيقتين ، وعاودته تلك الاطراقة الخبيثة التى تلهيه عن كل شيىء ، حتى عن الاوامر والتعليمات وحضـور الست ٠ فألقى برأسه الثقيل على صدره المكدود ، ومن ثم غـــاب عن دنياه ٠

٠٠٠ يا عسكرى ٠

وترامى الصوت الى أذنيه كأصداء حكم كئيب فلم يحفل به ٠٠

٠٠٠ انت يا عسكرى ٠

ـ افندم حضرة الست

ـ لاحظ الكلب جيدا حتى يتناول غذاءه

ـ جميع الاوامر والتعليمات مطاعة يا افندم ٠

وشيعها ببصره حتى توارت بجسدها العارى الا من ذلك المايوه الارجوانى الذى يتألق تحت الشمس، وغابت فى الماء ٠ وما أن حدث هذا حتى رجع الى ما كان فيه من صمت واغفاء



www.alkottob.com

لم يشبه سوى تردد انفاسه الخافتة من منخـــاريه ، فتروح تداعب بين الحين والحين شاربه الطويل المتدلى · بيد لم يلبث كذلك طويلا هذه المرة فقد أحس فجـــأة بشيء غريب يداعب منخاريه فى رفق · ومن ثم نفذ الى خياشيمه فأطبق عليها ، فحرك يده وهو فى اغفاءته ، ومسح بها على شاربه وكأنه ينعم بحلم لذيذ · ثم عاد الى اطراقته ثانية · بيد ان هذا الحلم الجميل لم يفارقه ، بل ظل يداعبه دعابة حلوة لذيذة ، ففتح عينيى متلذذا · وما ان مد نظره الكليل بعض الشيىء حتى رده غير مصدق ما رأى ·· ولكن الحلم ما زال يداعبه فى اليقظـة أيضا ، ففتح عينيه جيدا هذه المرة ، فوقعتا على وعاء كبـير يفيض بألوان الطعام انشهى ·· شرائح من الضأن ·· قطع من الدجاج ·· ألوان أخرى لم يعرف لها اسما · ورأى فيما رأى الكلب الكبير الضخم فى شرفة الكابين · وقد ربض أمـــام الوعاء كالليث الهصور ، يأكل من هذه الطيبات فى هدوء وأمن واطمئنان ·

وكأنه لم يصدق عينيه فعاد وفتحهما جيدا مرة أخرى · ولما تأكد من أن الذى يراه حقيقة · سحب نظراته فى رفق عن الوعاء ·· وعن الكلب أيضا · بيد ان عينه الماكرة الخبيثـــة عادت على الرغم منه فألقت بنظراتها الفاحصة على الكلب مرة أخرى ·· ثم على شريحة كبيرة شهية فى قلب الوعاء ·

··· ولكن هذا الكلب الضخم ، لماذا يأكل هكذا فى هدوء يكاد يشبه الاحجام ·· ؟ لماذا لا يطبق على ما فى هذا الوعاء مرة واحدة فيلتهم ما فيه التهاما · ؟ ثم يروح بعد ذلك يلعق ما بقى فى قلبه من ادام شهى ، تنفذ رائحته هكذا الى الخياشيم فيشيع فيها احساسا جديدا مفعما باللذة ·

أهو متخم الى هذا الحد ·· ؟ حد العزوف عن شرائح الضأن وصدر الدجاج ؟؟

واذا كان هذا هو الغذاء الذى يقدم للكلب ·· ترى ماذا يكون الغذاء الذى يقدم للست ؟؟

وأغمض عينيه وتمتم وهو يمسح شفتيه اللزجتين بلسانه



www.alkottob.com

الجاف .. أرزاق ..

وعاد وفتح عينيه ، ولكن على نفس الـــوعاء وما فيه من طيبات . وحلا له ان يعد شرائح اللحم .. واحد .. اثنين .. ثلاثة .. ودون ان يقصد نقل قدمه خطوة .. اربعة .. ثم نقلها خطوة أخرى .. خمسة ..

وفجأة رأى نفسه أمام الكلب وجها لوجه .. ولم تشـغله ضخامته ، ولا أنيابه الطويلة المدببة الشبيهة بأسنة الحراب، عن رائحة الشواء اللذيذة التى تكالبت خياشيمه عليها فى قوة وعنف .

ومد نظراته مرة أخرى الى قلب الوعاء ، فالتقت مصـادفة بنظرات الكلب اليه فتأملها . وسره انه لم يلمس فيها شيئا من الغضب . ولا من التربص .. ولم يعرف لماذا سره هـذا كثيرا جدا ، حتى أنه شق شـفتيه اللزجتين عن ابتسـامة عريضة وهو يمد طرف اصبعه الى الوعاء ، ويراقب فى حذر أنياب الكلب جيدا . ثم عاد فرد اصبعه مبللا بسائل الادام الشهى ودون ان يحس مسح بها على شفتيه .. وما ان اختلط لعـابه بذلك السائل اللذيذ ، حتى راح يلعـق اصـابعه بلسـانه ، ويعتصرها اعتصارا بين شفتيه .

وحدثته نفسه بأن يعاود الكرة . فمد يده مرة أخرى .. ولكن الى رأس الكلب لا الى الوعاء . وراح فى رفق يتحسسها بأنامله وكأنه يتحسس قلبه بين جنبيه . وأطربه جدا ان رأى الكلب يبادله نفس الشعور ، حتى لكأنه يقول له بعينيه وهو ينظر اليه .. ـ كل ـ ولكنه لم يأكل ..

وأحس الكلب بما يبدو فى عينيه من خوف وعدم اطمئنان .. فترك له الوعاء واقعى بعيدا ملقيا له ظهره . وانتهز هو هذه الفرصة المواتية ، ومد أنامله سريعا واختطف قطعة كبيرة من اللحم حشرها حشرا فى فمه ، ثم ابتلعها مرة واحدة .

ومد أنامله مرة أخرى فالتفت اليه الكلب ، ولكن دون ان يتحرك من مكانه . ولما رأى يده تقترب من الوعاء ، عاد فأدار له ظهره راضيا .



www.alkottob.com

وسره هذا سرورا لا حد له · فقد أمن الان شر هـــذه الانياب الطويلة ·· وتناول قطعة أخرى ، وحشرها أيضا فى فمه ، ولكنه هذه المرة لم يبتلعها سريعا فقد أراد ان ينعم بلذة شهيتها وهو يلوكها فى فمه ، بيد أنه فجأة ازدردها سريعا ، كما يزدرد الانسان جرعة كريهة من الدواء · ولو استطاع ان يبصقها لفعل · فقد سمع صوتا من خلفه ينادیه ·

ـ يا عسكرى ··

ـ افندم حضرة الست ·

ـ هل تناول الكلب غذاءه ؟؟

ـ كل شيىء تمام يا افندم ·

وهم بأن يقول لها شيئا آخر · ولكنها كانت قد مدت يدها الناعمة فأمسكت بالطوق الذى فى عنق الكلب ، وانصرفت معه الى داخل الكابين · يداعب النسيم نسج روبها الرقيق الذى يتألق على جسدها العارى ·

وعاد هو الى مكانه بجوار الكابين · وعاودته تلك الاطراقة الخبيثة التى تلم به كلما انفرد بنفسه · ولكنها هذه المرة لم تكتنف عقله أيضا كالعادة · ونم تخدر أحاسيسه كما تعود كلما المت به · بل راح يرسل بصره القصير الى المرئيات التى تمر أمامه شاحبة حائلة كالخيالات فى الليل · ثم امتـــدت نظراته بعض الشيىء الى ما وراء هذه الخيالات · وراح يفكر فى صمت تفكيرا ، لم يعرف كيف يحدده او يحصره فى نطاق معين · بل لم يعرف بالذات ما هو هذا الشيىء الثقيل عـلى نفسه ، الذى يفكر فيه هذا التفكير المضنى الذى جعله يغيب عن كل شيىء حتى عن مرور الزمن · فلم يفطن الى نفسه الا وهو متكوم فى داره بالليل · يجلس القرفصاء بجثته الضخمة أمام الطبلية ـ وينظر بعينيه المتعبتين الى ما عليها من الارغفة الجافة السوداء ، واعواد الفجل المتناثرة ·· ورؤوس البصل الملقاة بجانب قطعة صغيرة من الجبن القريش ·

ولاحظت زوجته أنه على غير عادته هذه الليلة · وأنه يعانى فى نفسه الكثير من الضيق · فسألته وهى تجلس فى مكانه من



www.alkottob.com

الطبنية بعد أن فرغ هو من عشائه .
– فيم تفكر يا عبد ربه .. ؟؟
– فى الله يا خديجة .

ثم استلقى على فراشه الخشن ، منتفخ البطن كالثور المختنق وبعد حين غابت عيناه فى فجـــوتين مبللتين بشيىء يشبه الدموع . ومن ثم تعالى شخيره فى هدأة الليل .

وفى الصباح عند ما اتخذ مكانه بجوار الكابين كالعادة ، شعر فجأة بشيىء من الابتهاج لانه استطاع ان يعرف مصادفة ذلك الشيىء الذى كان يفكر فيه طوال الليل ، وان يحصره فى نطاقه المعين ، وذلك عندما ألقى على نفسه عفوا هذا السؤال .

... هل حضرة الست ستشرف الكابين كل يوم ؟؟ ... وهل سيشرف معها أيضا كلبها العزيز .. ؟؟ وهل اذا شرف .. ترى هل ســـيتناول غذاءه مرة أخرى ، كما تنـــاوله بالامس ؟؟

وهم بأن يظفر بالجواب الذى يريحه ، لولا أنه رأى الست مقبلة تتضوع جمالا وفتنة ، ومن خلفها الكلب يختال تيها بجسده الضخم ، وأنيابه الطويلة المدببة ، يزين عنقه طوقه البراق . فانتصب سريعا فى وقفته ، وحياها تلك التحيـة التى تدك الارض دكا تحت قدميه ، فلم ترد عليـــه تحيته ، وانما تركته وانصرفت الى الكابين ، ومن ثم الى الشاطىء . وما هى الا لحظات قصار حتى احتواها الماء . وبقى هو فى مكـانه ينظر الى الكلب حينا . والكلب ينظر اليه حينا آخر ..

وأحس رغبة شديدة فى ان يقترب من الكلب .. وان يداعبه ويلاطفه .. ولكن ترى هل ترضيه هذه المداعبة ، أم تغضبه ؟؟ وان هى اغضبته .. هل من سبيل الى ارضائه ؟؟ .. وفكـر طويلا .. وأحس الكلب بما يجرى فى خاطره . فاقترب منه وراح هو يداعبه ، ويدور حوله مبصبصا له بذنبه الطـويل مرة ، ومرة يتحسس يديه وملابسه .. ولم يكتف بذلك بل امعن فى ميله اليه ، فقفز على صدره ، وألقى بمخلبيه فى حنان كبير على كتفيه ، ومن ثم راح يداعب وجهه الكبير بأنفاسه ..



www.alkottob.com

وسره هذا وأثلجته الفرحة التى غمرته ، فألقى بالبندقية من يده ، وأخذ يمسح براحتيه على ظهره الاملس الطويل ويتحسس شعره الناعم · وفجأة شعر برغبة قوية فى ان يضمه الى صدره ، وأن يعانقه عناقا حارا وان يقبله بين فكيه، لولا أنه سمع فجأة ذلك الصوت الرقيق يناديه من خلفه ·

ـ يا عسكرى

ـ افندم حضرة الست ·

ـ راقب الكلب جيدا حتى يتناول غذاءه ·

وقبل ان يجيب بشىء ، أو يفرغ من تحيته العسكرية ، كانت قد وضعت الوعاء للكلب فى الشرفة وانصرفت ·

وتمدد الكلب أمام الوعاء كالاسد الهصور · ولكنه لم يأكل ولم يلتهم ما فيه التهاما · وانما راح ينظر فى حنان كبير الى العينين المتعبتين التى تكالبت نظراتهما على ما فى قلب الوعاء من شرائح الضأن ، ولحم الدجاج · وبعض الالوان الاخرى التى لا يعرف لها اسما ·· وبعد حين سحب نظراته المتهافتة عن الوعاء وألقى بها على عهنى الكلب الذى ينظر اليه · وأحس أن الكلب يقول له اقترب ·· فاقترب خطوة ·· ونظر الى الكلب مرة ثانية ، واقترب خطوة أخرى ·· ومد أنامله المرتعشة وتحسس بها رأس الكلب ، وكأنه يتحسس قلبه بين جنبيه ، ثم التقط قطعة من اللحم وابتلعها ·· وعندها بدأ الكلب يأكل معه ، بيد أنه لم يأكل اليوم كما أكل بالامس · بل اكتفى بقطعة واحدة من اللحم لاكها بين فكيه ، ومن ثم ترك له الوعاء بما فيه وأقعى بعيدا ، وراح الرجل يأكل فى نهم ·· وراقته قطعة كبيرة من صدر دجاجة سمينة ونظر اليها مبتهجا يتلمظ ، ومد أنامله ليلتقطها · بيد ان يده ارتدت فجأة مذعورة ترتعش · فقد أحس دبيب أقدام فى الشرفة ، فانكفأ سريعا الى مكانه ليخفى ما تورط فيه · غير ان الكلب كان أكثر ذكاء من الاثنين ، اذ قفز سريعا الى الوعاء وراح يلعق ما بقى فيه ··

وسر « الست » وأثلجها كثيرا أن الكلب أتى على ما فى



www.alkottob.com

الوعاء جميعه على غير العادة وعقدت العزم على ان تضاعف له الراتب فى الغد .. وقد فعلت .. وزيداللحم منرطل ونصف الى رطلين . وصدر الدجاج من صدر الى صدرين .. وكان الكلب أكثر من صاحبه فرحا بهذه الزيادة التى ستحقق لصديقه الانسان متعة كان يحس تألق أمانيها فى عينيه المتعبتين .. أما هو فكان اكثر ابتهاجا بالامرين معا .. صداقة الكلب التى توطدت . وزيادة هذا الراتب الذى فاض عليه وعلى صاحبه ، حتى أنه اصبح يود لو اشرك فيه انسانا آخر يحبه .. وذكر هذا الانسان وهو يأكل .. ذكره طويلا، وشعر برغبة شديدة لو انه شاركه هذه السعادة وكان قد أكل حتى امتلأ . ونظر فرأى الوعاء وما زالت به بقايا كثيرة من هذه الطيبات . ودون ان يفكر أخرج منديله ( المحلاوى ) الكبير من جيبه . ودس فيه قطعتين من اللحم . وأخرى بقيت من صدر دجاجة سمينة .

وفى الليل ذهب الى داره فرحا مسرورا ، وكأنه يحمل كنوز الدنيا فى جيبه . وقال لخديجة مداعبا وهو يدس لها الكنز فى يديها .

ـ لقد جئت لك بشىء ثمين يا خديجة ..

وما أن فضت المنديل ورأت ما فيه ، حتى برقت عيناها بريقا غريبا ، وغمرتها الفرحة ، وهى تقول له ضاحكة .

ـ ومن أين هذا الخير يا عبد ربه . ؟؟

فقال وهو يبادلها ضحكا بضحك ، وينظر الى وجهها الذى تورد فجأة :

ـ من الخواجا .. لكى .. لكى .. كلى يا خديجة .

وهم بأن يقول لها شيئا آخر ، ولكنه أحس لأول مرة ان عينيه المتعبتين قد تفتحتا فجأة على نور قوى ، يكشف عن دقائق المرئيات . ورأى فيما رأى صدر خديجة العريض الناهد . وكأنه يرى جماله واستدارته لأول مرة . وشعر بأنه فى حاجة الى مزيد من النظر ، ليسبر غور هذا الجمال ، فرفع يده ومد أصابعه ، ومن ثم راحت أنامله تعبث بشىء



www.alkottob.com

ثمين فى الظلام ·

وفى الصباح شعر بابتهاج لا حد له ، فقد استيقظ من نومه صحيحا معافى على غير العادة · وشعر لأول مرة ببهجة الحياة تدب فى كيانه · وتملأ جوانحه سرورا وسعادة ومرحا وسره أكثر من هذا كله · ان العلة الخبيثة التى كانت تلازم عينيه ، فتحيل المرئيات أمامه على الشاطىء الى خيالات تافهة ، قد زايلته · وأصبح يرى دقائقها واضحة مجلوة · كما رأى بالامس صدر خديجة ·· وأرسل الطرف الى الامام فرأى أشياء كثيرة لم يكن قد رآها من قبل ، اثلجته وأشعرته بالغبطة والسرور ، وهو يتأملها ويدقق فيها ، ويرى بعينى رأسه أسراب الغواني تروح وتجيء على الشاطىء عاريات ·· وبهرته الفتنة العارية ، فراح ينقل عينيه من صدر الى صدر ومن ثدى الى ثدى ·· ومن ردف الى ردف · وفجأة استقرت عيناه على شىء كأنه عامود من نور يخرج من الماء · ورأى جسدها العارى يخب على الرمال · وكلما غاصت قدمها الجميلة فى الرمل · تأودت كالغصن ، وتضوعت كالزهر ، وتثنت كالنسيم · وفتح عينيه جيدا فرأى ـ حضرة الست ـ وهى تقبل على الكابين ، تعكس الشمس الغاربة عسجدها ، على جسدها العارى ، فتحيل كنوزه الى جمرات تتقد فى عينيه ·· وراعه الجمال الذى طالعه ·· وروعته الفتنة التى أيقظته · وهم بأن يمد عينيه مرة أخرى ، الى الجذوة المتقدة · ولكنها كانت قد توارت ومن خلفها الكلب الذى استقبلها فرحا مداعبا · يقفز حينا على صدرها العارى ·· وحينا يحتضن خصرها الواهى · وهى طروب تضاحكه وتلاعبه · حتى دلفت معه داخل الكابين ترتدى ثيابها ·

وأطربه هذا كثيرا · لأنه جعله يطمئن كل الاطمئنان الى نفسه ، والى انوعاء الذى يفرغ كل يوم ليمتلىء كل يوم ·· ولما أحس السعادة تغمره وتفيض عليه · شعر برغبة قوية فى أن يلقى ببصره الى بعيد ·· بعيد جدا ·· الى ما وراء هذا الكابين الفخم · وغرفته هذه المغلقة أبوابها ·· الى ما وراء



www.alkottob.com

هذا البحر ، الذى تصطرع أمواجه ، وكأنها النار التى تصطرع فى كيانه ، حتى لتكاد تحيل جسده الى جذوة تتقد جمراتها ...

ونظر .. نظر الى بعيد جدا ... الى ما وراء الكابين .. وتأمل كل شىء .. وهم بأن يقول لنفسه شيئا ، ولكنه لم يستطع .. فوقف يرقب بعين محمومة قرص الشمس وهو يغرب ويغوص رويدا رويدا فى لجة الماء .. ودون ان يفطن الى شىء .. او الى نفسه أقبل الليل . واكتنف الشاطىء الظلام ولفه مع الكابين ، بكساء داكن من الصمت والوحشة ، فلم يعد يسمع غير همسات الموج ، تنبعث الى اذنيه من بعيد ، ... وفجأة تذكر شيا هاما ... تذكر أن التعليمات قالت له ـ اذا أقبل الليل ، فلا يقف فى مكان واحد ، وانما عليه ان يتنقل بين الجهات الاربع ـ ومن ثم راح ينفذ التعليمات بدقة . ويدور حول الكابين فى الليل ، كما يدور الثور المعصوب العينين فى الساقية .

وظل كذلك الى أن تعبت قدماه فوقف ليستريح ... ومصادفة رأى أمامه شيئا جميلا فتطلع اليه ، رأى شعاعا ضئيلا ينبعث من ثقب صغير .. فعرف أنه يقف أمام الباب . وان التعليمات تحرم عليه ذلك . فخجل من نفسه وهم بأن ينصرف .. ولكن انشعاع الضئيل الذى ينبعث من الثقب الصغير ، كان فى عينيه حلوا ، فتطلع اليه مرة ثانية . وأحس هذه المرة ، ان للنور فى عينيه طعما شهيا ، يماثل فى لذته تماما طعم شرائح الضأن وصدر الدجاج فى فمه .. ففتح عينيه جيدا ، محاولا ان يغترف بهما الشعاع كله . وتقدم خطوة دون ان يفطن ، ثم خطوة أخرى دون ان يفطن أيضا ، ووقف أمام الباب ، ينظر حينا الى النور الذى ينصب فى عينيه لذيذا شهيا ، وحينا الى ما تعكسه نظراته الملتهبة من شواظ على النور فتحيله الى نار تحترق .

وفجأة أحس دوارا شديدا لا قبل له باحتماله ، فأغمض



www.alkottob.com

عينيه ، واسند راسه الملتهب الى الباب ومرت لحظات . لحظات هائلة لا يدرى اطالت ام قصرت . وانما الذى يدريه انه اسيقظ فجاة من غفوته هذه على صوت كان له دوى الرعد فى اذنيه . فقد سقطت البندقية من يده على الارض . فاحدثت هذا الدوى الذى ارعبه ، فانكفا عليها سريعا ، ليلتقطها ويفر هاربا . بيد أن قدمه خانته فسقط جسده الضخم على الباب الذى لم يحتمله ، فانفتح على مصراعيه ومن ثم قذف بجثته الثقيلة الى قلب الغرفة كما يقذف الانسان بحجر كبير . والتفتت - الست - خائفة ترتجف وهى فوق السرير مستلقية . وأرسلت صرخة كبيرة ، احدثت دويا هائلا فى الليل . زادته رعبا وخوفا . فاسرع جاحظ العينين : يلم شتات جسده المتناثر على الارض ، ليفر به من هذا الشر المستطير ؛ بيد أن الباب كان قد ارتد من تلقاء نفسه . ولم تعرف انامنه الخائفة المرتعشة اين مكان المزلاج ، فوقف مبهورا جاحظ العينين ، لاهث الانفاس .

وحانت منه نظرة الى الكلب الضخم الذى كشر عن انيابه ، واقبل عليه متحفزا كالليث الهصور يزود عن عرينه ، ويدفع عن لبؤته . ولكنه لم يباغته بالاذى بل وقف امامه ينظر اليه والشرر يتطاير من عينيه . وكانه يقول له - انج بنفسك ايها الخائن - وهم بان ينجو بنفسه ولكنه لم يعرف ؛ فراح ينظر اليه مرتاعا وانامله المرتعشة تعمل مرة اخرى فى الباب ؛ لعله يجد له مخرجا ، ولكنه لم يجد وروعته رؤية الكلب المفترس الذى اقبل عليه متنمرا ، فاسرع اليه هو وركله بحذائه الضخم ركلة اوجعته . وفجاة انقلب الكلب الى ليث هائج ، وانقلب الانسان ايضا الى وحش مفترس ، يدافع عن حياته فى قسوة وعنف . وهب الكلب صارخا فى وجهه صرخة مفزعة ، محاولا ان يغرس انيابه فى بطنه المنتفخ الذى يعلو ويهبط امام عينيه . فدفعه عنه بذراعيه القويتين ؛ دفعة جنونية القت به بعيدا . ولكنه ارتد اليه كالسهم ، وقفز الى صدره ، وانشب مخالبه فى كتفيه وغرس انيابه الطويلة المدببة فى صدره ، ثم جذبه اليه جذبة قوية ؛ فتمزقت ثيابه ، وبدا جسده عاريا ، تنزف منه الدماء بغزارة . وثار الوحش الآدمى . وثار ايضا الحيوان المفترس . واشتد الصراع بينهما بصورة ترتعد لها الفرائص .

ونظرت المراة الى الدماء التى تنزف من صدر الرجل وكتفيه وذراعيه وتسيل على ارض الغرفة فتحيلها الى حمرة قانية . ونظرت ايضا الى راس الكلب ، وفكيه ولسانه وعينيه ، وقد طمستها الدماء فغدت بشعة مرعبة .

... واثارتها رؤية الدماء . فاغمضت عينيها ؛ وطرحت الغطاء عن جسدها العارى ، وغادرت الفراش تسير على قدمين عاريتين واطفأت النور ..

ووقع الظلام على قلب الوحش الآدمى كالهول ، فصرخ صرخة مدوية وهو ينقض على الكلب كالسهم ، ويطبق براحتيه القويتين على عنقه ؛ ويطرحه ارضا ، ويلقى بجسده الثقيل عليه . وكلما دفع الكلب عنه هذا الشر أو هذا الهول ، ولم يستطع راح يصرخ صراخا متقطعا فى الليل . وبينما هو يطبق عليه ، ويغرس اظفاره المجنونة فى عنقه ، احس شيئا ناعما كانه الحرير ؛ ورقيقا كانه النسيم ، يمس فى رفق ذراعيه القويتين اللتين تسيل عليهما الدماء . ويتحسس عروقهما النافرة ، حتى لكانها الثعابين الهائجة فى الليل .. ويتلمس تلك الاظفار التى تضغط فى جنون على عنق الكلب . وما ان بلغها حتى راح هو الاخر ، يضغط . . . ويضغط ... ويضغط .



www.alkottob.com

# الحاكم الصغير

www.alkottob.com

عندما تخرجت في كلية الحقوق ، وكنت من المتقدمين ، وعينت معاونا للنيابة فى جنوب القاهرة • كان الشيء الوحيد الذى ضايقنى الى حد كبير ، هو هذه الوظيفة التى عينت فيه بلا واسطة ، ومن غير مجهود ، وذلك لاننى لا اصلح لهذه الوظيفة ابدا ، فانا بطبعى رجل خجول جدا ، ترهقنى اعبا المظاهر الكاذبة ، وتقلقنى اوضاع الوظيفة التى تكون لها سلطة الحاكم المتصل بالجمهور • وكنت اعرف ذلك جيدا عن نفسى وأود ان احققه لها • بان انتحق فى كلية الزراعة ـ ان كان ولا بد ان اتم تعليمى ـ لاننى احب الريف الذى نشأت فيه ، وذقت اول ما ذقت سعادة الحياة فى ربوعه ، وقضيت زهرة الطفولة وميعة الصبا بين نيله ونخيله ، امتع النفس بمنظر الشمس الخلاب ، عندما تشرق على السنابل فى الحقل فتحيلها الى نضار يروع ناظريك ، والى القمر وهو يتألق فى السماء على الجلاليب الزرق والحمر والبيض ، فيحيلها الى ماس وياقوت وزمرد • كان هذا ما أريد ان اتمتع به طوال العمر ، ولكن امى سامحها الله ، هى التى اختارت لى كلية الحقوق بالذات . وفضلتها على سواها واصرت عليها ، فقد كانت غاية امانيها ، كما كانت تقول وتصرح علانية فى القرية ، ان ترانى « ابو كاتو » ومع ذلك لم ترنى ، ولم يحقق الله لها هذه الامال فقد ماتت قبل ان اتخرج بعامين •

فكرت فى هذا كله ، وفى تلك القوة الخارقة التى توجهنا فى الحياة على الرغم منا ، عندما تسلمت مقاليد وظيفتى الجديدة وتقلدت هذا المنصب التافه جدا فى نظرى ، والعظيم جدا فى نظر بعض الناس وتقديرهم • وكنت كلما مر بى يوم ازدادت الامى ، وكثرت متاعبى ، فالعمل المرهق ليل نهار ، والمظهر الكاذب ، والخجل الذى كنت ارزح تحت اعبائه ، كل ذلك كان يزيد فى الامى ، ويحطم حياتى يوما بعد يوم ،يضاف الى هذا ما اعانيه من متاعب نفسية ، بسبب القضايا الصغيرة التى كانت تحال على لاحققها ، والتى كانت فى مجموعها لا تخرج عن حادث نشل فى الطريق ، او السطو على منزل ، او مشاجرة



www.alkottob.com

أدت الى اصابات تقل مدة علاجها عن العشرين يوما ...

هذه القضايا التافهة وأمثالها ، كانت ترهقنى الى حد كبير ، حتى لتكاد تحرق اعصابى ، وتحيلها الى رماد تذروه انفاسى التى تحترق . وليس ذلك بسبب متاعبى الجسمانية وحدها ، وانما لمتاعبى النفسية ايضا ، من كثرة تفكيرى فى الباعث على ارتكاب هذه الجرائم ، والمتسبب الفعلى فى وقوعها ، وشدة اشفاقى على المتهمين فيها والذين دفعتهم الحاجة الى الرغيف على ارتكابها .. كما حدث فى قضية ـ الشرنوبى ـ الذى اتهم بسرقة قلم حبر ثمين من صاحب المتجر الذى يشتغل عنده ، ولما قبض عليه وحقق معه ، اعتر ف بصحة الواقعة ، وذكر انه باع القلم الى بدال يجاور البيت الذى يقطنه ، بعشرة قروش ، لم يقبضها منه ، وانما اشترى بها من عنده جبنا وعيشا لعشاء أولاده ، وقد اعترف البدال بما يفيد صحة هذه الاقوال ، ولما انتهى التحقيق شعرت بضيق لا حد له ، مبعثه اشفاقى الكبير على المتهم الذى هممت بان اطلق سراحه ، رغم ثبوت الجريمة عليه ، وتوفر الادلة ضده ، لولا ان شبح القانون المخيف اطل على فجأة بسحنته المتحجرة ، وصوته البغيض الذى يرن فى اذنى قائلا ـ ان القانون هو القانون ـ فلم يسعنى الا ان اتراجع مخذولا اسطر بيدى التى ترتعش ، امر الحبس وانا اتصبب عرقا .

كانت هذه القضايا وامثالها ترهقنى حقيقة ، وتجعل العرق يتصبب من جبينى فعلا فلا يسعنى بين الحين والحين الا ان ادق الجرس ، واطلب كوبة ماء اندى بها شفتى فيدخل على بها عم احمد ساعى المكتب ، بلحيته البيضاء الطويلة ، وظهره المقوس الذى تعاقبت عليه اقدام الزمن . فلا يكاد يرانى ، ويرى العرق الذى يتصبب من وجهى ، حتى يقدم لى كوبة الماء وهو يقول :

ـ يا سعادة البك ، ما تتعبش نفسك ، ولا تزعلش روحك ، الدنيا كده ، هو احنا ح نعدل المايل .

وعم احمد هذا رجل ما احببت طوا لعملى فى النيابة سواه ،



www.alkottob.com

نصفاء ضميره وسلامة طويته ، واحترامه الكبير لرؤسائه · وان كان هذا الاحترام كثيرا ما يسبب لى بعض المتاعب · فقد كانت تحيته العسكرية التى يستقبلنى بها فى الصباح عندما ادخل المكتب · او اخرج منه · تحرجنى حرجا كبيرا · وتسبب لى خجلا لا حد له · حتى اننى كثيرا ما تلعثمت وانا ارد عليه تحيته · وكثيرا ما افهمته بان هذه التحية العسكرية تضايقنى · لانى بغض النظر عن الفارق الذى بينى وبينه اعتبره بالنسبة لى كوالد · وان كان لابد له من ان يحيينى فمرة واحدة · فى اليوم عندما احضر الى مكتبى مثلا · ولكن رقة الرجل · وسلامة سريرته · وحرصه الكبير على احترامى · كل ذلك كان يأبى عليه الا ان يضاعف لى من تلك التحية العسكرية التى كانت ترتعد لها فرائصى خجلا كلما مررت به·

وهكذا كان كل شىء يضايقنى · تحية عم احمد · والعمل المرهق · وكثرة الجرائم والعطف على المتهمين فيها · وصرامة القانون الذى لا يرحم · وتأشيرات سعادة ـ الريس ـ على التحقيقات · وما كانت تنطوى عليه من لفت نظر وتوجيه ومرارة فى اللفظ احيانا · حتى ضاقت نفسى وفكرت جديا فى الاستقالة ·· ولكن اذا استقلت فالى اين اذهب ؟؟ · ومن اين اعيش ؟؟

سؤال القيته على نفسى مرات ولكنى لم اهتد الى جواب عليه

اذهب الى القرية ·وقدغدت جحيمابعد انماتت أمى وتزوج أبى الشيخ من فتاة صغيرة لا تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها واصبحت هى الحاكم المطلق فى كل شئوننا ؟؟

ابحث عن وظيفة اخرى غير هذه التى يرهقنى مظهرها الكاذب وبريقها الخداع ؟؟ اننى اصلا لا اصلح للوظيفة ·فمن اين اعيش اذا استقلت مثلا وحرمت من السبعة عشر جنيها التى أتقاضاها والتي أعيش بها عيشة الكفاف ··

اننى أسكن بثمانية جنيهات ·وليس ذلك حبافى المسكن الانيق · ولكن لاننى البك وكيل النيابة · ومفروض على ان اعطى عنوانى ومسكنى ومحل اقامتى ؟

أم أعيش عالة على هذا المجتمع الفاسد الاخرق



www.alkottob.com

الذى هو الآخر يعيش عالة على أشلاء من يكونونه ويستمد مظهره الكاذب من حقائقهم الدامية ·

أأطلب نقودا من ابى ·· وادع زوجته الطفلة تتحكم فى مصيرى انا ايضا · كما تحكمت فى مصير ابى الشيخ ·وراحت تعبث بكهولته · وتلهو بماله نظير بضاعة رخيصة تافهة يسمونها الشباب او الانوثة · تقدمها اليه فتاة لعوب فى لحظة من لحظات الليل او النهار · فيتهافت عليها الشيخ تهافت الكلاب الجائعة على قطعة عفنة من اللحم ·

قلت هذا كله لنفسى وانا اجلس ذات يوم الى مكتبى ·افكر فى مصيرى المظلم ونصيبى من دنياى الذى هو اشد سوادا من ظلمة ليل بهيم · حتى كادت الدموع تطفر من عينى · واخرج المنديل لاجففها · لولا ان اقبل على عم احمد وحيانى تلك التحية العسكرية البغيضة وهو يقول :

ـ سعادة البك الريس طالب حضرتك ·

وطلب الريس لى لا ينطوى على حسنة ابدا · ولا يبشر بخير فكثيرا ما انصرفت من امامه وانا اتعثر فى خطواتى خزيا من مرارة توجيهاته وقسوة تعليقاته بسبب تقصيرى فى بعض التحقيقات بيد ان عزائى الوحيد فى كل مرة · هو اننى المقصر فعلا لاننى اخذ بعض المتهمين بالشفقة · فلااضيق عليهم الخناق والقانون والشفقة لا يضمهما مكان · كما كان يقول سعادة الريس ·

ومع ان جميع القضايا التى احيلت على وتم التحقيق فيها · عرضتها امس ومرت بسلام · الا اننى توجست خيفة · وتناولت طربوشى مضطربا وذهبت الى سعادته اصلح من وضع طربوشى · واتحسس رباط رقبتى · وتردد شفتاى بعض كلمات كانت امى رحمها الله قد علمتنيها · لاتلوها سرا اذا ما وقفت ـ امام الحكام ـ وما ان دققت الباب بيدى تلك الدقات التقليدية المنتظمة مستأذنا فى الدخول حتى حدث ما توقعته · فقد استقبلنى سعادته متجهم الوجه يقول ثائرا وهو يدق بيده الغليظة على بللورة مكتبه الفخم ·



www.alkottob.com

ـ كيف يا حضرة المساعد . تت - ؟ وتطلب استدعاء الباشا الى مكتبك لاخذ اقواله .

فتذكرت فى الحال القضية التى يعنيها وقلت :

ـ اليس هو المبلغ ولا بد من سماع اقواله اولا .

فثارت ثائرته وقال هائجا وهو يقذف بالقلم الرصاص الذى فى يده وسط المكتب .

ـ يا استاذ حضرتك تنتقل اليه . انت ما تعرفش ان دا كان رئيس وزارة . ومين عارف يمكن بكره يبقى رئيس وزارة تانى .

ولما لم اتمكن من تهدئته . ولم تجد معه الكلمات التى لقنتها لى امى . ورددتها طويلا فى سرى . اعتذرت له عن هذا الخطأ الكبير . الذى ورطنى فيه جهلى ببعض الامـور . وهممت ان انصرف لا نتقل الى منزل الباشا واكون عند حسن ظنه . الا انه استوقفنى عند الباب . وقال وهو يشعل سيجارا ضخما ويثبته بين شفتيه وينظر الىّ .

ـ ثم احب ان الفت نظرك ياحضرة المساعد الى ان الوظيفة لها مظهر . ومظهر محترم . ويجب ان يراعى .

فادركت من نظراته المثبتة على صدرى بان ـ القميص التيل ـ الذى ارتديه لا يصلح فعلا لمقابلة الباشوات فما بالك برؤساء الوزارات . واخجلنى ذلك جدا . ولكنى اومأت اليه بالايجاب وانصرفت اتعثر فى خطواتى من قسوة هذه التوجيهات التى هى فى اخص شئونى . ولم افطن الى نفسى الا على تحية عم احمد العسكرية تهز الارض تحت قدمى . فثارت ثائرتى حتى هممت ان انهر الرجل لولا انه اقبل على وادنى فمه من اذنى وهمس فى سذاجة بريئة هدأت كثيرا من ثورتى وقال .

ـ ما تزعلش روحـــك . اصل ســعادة الريس النهــاردة زعلان شوية .. ثم ادنى فمه من اذنى جدا واسر كمن يفضى بسر خطير .

ـ كلام فى سرك الست الهانم بتاعته . بتولد . ومتعسره شويه فى الولاده .



www.alkottob.com

فلم ارد عليه ودلفت الى مكتبى • وتناولت دوسيه القضية واستعدت قراءة البلاغ المقدم من الباشا • ثم انصرفت اهبط الدرج ومعى الكاتب واحد الجنود • وانا افكر فى الثلاثة الجنيهات التى هى كل ما فى جيبى • ومظهر الوظيفة الذى يجب ان يراعى •• والقميص الذى لا يصلح لمقابلة الباشوات• وبعد أن اجهدنى التفكير وفقت الى حل وسط • وهو ان اشترى قميصا بجنيهين واقسم وجبة الغداء التى اتناولها فى الظهر الى ثلاث وجبات فى اليوم حتى تنقضى الايام القليلة الباقية على الشهر •

ولما انتهيت من ذلك عند الظهر كنت اجتاز حديقة غناء مترامية الاطراف • تقع على النيل يتوسطها قصر فخم زينت جدرانه بنقوش عربية اختلفت الوانها • فراحت تحت وهج الشمس تتلألأ • اشبه بالجواهر خلف البللور المصقول • ويسبق مدخل القصر عدة تماثيل مقامة على قواعد من الجرانيت • تتوسطها عدة مدرجات من المرمر • ووقفت مأخوذا اتطلع الى هذا الجمال من حولى •حتى كدت انسى المهمة التى جئت من اجلها • ولما تنبهت صعدت سريعا تلك الدرجات المرمرية العريضة • وضغطت بيدى على زر كهربى صغير • فانفتح الباب الكبير عن خادم نوبية زان سواد وجهها الثوب الناصع المنشى الذى ترتديه • ونظرت الى نظرة لم يكن فيها ما كنت انتظره من احترام وقالت •

ـ من حضرتك •

فقلت لها وقد بادلتها نفس النظرة • وزدت عليها بعضا من الكبرياء •

ـ أنا وكيل النيابة •

فأخجلنى انها لم تبدل نظرتها • بل تمتمت بشفتيها ممتعضة كما لو كانت تخاطب بائع اللبن مثلا •او بائع الخضر •وقالت:

ـ ماذا تريد ؟!

ولما افهمتها مهمتى قالت على الفور وهى تهم باغلاق الباب فى وجهى •

ـ اظن العرف يقضى بان تتصل بالتليفون اولا • حتى اذا



www.alkottob.com

ما سمح لك بتحديد موعد · جئت لانجاز عملك ·

قالت ذلك ثم اغلقت الباب فى وجهى · وتركتنى اتصبب عرقا من هذا الدرس الذى القته على خادم · فى التقاليد والعرف ومقابلة الباشوات وكيف يكون الاتصال بهم · ·

ورجعت اقطع ممشى الحديقة حائرا يكتنفنى الضيق ويلم بى الالم المرير · حتى اذا ما بلغت الطريق انصرفت مع الكاتب والجندى · الى ان بلغنا دكان بقال تجمع عنده بعض الخدم يشترون حاجاتهم فطلبت من الكاتب ان يرجو البقال انيمكننى من ان اتحدث فىالتليفو ن·وما ان قال الكاتب للبقال انسعادة وكيل النيابة يريد انيتحدث فىتليفونك حتىوقف الجميع اجلالا واحتراما · يتطلعون الى وكأنهم ينظرون الىشىء عظيم جدا · فابتسمت وعجبت من هذه المفارقات · وكيف ان الشقاء علم هذه الطبقات الكادحة ان ترتاع نفوسها لمجرد رؤية حاكم صغير · وكاد انتفكير فى هذا يوقعنى فى بعض الحرج ·الذى كثيرا ما اقع فيه · فانسى نفسى كعادتى · واروح اضاحك هؤلاء واتندر معهم · لولا اننى تذكرت مهمتى فاسرعت اقول للبقال · وكنت اجهل الرقم الذى اريده ·

ـ كم رقم تليفون ··· باشا ·

فذكره لى الرجل سريعا وكأنه كان يحفظه عن ظهر قلب · وكأنه ايضا يقول لى بعينيه · من الذى لا يعرف رقم تليفون ··· باشا رئيس الوزراء السابق ·

وطلبت الرقم فرد على صوت نسائى فاتن اطربنى صفاؤه ورفهت رقته عن اعصابى بعض الشىء · فذكرت لها من انا · وما هى المهمة التى جئت من اجلها · وكيف انى التمس تحديد موعد احظى فيه بلقاء الباشا · ثم انتهت المحادثة بعد ان حددنا الساعة الرابعة من مساء نفس اليوم لأحظى بهذا الشرف ·

وفى الموعد كنت أضغط بيدى على ذلك الزر الكهربى فانفتح الباب على خادم غير التى سببت لى ذلك الحرج · وقادتنى الى بهو فسيح · ثم الى صالون فخم · راعنى ذوق تنسيقه ·ووجاهة منظره · حتى اننى لما جلست فوق مقعد من مقاعده الوثيرة·



www.alkottob.com

وتحسست نعومته وبهرنى لونه الجميل · تذكرت فى الحال قميصى السابق وقول الريس لى وهو ينظر اليه ـ ان للوظيفة واجبات يجب ان تراعى ـ وما ان جلست قليلا حتى قدمت لى بعض اصناف الحلوى الفاخرة · ثم القهوة الجيدة · ثم فتح الباب على فتاة رائعة الحسن · اقبلت تخب فى ثوب فضفاض من الحرير الاخضر غدا قوامها الممشوق يتماوج فيه اشبه بغدير يترقرق · وقد حلت وجهها المشرق بقرط شرقى كبير تدلت منه عدة حبات من اللؤلؤ الثمين على كتفيها · هذا غير الذهب والجواهر الثمينة التى زينت بها صدرها ومعصميها · وجلست قبالتى بعد ان حيتنى فى ايماءة سريعة فيها كبرياء وغطرسة · ففهمت منها انها ابنة الباشا وقد تحقق هذا الظن عندما قدمت لى نفسها ، ثم قالت بعد ان استراحت فى جلستها · ووضعت ساقا على ساق · وتركت « شبشبها » ذا الوردة الحمراء الكبيرة فى وجهى ·

ـ ان الباشا مريض ولا يمكن مقابلته · فقل ماذا تريد ·

فقلت وعينى ما زالت تتأمل وردة الشبشب الحمراء وريشته الطويلة الناعمة ·

ـ ان الباشا قدم بلاغا يتهم فيه · خادمه المدعو مغاورى حسنين بالتآمر على اغتصاب امواله · بان سرق ثلاثة اطقم للشاى البتيفور · كما تآمر ايضا مع «الفران» على اختلاس بعض الاموال · بان رفعا الراتب اليومى الى عشر اقات بينما الذى يسلم فعلا هو ثمان فقط · وبهذا استولى من غير وجه حق على اقتين من الخبز كل يوم ·

فقالت وهى تشعل لفافة اخرجتها من علبة ذهبية ثمينة كانت فى يدها ·

ـ حدث هذا فعلا · وكان يمكن ان لا يصل الامر الى حد المحاكمة لولا ان أوامر الباشا صارمة جدا كما تعلم

فقلت وانا ادون ما تقول ·

ـ وكيف اكتشفت الجريمة ·

ـ عندما ابلغ عنها رئيس الخدم ·



www.alkottob.com

– ومنى ابلغ عنها
– من عشرة ايام ·
– كم من الخدم فى القصر
– سبعة عشر
– الكل اختصاصه ؟!
فقالت، بعد ان عدت ارقاما على اصابعها
– سبع فتيات يقمن على خدمة الباشا فى جناحه الخاص ولا يبرحنه · وترأسهن مدام مارسيل · وبقيـــــة الخدم يقومون بالشئون الاخرى · باشراف رئيس الخدم ·
قلت :
– ولماذا حامت الشبهة حول المتهم بالذات ·
فقالت · وكأنها بدأت تضيق باسئلتى ·
– اما جريمة الخبز فقد اعترف بها انفران · واما الاطقم فهى ليست فى متناول غيره من الخدم ·
– متى التحق المتهم بخدمة القصر · ؟
– يسأل رئيس الخدم
واستدعيت رئيس الخدم · وسألته بعض الاسئلة · كما سألت بعض الخدم الاخرين · ولما طلبت المتهم · قالت الفتاة وهى تنظر فى اعجاب الى الوردة الحمراء التى تزين شبشبها
– لقد امر الباشا بوضعه تحت المراقبة لحين البت فى امره
فلم افهم شيئا وقلت :
– اقصد اين هو الان ؟
فنظرت الى وكأنها ترمينى بالغباء واعادت نفس الجواب ·
– اتعنين انه امر بوضعه فى السجن ·
– لم يكن سجنا بالمعنى المفهوم · ولكنه فقط قصد حجزه حتى يتم التحقيق ·
ودق جرس التليفون فاسرعت اليه قافزة كالظبى المرح· وراحت تتحدث حديثا طويلا لم اسمع منه غير بعض كلمات يا شيرى ويا طانط · واسماء بعض الملاهى وروايات السينما· ولما طال الحديث طلبت من رئيس الخدم الانتقال الى المتهم ·



www.alkottob.com

فقادني الى ركن منعزل في الحديقة الكبيرة · حتى بلغنا غرفة قامت جوانبها من الخشب الرفيع والسلك · عرفت فيما بعد انها كانت لكلبين يقتنيهما الباشا · وما ان فتح بابها حتى تصاعدت منها رائحة كريهة · ثم ظهر رجل يكتنفه الهزال والضعف الشديد · مصفر الوجه تعلوه غبرة ارتسمت بوضوح على شعره المغبر المشعث ولحيته الطويلة · وما ان علم انى وكيل النيابة · حتى ارتمى على يدى يقبلها · وهو يقول بصوت متقطع حزين « مظلوم ياسعادة البك ·· مظلوم » ·

فاثبت كل هذا فى المحضر · ثم سألته موجها اليه التهمة · فانكرها فسألته اسئلة اخرى اجاب عليها جميعا · ولما عرفت ان له بيتا وانه زوج وله اولاد · اثبت فى المحضر الانتقال الى بيته لتفتيشه · واخذ اقوال زوجته ·

وانطلقت بنا السيارة · انا وهو والكاتب والجندى الذى يرافقنى · حتى وصلنا الى زقاق ضيق يتفرع من نهاية شارع الصحافة · ببولاق · فتركنا السيارة ورحنا نجتاز سردابا يكتنفه الظلام · وتعمه رائحة كريهة عفنة هى رائحة خزانات المجارى الطافحة على الجانبين · حتى بلغنا دهليزا صغيرا · ثم غرفة مظلمة جلست على بابها امرأة رثة الثياب تحمل على صدرها طفلا رضيعا قد لفته فى خلقة بالية لا تستطيع ان تعرف لها لونا من كثرة ما تراكم عليها من اقذار · وما ان رأت المرأة زوجها حتى القت بالطفل وهرعت اليه صارخة معولة تحتضنه حينا وتقبله ، حينا اخر · وما ان عرفت اننى البك وكيل النيابة حتى جحظت عيناها جحوظا غريبا مفرطا · وهى تنظر الى خائفة وكأنها تنظر الى شىء مخيف · فهدأت من روعها · ثم فتشت الغرفة فلم اجد فيها سوى بطانية من الصوف الرخيص متآكلة الاطراف · وحشية قديمة قذرة متآكلة الغطاء ايضا حتى برز قطنها الاسود المغبر على جانبيها كما تبرز امعاء الكلب الميت فى الطريق · وفوق هذه الحشية رقدت طفلة صغيرة فى الرابعة من عمرها ترتسم على وجهها وهى نائمة عدة خطوط تأملتها على عود الثقاب من فوجدت آثار بعض الدموع



www.alkottob.com

للتى كانت تعالجها . وبينما انا انظر الى هذا كله واثبته فى المحضر . سمعت الرجل يسأل زوجته عن ابنه الثالث . فصمتت المرأة ولم تجب . فاعاد السؤال خائفا وكأنه توقع شيئا فلم تجب ايضا . ولما صرخ فى وجهها مرة ثالثة اجابته بصوت خافت لا يكاد يبين بانه مات من يومين .

وما ان سمع الرجل ذلك حتى صرخ صرخة مدوية زلزلت الارض تحت قدمى واهتز لها كيانى اهتزازا عنيفا . ثم راح الرجل ينشج نشيجا صامتا . فذهبت اليه وواسيته وانا اشد منه حزنا . فى حين راحت زوجته تؤكد لى بانه برىء وبانه لم يسرق . ثم اقتربت منى وهمست فى اذنى قائلة بلهجة ساذجة وهى تجفف دموعها المنسابة على وجهها .

ـ والنبى يا بيه لو كان بيسرق ما كان ابنه مات . احنا لنا سبعتيام ما دقناش زاد الدنيا .

ثم عادت وجففت دموعها مرة اخرى وقالت دون وعى .

ـ صحيح كان بيجيب معاه كل يوم عشرة ارغفة افرنجى . كنا بنسقعهم فى الميه ونوكل العيال .

وهنا لمعت عيناى . وضممت شفتى قهرا ... انه اعتراف صريح بالجريمة . والقانون يحتم على اثبات ذلك والاخذ به . والا قصرت فى عملى واقلقت ضميرى . ورحت افكر . . . وبشفتين مرتعشتين امرت باثبات هذا الاعتراف فى المحضر وأنا أقول لنفسى

أللقانون علاقة بهذا الذى سمعته الآن ... ؟ وهل فكر المشرع وهو يضع هذا القانون الذى يلقى بالسارق فى السجن . فى الدوافع على السرقة . او المتسبب الاصلى فى ارتكاب الجريمة ؟؟ وهل الباشا لو جعل من ماله نصيبا يقيم به اود من يخدمونه اكانوا يسرقون هذه الارغفة ؟؟

قلت لنفسى هذا . وتذكرت ان عمر بن الخطاب . جاءه يوما « حاطب » يتهم غلمانا له بسرقة ناقة لرجل من مزينه . فأتم بهم عمر وسألهم فعرف جوعهم . وعرف ان تقصير حاطب ء غلمانه هو الذى اجاعهم . وان الجوع هو الذى دفع بهم ا السرقة .. ونظر عمر الى وجوههم المصفرة وبطونهم الخاوية



www.alkottob.com

وقال لحاطب . « والله انكم تستعملونهم ، وتجيعونهم فاذا أكل احدهم ما حرم الله عليه حل له ولولا ذلك نقطفت ايديهم ، ثم نظر مرة اخرى الى وجوههم المصفرة . وبطونهم الخاويه ..
وسأل صاحب الناقة :

ـ كم ثمن ناقتك يا رجل ؟؟

ـ اربعمائة درهم يا امير المؤمنين .

فنظر عمر الى حاطب وقال :

ـ « يا حاطب وايم الله لاغرمنك غرامة توجعك . اعط صاحب » « الناقة ثمانمائة درهم . واقمنا الحد عليك . واعفينا الغلمان السارقين » .

تذكرت هذا وقلت لنفسي ان عمر كان اعدل العادلين .وان العدل من عند الله لامكان له ولا زمان ولا تحديد . وان القانون نفسه لم يوضع الا لاقامة العدل بين الناس . ثم عاودت النظر الى المتهم الماثل امامي واولاده الجياع الذى يوصوصون ويرسلون انفاسهم المحترقة نباحا خافتا كانه انات الجريح . نظرت هذا كله وقلت لنفسي . ان كان عمر قد مات فان العدل لم يمت . ومن غير تريث اتممت المحضر . وارسلته مشفوعا بأمـــــر القبض على الباشا . المتسبب الفعلى فى الجريمة .

وفى الصباح ذهبت الى دار النيابة كالعادة . ولكن ما ان صعدت الدرج حتى احسست ان شيئا غير عادى قد حدث . ورأيت بعض كبار الموظفين يهرولون الى غرفة الريس .داخلين خارجين : كما رأيت عم احمد ينظر الى من بعيد وكان شيئا يجول فى عينيه . فتذكرت قوله لى ليلة الامس بان حـــرم الريس متعثرة فى الوضع . وخشيت ان يكون قد حـــدث شىء لاقدر الله . لهذا دعوت الله مخلصا انيخلف ظنى . وان يكون قد كتب لها السلامة حتى يمر اليوم على خير . ورحت اصعد الدرج سريعا . وما ان رأونى حتى التفوا من حولى . وقبل ان اعرف شيئا وجدتنى فى غرفة الريس . الذى رأيته يقطع الغرفة روحة وجيئة يدق الارض بحذائه وهـو يرغى ويزبد وينفث دخان سيجاره الكبير فى الهواء . وكأن ثغرةفوهة



www.alkottob.com

بركان اوشك على الانفجار · وما ان ابصر بى حتى رفع السيجار من فمه · وقال صارخا ويده خلف ظهره · والاخرى تتراقص مرتعشة امام عينى ·

ـ انت ازاى يا افندى تعمل العمله السوده دى ·

فجف لعابى فجأة وقبل ان اقول شـيئا صرخ فى وجهى مرة اخرى ·

ـانت كمان يا افندى عاوز تتكلم · اتفضل اطلع بره · انت مفصول ·

ـ مفصول ؟!

ـ طبعا يا افندم مفصول ·· انا امرت بفصلك والوزارة وافقت ·

وفجأة رأيتنى فى الطريق · افكر فى اشياء كثيرة ·· ابى الشيخ ··· وزوجته الصغيرة ···الشبشب ذى الوزدة الحمراء ··· عمر بن الخطاب ··· والانفاس المحترقة ··· ورائحة الجوع التى كانت تتصاعد معها ·· ووجبة الغداء التى قسمتها على ثلاث مرات ··· ثم القميص الذى اشتريته لمقابلة الباشوات وكيف اننى لو كنت ادخرت ثمنه · لكنت املك الان فى جيبى ثلاثة جنيهات ·



www.alkottob.com

# رسائل لم تتم

www.alkottob.com

كان اول شيء تبادر الى ذهنه عندما فض الرسالة التى وصلت اليه من أمه ، ووجد بها ورقة مالية من فئة الخمسين قرشا ، هو كيف استطاعت هذه الأم التعسة ان تحصل على هذا المبلغ الكبير .. انه يعرف أنها لا تملك مالا .. ويعرف أن أحدا من أهلها فى القرية لم يكن ميسور الحال ، حتى يقرضها أو يتصدق عليها بهذا المال .. واذن فهى لكى تحصل على هلا المبلغ الكبير من أهل القرية ، لابد وان تكون قد تعبت كثيرا ، واستجدت كثيرا ، وأراقت دماء وجهها الذى رهلته السنون ، وشوهته احداث الزمن ..

وفكر كثيرا فى كل هذا الذى تبادر الى ذهنه . ثم اغمض عينيه ، وصمت حينا .. بيد أنه تذكر بعد لحظات . ان فى يده رسالة لم يقرأها فتطلع اليها . ولكن شبكة من الدموع عششت على عينيه فلم يستطع ان يتبين منها سوى هذه السطور القليلة المقتضبة . التى راح يتحسسها بعينيه وهو يقرأها .

« ... اما اذا يسر الله لك سبيل اللقمة التى تقيم أودك يا بنى ، وليس هذا على الله بعزيز . ثم بقى منها بعض الفتات فارسله الى أمك لكى تتبلغ به .. أما اذا عزت اللقمة فاصبر ولا تبتئس وكن جلدا كأمك .. صبورا كأبيك الذى مات .. اننى أعرف يا بنى انك تعانى ما لم يعانه رجل من الرجال . ومن أجل ذلك دعوت الله لك كثيرا ، وما زلت أدعوه .. غير آسفه على ذلك الشعاع الضئيل الذى كان قد بقى لى من عينى ، وذهب من كثرة تطلعى الى السماء من أجلك .. ومع ذلك ما زلت أتطلع اليها ، وأتطلع اليها فى الليل البهيم ، اذ ليس هناك من هو احق بالشفقة منك ، وانا لا اقول هذا ، او أحس به لاننى أمك فقط يا بنى ، بل لاننى أيضا المخلوقة الوحيدة التى تعلم ما هو السر الذى تحمله بين جنبيك »

قرأ هذه السطور ، ووقفت عيناه طويلا عند هذه الجملة الاخيرة ، وراح يتأملها مرة ومرة ومرة . ودون ان يدرى تصلبت أنامله على الرسالة ، فاذابها قصاصات تتطايرمن بين



www.alkottob.com

اصابعه ، ثم راح ينقل قدميه على مهل ، حتى غادر المصباح الكهربائى المعلق فى الطريق ، وسقط فى الظلام وشفتاه تلفظان بعض كلمات متقطعة فى الليل تنبىء عن شوقه البالغ الى أمه ، ورغبته الصادقة فى الكتابة اليها ، ولكن ماذا يقول لها .. ؟؟ وما هى بعض الاحداث التى يقصها عليها فيضيف بها الى همومها هموما أخرى .. ؟ انها تعرف بأنه ودعها من ثلاثة شهور ، ليبحث عن عمل فى القاهرة يقتات منه ، ويعولها به . ولم يكن معه اذ ذاك غير أربعة جنيهات ، ترك لها واحدا واحتفظ بالثلاثة ، حتى ييسر الله الرزق ... ولكن هذا الرزق لم يتيسر حتى الان . فبماذا يكتب لها .. ؟ وبماذا يتحدث اليها .. ؟ أيحدثها عن أمعائه التى أهلكتها قرصات الجوع الذى لا يرحم . ؟ . أيحدثها عن جسده الخائر الذى هدته خشونة الطوار الذى يفترشه فى الليل ؟؟ .. أم يحدثها عن أخاديد الحذاء البالى وما فعلته بقدميه من كثرة تجواله فى الطرقات ليل نهار منقبا وسط الظلام الحالك ، عن وظيفة قائد سيارة أو غيرها . كما ينقب الطفل فى الليل البهيم عن ثدى أمه ليروى غلته .. ايقص عليها هذا اوبعضه فيضيف الى متاعبها متاعب جديدة والى احزانها احزانا أخرى .. .. ؟ وماذا يفيد هذا .. لقد علمته الايام ان طاقة البائس والمحزون ، لا تحتمل لحتى مجرد سماع آلام الغير . أو هى لا تريد ان تحتمل . لقد رأى منذ يومين منظرا يدمى الكبد ، فقد دهمت سيارة نقل كبيرة أمام عينيه طفلا صغيرا، فحولت رأسه الصغير الجميل ، الى حفنة من الدم ملوثة ببقايا فروة الرأس التى تناثرت مع عظامه فى الطريق ، ومع ذلك اغمض عينيه ، وسار فى طريقه ، لا يثنيه شىء عن التفكير فى مصيره هو .. ومن يومها أيقن ان الشقاء يعلم الانانية ، ويجعل المحزون يحتفظ بأحزانه لنفسه لا يشرك فيها أحدا وعلى هذا فهو لن يكتب الى امه .. لانه اصبح يعز عليه ان يرى فى الجود من يشاطره الامه .. حتى ولو كانت امه !

وكان قد خرج من الظلام ، وبلغ مكانا آهلا ، وعمرت



www.alkottob.com

الاضواء عينيه ، فراح ينظر الىٰ المارة ، وكأنه ينظر الىٰ مخلوقات غريبة .. وبينما هو كذلك احس بشيء له رائحة جميلة ، نفذت فجأة الى خياشيمه .. فمد أنامله الى منخارية وتحسسها . ومن ثم نظر حوله فرأى حانوتا زينت واجهته بقدر كبيرة للفول ، وبجوارها وعاء امتلأ بقطع الطعمية .. وراقه المنظر الجميل فوقف يتأمله ، ويتطلع الى قطع الطعمية وما يفعله بريقها الذهبى فى عينيه .. واحس انه جائع وتذكر بأنه لم يتناول طعاما منذ ثلاثة أيام .. وانه لو ترك وشأنه لالتهم كل ما فى هذا الوعاء الكبير مرة واحدة .. وشعر برغبة شديدة فى انه يريد ان يتقدم خطوة .. فتقدم .. وأراد ان يتقدم خطوة اخرى ، ولكنه عاد فرد قدمه سريعا ، فقد تذكر أنه خاوى الوفاض ، لا يحمل شيئا ، ولا يملك نقودا . .

وكأن هذا آلمه فاغمض عينيه وتابع سيره البطيء ، حتى سقط فى الظلام مرة أخرى . بيد انه فجأة وقف فى مكانه ، وقد لمعت عيناه ، وتهللت أساريره . فقد تذكر انه يحمل فى جيبه الخمسين قرشا التى جاءته من أمه .. وارتد سريعا الى بائع الطعمية ، ووقف أمامه منتصب القامة ، ودون ان يقول شيئا قدم له الخمسين قرشا .. ونظر البائع اليه ، وسأله ماذا يريد ؟ وازدحمت الكلمات بين شفتيه ، وأراد ان يتخلص منها جميعا ففتح فمه الجاف وتمتم بصوت خافت ..

ـ كتير .. كتير .

ولف البائع قرطاسا كبيرا ومن ثم راح يلقى فى داخله بقطع الطعمية ثلاثا ثلاثا . حتى امتلأ القرطاس . ثم ناوله بضعة أرغفة وما تبقى من الخمسين قرشا فأخذها وانصرف مهرولا من أمامه ، وكأن أحدا يطارده . وما ان ترك ذلك المكان الآهل وتلك المصابيح المتلألئة ورأى الظلام حتى تسلل اليه ، ومن ثم راح يسير على مهل فرحا مغتبطا بما يحمل من سعادة بين يديه . وظل يسير حتى بلغ شارع قدرى خلف مسجد السيدة ومنه اخترق زقاقا ضيقا ، نفذ منه الى الطوار الخلفى للمسجد



www.alkottob.com

حيث منامته المختارة . وما ان تحسس بعينيه فى الظلام المكان الذى اعتاد ان ينام فيه كل ليلة ، حتى انفرجت شفتاه عن ابتسامة حلوة ، فقد رأى اسرته الحبيبة اليه ،التى تعرف عليها فى هذا المكان .. فهيمة بائعة « اليانصيب » وبطه جامعة الاعقاب .. وشقيقهما ـ عتره ـ المتسول الصغير .

ورأى فى الظلام أشباح رؤوسهم الثلاثة ملتفة متلاصقة ، وهم يغطون فى نومء عميق ، لا تشوبه سوى لسعات الصقيع التى تلفح أجسادهم المقرورة من حين الى آخر . فأيقظهم ، وما أن رأوا ما يحمل من طعام بين يديه حتى التفوا حوله كالقطط الضريرة .. وراحوا يلتهمون طعامهم فى صمت بهيج ولذة كبيرة ..

ونظرت ـ فهيمة ـ وهى تأكل الى الرغيف الكبير الذى فى يدها ، وقطع الطعمية الكثيرة المكدسة أمامها ، وانتقت من بينها واحدة ، كان لها لون الذهب فى عينيها ناولتها اليه وهى تنظر الى وجهه فى الظلام . وتريح فخذها المقرورة على فخذه المرتعشة وتقول

ـ أنت اشتغلت ياسى محمد ؟؟

فازدرد اللقمة التى كانت فى فمه ، وتمتم وهو يتحسس فى الظلام لقمة أخرى

ـ كله على الله ..

وكأنها لم تفهم لانها نظرت اليه مرة أخرى وهمت بأن تقول شيئا لولا ان ـ بطه ـ قالت موجهة حديثها للعترة .

ـ ربنا حنن عليك بكام النهارده . ؟؟

فقال الصبى ضاحكا وهو يلتهم لقمة كبيرة حشرها حشرا فى فمه

الحمد لله ولا مليم .

وكانوا قد فرغوا من عشائهم ، فأسرع العترة بحركة بهلوانية سريعة وطوى جسده الصغير ، وكوره بأن دفن رأسه الصغير بين فخذيه ، وشد على عنقه بذراعيه ، ومن ثم نهضت بطه فى حركة بهلوانية سريعة ايضا ، ولفت ذراعيها



www.alkottob.com

حول عنقه ، وساقيها الصغيرتين حول جسده ، بحيث التفت حوله كالحلقة وناما بجوار الحائط ·· وظـــل محمد جالسا ، والاخت الكبيرة بجواره ··

ونظرت فهيمة الى محمد ، وطـالعها فى الظـــلام وجهـه الابيض ، وعيناه الزرقاوان · وشفتاه الحالمتان ·· وعـــادت فنظرت الى هذا كله ·· ثم الى شعره الكث المغبر الذى التف حول ذقنه وفوديه ، بحيث لاح من خلال سمرته الداكنةوجهه الابيض الجميل أشبه بتمثال رائع لفنان كبير · وقالت بصوت هادىء ·

ـ ح تنام فين يا سى محمد ؟

فنظر الشاب الى الفضاء الذى بين الطوار والحائط وقال:

ـ هنا

ـ خذ ـ المحفظة ـ ضعها تحت رأسك ·

وناولته المحفظة الكبيرة المنتفخة التى تضـــع فيها أوراق اليناصيب ، وكشوف السحب العـــديدة التى يرجع تاريخ بعضها الى اكثر من عام · فتناولها من يدها شاكرا يقول : فى عطف كبير وهو ينظر الى عينيها الجميلتين ·

ـ وانت ؟

ـ سأنام بجوارك

وتمدد الاثنان بجانب الحائط ، ووضعت فهيمة رأســـها بجانب رأسه على طرف المحفظة ، ومن ثم راحت مرة أخرى تنظر الى وجهه الجميل وعينيه الزرقاوين ، وشفتيه الحالمتين · ورأته ينظر اليها هو الاخر فسرها ذلك وان كان قد أخجلهـا ان عينيه تركزتا بالذات على ما لاح عاريا من خلال ثوبهـــا الممزق · فأغمضت عينيها ، ومدت أناملهـــا سريعا الى ثقب معين كان من المكر والدهاء بحيث اقام نفسه علىمكان معين بالصدر · وأخفته عن عينيه وظلت كذلك الى حين ، ثمعادت وفتحت عينيها ، فاذا به يتهيأ لنوم عميق فتمتمت فى اذنـــه هامسة

ـ انت مرتاح ياسى محمد ·· ؟



www.alkottob.com

ـ الحمد لله

ـ ضع رأسك على ذراعى ·

وقبل ان يقول شيئا رفعت هى رأسه قليلا ودست تحته ذراعها ، فاحتوت بذلك جسده الهزيل فى أحضانها ، وأغمضت عينيها ··

بيد أنها لم تنم فقد عادت من جديد تنظر اليه ، وتتحسس بعينيها تلك الصورة الرائعة التى رسمها فنان ماهر · ودون ان تقصد مدت شفتيها وتحسست شفتيه فى الظلام وقبلته قبلة عميقة · غير أنها لم تحس بذلك التجاوب الذى كانت تنتظره ، فأغمضت عينيها سريعا فى خجل ، وهى تدفن رأسها الصغير فى صدره وتتناوم · وظلت كذلك الى حين · · ثم عادت وفتحت عينيها ونظرت اليه ·· ومن غير تفكير وجدت نفسها تسأله هذا السؤال ·

ـ لماذا لم تتزوج يا سى محمد ؟

وكأنها صبت فى اذنيه نارا حامية ، فجحظت عيناه ، واربدت سحنته ، وارتعش جسده المقرور فى احضانها وراح ينتفض كعصفور جريح · · ومن غير ان يقول لها شيئا تسلل من جوارها ، ومن ثم تركها وراح يسير فى الظلام على غير هدى · الى أن وجد نفسه بعد ساعات طويلة ، يدلف كعادته كل ليلة عند الفجر الى مسجد السيدة من بابه الخلفى ، فتوضأ ، وصلى مع المصلين ، ثم جلس بجوار المنبر ، دافنا رأسه بين فخذيه ، مغمضا عينيه عن الوجود كله ·

وبينما هو كذلك أحس فجأة بيد رحيمة تربت على كتفيه ، فالتفت فاذا به الشيخ الحسن رئيس رابطة البوابين فى جاردن ستى · ذلك الرجل الطيب الذى كان قد تعرف عليه فى المسجد ·· جاء ليخبره بأنه نجح فى مسعاه ، اذ أوجد له عملا فى منزل أحد الباشوات ·· وعليه ان يوافيه فى العاشرة صباحا ليصحبه الى هناك · فانحنى على يد الشيخ وقبلها فرحا · ثم راح يشيعه بعينيه وهو يغادر المسجد وكأنه غير مصدق لما سمع · ولولا الفرحة التى أحسها تفيض عليه لظن



www.alkottob.com

أنه فى حلم · لقد خلقه هذا النبأ خلقا جديدا · وبدله انسانا آخر حتى المرئيات تبدلت فى عينيه ، وأحس بأنه أصبح يرى الناس ويرونه ، وانه واحد منهم يسير كما يسيرون ، ويضحك كما يضحكون ، حتى جسده الهزيل المنهك ،نشط فجأة ، وراحت الحياة تدب فيه من جديد ، وزايل وجهه ذلك الشحوب الذى كان قد اكتنفه وعادت اليه بسمته واشراقته ، وقد حالفه التوفيق ايضا هذا الصباح ، فوفق سريعا الى تنظيف ثيابه · واستبدال رباط رقبته المهلهل ، وكى طربوشه ، وتنظيف حذائه البالى · ولم يضايقه اثناءهذا كله سوى تذكره فجأة وهو ينظر الى وجهه مبتهجا فى مرآة الحلاق · حادث ذلك الطفل الذى دهمته السيارة فى الطريق فآلمه ذلك المنظر ألما لا حد له ، وحاول جهده ان يبعد عن عينيه صورة رأسه الصغير المهشم وعظامه التى تناثرت فى الطريق مختلطة بفروة الرأس

وعجب من نفسه ، وكيف أنه لم يتألم عند ما شاهد المنظر المروع بعينيه ثم يذكره الآن وهو فى نشوةفرحته فيحزن كل هذا الحزن ·

وكانت انساعة قد قاربت العاشرة ، فراح يخترق الطرقات الى عمارة الشمس ولما بلغها وجد الشيخ الحسن بجسده النحيل ، ولحيته البيضاء الملتفة حول وجهه الاسمر تقطر صفاء وطهرا · فصافحه وقبل يده ، ثم انصرف الشيخ معه يسير الهوينا كعادته · تعبث أنامله بحبات مسبحته السوداء الكبيرة التى علقها على صدره · حتى بلغا قصرا جميلا على النيل تحفه حديقة كبيرة · وما ان اشرفا على مدخل القصر الكبير حتى فتحت أبوابه فجأة ، وظهر منها شيخ مهيب وقور فى السبعين من عمره ، يحجب عينيه بمنظار اسود كبير ، ويتوكأ على عصا ثمينه فى يده ومن خلفه بعض الخدم يسيرون ولا ينقلون افخطى الا بمقدار · فأسرع اليه الشيخ الحسن مهرولا · وقبل يده فى احترام كبير · وشفتاه تنفرجان عن بعض ألفاظ تتدهور منها بسرعة غريبة فلم



www.alkottob.com

يسمع منها محمد شيئا ولم يعرف منها سوى كلمة ـ سعادة الباشا ـ وما ان عرف الفتى انه أمام الباشا الذى سيشتغل عنده ، وانه يقف أمامه وجها الى وجه حتى أسقط فى يده ووقف مرتبكا لا يطرف • ومع ذلك لم ينظر اليه الباشا ولم يفطن الى وجوده ، وتركهما وانصرف يقطع ممشى الحديقة على عصاه ، ومن خلفه الخدم يسيرون فى خطوات منتظمة ، وكأنهم الجنود فى جنازة رسمية •• وبعد حين تركه الشيخ الحسن أيضا • وانصرف الى الداخل ، وبقى هو وحده ينظر حينا الى القصر العظيم ، وحينا الى حديقته الغناء الكبيرة ، وحينا اخر الى الخدم الذين يروحون ويجيئون امامه ، ثم يرفع طرفه الكليل الى السماء ، ويسأل الله ان يحقق له الرجاء وييسر له الرزق ، حتى اقبل خادم نوبى صغير وطلب منه ان يتبعه ، فسار خلفه حتى بلغ بهوا فسيحا راح يتحسس أرضه اللامعة بقدميه وهو أشد ما يكون خجلا من حذائه البالى الذى يلوث به هذا البهاء • الى أن بلغ به الخادم بهوا آخر ،أسدلت على بابه الكبير ستارة حمراء غالية ، ما ان أزاحها الخادم الصغير ، حتى ارتد هو بعينين مبهورتين من روعة الصالون الفخم الذى طالعه • والرياش الفاخر الذى رآه • وهم بان ينظر مرة أخرى ، بيد أنه فجأة وقف جامدا فى مكانه • فقد رأى نفسه امام سيدة رائعة الحسن وافرة الجمال ترفل فى ـ روب ـ فضفاض من الحرير الابيض اللامع ، انساب على جسدها الفارع كالجدول الرقراق • ورآها جالسة على مقعد كبير تهز ساقيها البلورتين هزا خفيفا منتظما • ومن أمامها وقف الشيخ الحسن يحادثها فى هيبة ورهبة واحترام •

ولما رأت الفتى رنت اليه فى كبرياء ، وألقت عليه نظرة سريعة ، وكأنها تتفحصه بعينيها الواسعتين • ثم ابتلعت نفسا كبيرا من السيجارة الفاخرة التى فى يدها ، وبعد ان تفثت دخانها فى وجهه ، سألته بصوت له رنين عذب لم تسمعه أذناه من قبل

ـ ما اسمك ؟



www.alkottob.com

فأجاب مضطربا
ـ م · م · محمد
ـ اين كنت تشتغل قبل الآن ؟
فتلعثم ولم يجب ، فأسرع الشيخ وأنقذه قائلا
ـ كان يمتلك سيارة ويقودها بنفسه
فنظـــرت اليه مرة أخـرى وقـالت وهى تتفحص وجهـه وعينيه ·
ـ هل أنت متزوج ؟؟
وانصبت أحرف هذه الكلمات فى اذنيه كالنـار الحامية ، فجحظت عيناه ، واربدت مـــلامحه ودارت به الارض فوقف مضطربا يرتعش · وكاد الموقف يتغير لولا ان الشيخ الحسن اسرع فرمقه بنظرة حادة · فرفع يده وجفف العرق المتصبب من جبينه وهو يقول بصوت متقطع :
ـ لا · ·
وهم الشيخ بان يعقب بشيء لولا انهـا كانت قد مـدت أصابعها الى زر كهربائى بجوارها · وأقبل على الفور خادم يجر ساقيه جرا ، وتقدم بجسده القصير المترهل ولما مثـل امامها كالدب قالت له وهى تنتصب واقفة وتغادر البهو :
ـ اشتروا له ثـــلاث بدل ، واصرفوا له عشرة جنيهات ، وامنحوه خمسة عشر جنيها فى الشهر ·
ووقف ذاهلا تسترجع اذناه ما سمع ، وينظر الى ما حوله ، ولما لم يجد غير الشيخ امامه يعلو البشر وجهه ، ايقن انهـا حقيقة ، وانهمرت الدموع من عينيه وغمرت يد الشيخ وهو يقبلها شاكرا له هذا الفضل
ومرت ايام قلائل تبدل فيها انسانا اخر ، تزخر نفسـه بأحاسيس شتى ، وألوان متعددة من الهناء لم يكن يعرف ان لها أصلا فى دنيا الناس ·· ولما اطمـــأن واستشعر قلبه السعادة التى يعيش فيها · كان اول شيء فكر فيـه الكتابة الى أمه ، فراح يحدثها فى رســـالة طويلة عن الهناء الذى يغمره · والشقاء الذى كان يعيش فيه ، والفرق بين الاثنـين



www.alkottob.com

وكيف انه لا يحد ، حتى لكأنه الفرق بين السماء والأرض ·· حدثها عن كل شيء · عن احاسيسه صباح هـذا اليوم الذى يكتب لها فيه ، عند ما نظر الى نفسه فى المرآة ، فرأى انسانا جديدا لم يكن يعـــرفه من قبل ، يفيض بهاء وفتنة وحيوية ، تزين قوامه الفارع وصدره العريض حلة جميلـــة زرقاء ذات ياقة منشاة وازرار صفراء لامعة صفت على الجانبين، حتى لكأنها نجوم تتألق على الصدر · ورأى شعرا جميـــلا مرجلا تزينه ـ كاسكت ـ بيضاء ناصعة تحليها عدة خطوط متعددة الالوان راحت هى الاخرى تتألق فوق الجبين الوضاح والوجه الجميل والعينين الزرقاوين كما يتألق التاج المرصع على رأس ملك من ملوك التاريخ ··· حدثها عن هذا كله وعن أشياء أخـــرى ··· حدثها عن ـ الهـانم ـ وعطفهـا عليـه وعنايتها به واهتمامها بأمره · وابتسامتها المشرقة التى تنير وجهه كلما حدثته او تطلعت اليه ··· حدثها عن المائدة الحافلة التى أمرت باعدادها له كل يوم ، وما تضم من الوان الطعام الشهى ، وما تحفل به من نعمة كبيرة · وبعد ان حدثهـا عن هذا كله أغلق الرسالة وقبلها قبلة طويلة · ثم أبقاها معه لكى يلقى بها فى صندوق البريد بيده · غير ان الهانم وهى معه فى السيارة رأتها مصادفة على المقعد الذى بجواره ، فسألته عنها ولمن تكون ؟ · فاجابها خجلا بأنها لأمه · وكأنها لم تصـدق فمدت يدها اليها وفضتها · ولم يدر لماذا شـــعر بكثير من الحرج والخوف وهو يرقب عينيها فى مرآة السيارة وهى تقرأ الرسالة بامعان ·

وظلت تقرأ فيها طوال الطريق حتى بلغت بها الســـيارة ـ مينا هاوس ـ حيث تعودت ان تتناول الشاى هناك اصيل كل يوم ـ وعندها ناولته الرسالة وهى تقول ضاحكة ·

ـ أهكذا تحب امك يا محمد ؟؟

فأطرق خجلا ولم يجب · وكأن خجله اضفى على وجهـــه جمالا آخر راقها كثيرا فراحت تتطلع اليه · ثم قالت ضاحكة أيضا وهى تهبط من السيارة مرحة كعصفور جميل ·



www.alkottob.com

ـ وتحب من أيضا يا محمد ؟؟

وصعد الدم حارا الى وجهه ولم يجب • فمدت يدها اليه وهى تنظر الى تلك الحمـــرة التى خضبت وجهه ، ودست فى يده ورقة مالية من فئة الجنيهات الخمسة وهى تقول منصرفة

ـ خذ هذه اليك • فقد تحتاج الى شىء ، وسوف اعـــود سريعا •

ونظر الى الجنيهات التى فى يده ، وراحت اذناه تسترجعان فى بطء ذلك الصوت الدافىء الذىغمر وجهه وانسكب فى اذنيه وهى تقول ـ وتحب من أيضا يا محمد ـ وكأنه أدرك شيئا فجحظت عيناه واربدت سحنته ودارت به الارض فألقى برأسه على عجلة القيادة فلم يفطن الى شىء ولا حتى اليها عند ما عادت وجلست فى السيارة وأمرته بالسير فى طـــريق معين • فانصاع سريعا الى أمرها ، وما هى الا لحظات حتى أطبق صمت رهيب لم يشبه سوى صوت موتور السيارة •• وأحست في الطريق بأنها تريد ان تقـــول له شيئا فأمرته بالوقوف وهبطت من السيارة ، وراحت تتريض على قدميها • وبعد حين التفتت اليه ، ولما لم تجده خلفها ، وغاظها ذلك ، نادته فى قسوة فلبى النداء سريعا ولكن بالسيارة أيضا •• وضايقها هذا كثيرا فرمقته بنظرة حادة،وقالت فى غلظة وهى تمد يدها وتفتح الباب الذى بجانبه وتجلس بجواره •

ـ أريدك ان تمرننى على قيادة السيارة

قالت له ذلك وألقت بذراعيها العاريتين على عجلة القيادة ، ومن ثم راحت السيارة تزحف فى الطريق ذات اليمين وذات الشمال كما تزحف الثعابين فى الليل • وبعد حين ارادت ان تقول له شيئا جديدا فنظرت اليه وتأملته طويلا، ثم سألته فجأة وعلى غير انتظار •

ـ لماذ لم تتزوج يا محمد ؟؟

وأحس بالنار تسرى فجأة فى اذنيه ، وتشتعل فى جسده، فانهار كيانه ، وغاب عن وجوده • وراح فى مكـــانه يهتـز كالمحموم ، وفجأة انخرط فى بكـــاء أخرس ، واحست هى



www.alkottob.com

بذلك ، احست بجسده المضطرب يرتعش تحت كتفها ونصف صدرها العارى المستلقى عليه ، كما احست بدموعه الدافئة تنساب رويدا على ذراعيها العاريتين ، وهالها هـذا فراحت تسأله عما به ، وتستوضحه امره ، فلم يجب بغير دموعـه الخرساء المتساقطة على ذراعيها الجميلتين فى صمت، وروعها ان تراه يبكى هذا البكاء المرير ، وكأنها اشفقت عليه ، فتحسست رأسه المحترق وضمته الى صدرها ، واخرجت منديلها الصغير من حقيبتها ، وراحت تجفف له دموعه ، ثم ناولته عجـلة القيادة فانطلق بالسيارة لا يـلوى على شىء ، وراح ينهب بها الطريق فى سرعة هائلة ، الى أن بلغ القصر ، فأوقفهـا وهبط منها سريعا وفتح الباب لسيدته ..

وأقبل عمر سريعا بلحمه المترهل وجسده القصير ومثل أمامها كالدب . فسألته عن الباشا . فأخبرها بأن الطبيب قد عاده من نصف ساعة ، وأعطاه الدواء اللازم ، وانه الان ينام نوما هادئا .. فأمرته فى لهجة سريعة دون ان تنظر الى وجهه المترهل . بأن يهيىء غرفة فى الطابق العلوى ، ليبيت فيها محمد هذه الليلة ، فقد يحتاج الامر الى استدعاء الطبيب فى الليل ..

وصعد محمد الى الغرفة الجميلة التى أعـدت له ، وألقى برأسه المحموم على الفراش الوثير ، وسرعان ما اغمض عينيه .. عن كل شىء .. عن نعومة الفراش الدافىء الذى ينـام عليه .. وجمال المخدع الذى احتواه .. واناقة الثوب الذى أعد له ليرتديه ..

وبعد حين اقبل عمر ، ودلف الى الغرفة ، ووقف امامـه كالدب ، ولما رآه يسبح فى نوم عميق عاد مطمئنا الى أنه قـد أدى رسالته ..

وبعد حين آخر أقبلت ـ الست ـ لتطمئن عليه هى الاخرى، ودلفت من الباب فى الليل كالنسيم ، تخب فى ثوب فضفاض رقيق ، ورأته فى الظلام فوق الفراش الابيض الناعم ، اشبه بالملاك المستلقى على بساط من الزهر فنظرت اليه ، فطالعهـا وجهه الجميل ، وجسده القوى ، ورجولته الطاغية .. وسرها كثيرا ما رأت فعاودت النظر اليه مرة ومرة .. ودون ان تشعر



www.alkottob.com

مدت يدها فى رفق ، وتحسست جبينه وعينيه ، وما انفعلت حتى ارتدت انامليها ترتعش من برودة الثلج الذى لمسته ..
وعادت مرة أخرى فتحسست وجهه فإذا به لا يزال مبللا بالدموع الغزار التى سكبتها عيناه . فهمت بأن تجففها له ولكنه كان قد استيقظ ، وما أن رآها تجفف له دموعه بيديها الجميلتين حتى خارت قواه وتدهورت انفاسه ، وراح ينظر اليها خائفا مرتبكا كما ينظر الانسان الى ثعبان كبير أمامه .. وكأنها احست بما يعانيه ، فاقتربت منه وربتت على كتفه وهى تجلس بجواره ، وتقول له مترفقة :

ـ لماذا أنت تبكى يا محمد ؟

فلم يجب ، فعادت تقول .

ـ لماذا كنت تبكى فى السيارة ، هذا البكاء الطويل ؟؟

فأغمض عينيه ولم يقل شيئا . وظل فى مكانه جامدا كأنه كتلة من ثلج . فنظرت اليه طويلا .. وتأملته طويلا ايضا ، ثم مدت يدها اليه ، وتلمست بعض خصلات شعره اللامع وهى تقول له فى حنان كبير

ـ لماذا لم تتزوج يا محمد ؟؟

واربدت ملامحه وجحظت عيناه جحوظا مخيفا فى الظلام ، وفجأة انخرط فى بكاء طويل ، لم يفق منه الا على صوت عمر البغيض وهو يوقظه فى الصباح . فنهض متخاذلا ، وارتدى ثيابه ، ومسح على عينيه المحمرتين بأنامله المرتعشة ومن ثم هبط الى الحديقة ، وجلس فى كشكه الخشبى المعتاد ، ينتظر الطاهى ليحضر له فطوره الفاخر الشهى .. ولكن الطاهى لم يحضر هذا الصباح سريعا كما تعود .. ولم يقدم له البيض والزبد والكيك وبعض قطع الجاتوه ، كما هى العادة . وانما أقبل عليه عمر من بعيد يدب بجسده المترهل القصير ، ووقف أمامه كالدب ، وانهى اليه سريعا انه قد استغنى عن خدماته ابتداء من اليوم .

وأسقط فى يده ، وكادت الارض تميد به ، وحاول ان يعرف السبب فهم بأن يقول لعمر شيئا . ولكن عمر كان قد تركه وانصرف . فلم ير بدا من أن ينصرف هو الآخر .



www.alkottob.com

وذهب الى الشيخ الحسن ،وراح يقص عليه قصة النعيم الذى لم يدم ، ولما أتم حديثه المستفيض ، نظر اليه الشيخ متأثرا ، وتمتم بصـــوت خفيض لا يكـاد يســـمع وهو يعبث بأنامله السوداء فى حبات مسبحته الطويلة ٠

ـ وحقيقة لماذا لم تتزوج يا محمد ؟

وأحس الفتى بأنه يريد ان يبكى ، ولكنه حبس الدموع فى عينيه ، وتناول يد الشيخ وقبلها ، شاكرا ما كان قد قدم له من صنيع ثم انصرف ٠

وفى الطريق عاوده الحنين الى البكاء ، فراحت عيناه تذرفان بعض الدموع الى أن اقبل الليل فوجد نفسه يحمل بين يديه لفة كبيرة بها عدة ارغفة وكمية من الطعمية وافرة جدا ،ويخترق فى الظلام شارع قدرى ، ويعرج منه على زقاق ضيق ، نفذ منه الى الطوار الخلفى لمسجد السيدة ، ومن ثم وقف ينظر حواليه ليرى أسرته الحبيبة ، بيد أنه لم ير هذه المرة الرؤوس الثـلاثة متشابكة فى الظلام بجوار الحائط كما تعود ان يراها ، وانمـا رأى شبحا مستلقيا وحده فى الظلام ، فتقدم منه وتفرس فيه فاذا به ـ بطه ـ مستغرقة وحدها فى نوم عميق ، وبجـوارها الكوز الصفيح وقد امتلأ او كاد باعقاب اللفائف فأيقظها ،وما ان رأته وعرفته حتى استوت جالسة ، وتناولت صامتة ما معه من طعام وراحت تأكل كما لوكانت منه على ميعاد ٠٠

ونظر اليها والى شفتيها المتلمظتين وهى تأكل وقال ٠٠

ـ أين أخوك واختك ؟؟

فلم تلتفت اليه ، وانما قالت وهى تدس لقمة كبيرة فى فمها لصغير ٠

ـ العتره فى السجن ٠

ـ السجن !!

ـ ضبطوه بثلاثة قروش

فلم يفهم ما تقول وعاود السؤال ، فقـالت ضاحكة وكأنها تسخر من غبائه الذى لا حد له ٠

ـ اصله اشتغل عند ابو شنب ، فضبطوه وهو بيوزع المزاج على أصحابه ٠

فقال بصوت خفيض وقد فهم ٠



www.alkottob.com

ـ وفهيمه ؟؟
فابتلعت لقمة أخرى ثم قالت
ـ فى الاسبتالية ٠
وهمت بأن تقول له شيئا ، بيد أنها تداركت سريعا ،فنكست رأسها فى خجل وهى تتمتم
ـ لقوها عيانه
وسادت فترة صمت كبيرة ، ترك خلالها الفتاة تأكل دون ان يقول لها شيئا وانصرف الى الطريق يسير على مهل ٠ وظل كذلك الى أن أجهده انسير ، فمد يده فى جيبه ليخرج شيئا يجفف به العرق المتصبب من جبينه ، بيد ان انامله اصطدمت بشىء آخر تبينه فاذا به الرسالة التى كان قد كتبها الى أمه ، يصور لها فيها النعيم الذى يعيش فيه ٠٠ ولم يدر لماذا شعر برغبة شديدة فى أن يقرأها ٠ فقرأها مرة ومرة ومرة ٠٠ ثم راح ينظر الى سطورها سطرا سطرا ، والى حروفها حرفا حرفا ٠ ودوو ان يحس تصلبت انامله ، فاذا بها قصاصات تتطاير من بين أصابعه ٠ وراح يبكى ٠
وأحس أنه فى حاجة ماسة الى أمه ٠٠
أحس انه يريد ان يريح رأسه هذا الثقيل على كتفيها ٠
أحس انه يريد ان يبكى طويلا ولكن على صدرها ٠
أحس انه يريد ان يتحدث كثيرا ولكن اليها ٠ فهى المخلوق الوحيد الذى يستطيع هو ان يبثه ذات نفسه دون خوف ٠ لانها الوحيدة فى هذا الوجود التى لن تسأله يوما هذا السؤال المخيف ـ لماذا لم تتزوج ـ
ودون ان يفكر ذهب الى المحطة ٠٠ وركب أول قطار ٠٠ وكان ايضا اول من هبط من القطار فى محطة القرية ٠ وراح يقطع الطريق الى الدار على قدميه ٠ بيد انه لم يمش طويلا حتى سمع صوتا يناديه ٠٠ فالتفت الى مصدره ٠ فاذا به الشيخ سيد فقيه المسجد فى القرية ، يصافحه فى حنان كبير ، ويربت على كتفه فى عطف لا حد له ، وهو يقول شادا على يديه
ـ البقية فى حياتك يا بنى
فأدرك سريعا كل شىء ، والقى بعينيه الى الارض ولم يجب ٠ !!



www.alkottob.com

# يا حبيبي

www.alkottob.com

كانت هي نفسها لا تعرف سر الفـــرحة التي خامرتها هذا المساء . ولا انباعث على هذا السرورالذيغمرها وفاضعليهاحتى ليكاد يجعل ثغرها هذا الذيعلاه الصدأ منذزمن بعيدلايني عن الابتسام لحظة واحدة كلا ولا عنالافترار الذي لا ينقطعلهوميض ... ان كل شيء فيها هذه الليلة يدل على شيء ... ينبيء عن أشياء .. ثغرها هذا الذي يبتسم .. شعرها هذا النشـــوان المسترسل على كتفيها يعابثه النسيم ويضاحكه القمر .. ثوبها هذا الجميل الذي يحتضنجسدها في رفق ويضمه في حنـــان جم ، ويعبث به في مجون غير بريء . .ولكنه محبب .. ولكنه الدنيا بأسرها عند المرأة ..

ان كل شيء هذا المساء يدل على أشياء ... حتى هذا القمر الذي كانت تجلس اليه كل ليلة في الشرفة الساعات الطوال ، وتحدثه في صمت حزين عن زوجها الذي مات ، وأنوثتها التي ترملت . وشبابها الذي ثكلته ، وهو يصـــغي اليها في صمت ولا يملك غير الدمـــوع التي كأنما يسكبها لجينا عـلى وجهها الشاحب الحزين ... حتى هذا القمر في هذه الليلة يقاسمهـا فرحتها ، ويحدثها عن هذه الفرحة حديثا شائقا عذبا ، كلهصفاء وبهاء ونور وهو يغمرها ويتسلل الى جسدها من فرجة الثوب في تلصص ونزق وطيش . وكأنه اللص الذي لا يقنع الابالشيء الثمين ... ترى هل هذه الفرحة كلها .. وهذا السرور كله . لانها فكرت فيه هذه الليلة .. شـــعرت بحاجتها اليه .. بضرورة وجوده بجانبها .. ؟؟ ولكن االى هذا الحد هي في حاجة اليه ؟ .. الى وجوده .. ؟

ترى هل لا بد لكل امرأة من ان يعيش في كيانها رجل . ؟
وتمتمت شفتاها وهي تغادر الشرفة .

ــ أجل لابد لكل امرأة من ان يعيش في كيانها رجل .

وهمت بأن تقول شيئا آخر ولكن نقرا هينا على الباب جعلها تلتفت .

وقالت الخادم وهي تنحنى لســـيدتها في أدب جم واحترام كبير ..



www.alkottob.com

ـ أتأذن لى سيدتى فى اجازة قصيرة، اغيب فيها عن القصر هذه الليلة ٠

ـ لماذا ٠ ؟؟

ونكست الخادم هدبيها فى خفر ٠ وقالت وهى تجيب على استحياء :

ـ زوجى هنا الليلة ٠

وكأن شيئا ثقيلا ألقى فى قلبها ٠ فنظرت الى الخادم الشابة طـــويلا ثم تمتمت وهى تتأمل نور الفرحة المنبثـق من عينى خادمتها ٠

ـ أتحبينه يا فاطمة ٠٠ ؟؟

ـ وهل لا تحب امرأة رجلها يا سيدتى

وانصرفت الخادم بعد أن أذنت لها سيدتها فشيعتها بنظـرة طويلة وهى تهمس بشفتيها

ـ ٠٠ أجل وهل لا تحب المرأة رجلها ٠

ثم زمت على شفتيها زمنا لا تدرى أطـــال أم قصر ٠ ولكن الذى تدريه أنها أحرقت عدة لفائف قبل ان تجلس الى مكتبها الجميل ، وتتناول قلمها وتكتب اليه هذه الرسالة

عزيزى ٠٠٠

صدقنى اذا قلت لك انه لم يكن فى نيتى انى اكتب لك ٠ وصدقنى أيضا اذا أنا اعترفت لك بأننى جاهدت نفسى جهادا قاسيا ، حتى لا تمتد يدى الى القلم ، فأطلعك على حياتى وأظهرك على دنياى ٠ لأنه لم يكن فى نيتى أن أعترف اليك بالخطأ الذى ورطنى فيه ضميرى يوم حدثنى بضرورة تقطع الاسـباب بينى وبينك ٠

هذا الحديث الذى طربت له كثـــيرا لاننى اقتنعت به ويا للأسف ٠٠ وهل هناك ما يطرب « المرأة » التى تحرص على وجودها غير الاطمئنان الى هذا ـ الوجود ـ الذى وضعت السماء خطوطه وصورته شرفا وأخلاقا وفضيلة ٠ حتى ولو قام هـــذا الوجود على مذبح الجسد نفسه ٠٠

لهذا فرحت جدا يوم ان افتقدتك ، وجاءنى «ضميرى» ووقف على انقاض انوثتى التى ترملت، وبقاياشبابى الذى ثكلته ،ورماد



www.alkottob.com

جسدى الذى أحرقه الحرمان ، وقال لى وهو يطمئننى على هذا الوجود انه سيجعلنى اصون اجنحتى من الاحتراق وهى تحلق فى شمس السعادة الدنيوية ·· والغريب أننى صدقت · وما كنت أدرى ويا للأسف ان غرريرة تصغى غرير ·· وان هنـــاك قـــوة فوق قوة الضمائر تتحكم فى مصائر الناس ، وتدفعهم دفعا الى ما لا يريدون ·· أظنك تريد أن تعرف ما هى هذه القوة ؟؟

سل شبابك الفتى ·· سل رجولتك الطاغية : سل رغباتك الجامحة ·· سل القوة التى تصطرع فى عينيك ·· والنار التى تستعر فى شبابك ·· سل ثغرك وكأنه مخلب صقر عند ما ينقض على شفتى ولا يتركهما الا وأنا جريحة مهيضة الجنـــاح ألوذ بأحضانك ·· أنتفض بين ذراعيك ·· أرتعد من عينيك وهى تمطر وجهى بالنظرات ··

سل هذا كله · اجيبك ـ أنا ـ عن شرارة واحدة تندلع من جمرة الانوثة · وكيف تصنع بجسد « امرأة » ولا أقول بجسد عذراء ·

ان الزهرة لا تعرف افضال الربيع وهى فى الخميـــلة يحنو عليها الغصن · وانما تعرف هذه الافضـــال وهى ذابلة تلفحها حرارة الصيف ·

عند ما تذبل الزهرة وتجف أوراقها تعرف كيف كانت ر انفاس الفجر ·

وعند ما يقبل الشتاء فقط نسأل أين هو المعطف ··

أما اذا دمدم هزيمه فلا مناص من المدفأة

أظنك الآن عرفت شيئا عن تلك القوة التى تدفعنا دفعا مالا نريد · وقد تدمر فى لحظة واحدة كل ما شيدته لنا الضمائر من مثل · وكيف انها عنيفة قاسية تعصف ـ ان أرادت ـ بكل شىء حتى بالضمائر نفسها ·· ولكنها وهذا من سوء الحظ ـ لا تميتها أبدا · وانما تبقى عليها لتستيقظ فجأة ، ولكن بعد فوات الفرصة · وا أسفاه · وهذا ما يسمونه « العذاب » أو الضمير نفسه والا اين هذا الضمير الان وانا اكتب اليك هذه الرسالة على الرغم منى ؟ صدقنى اذا قلت لك على الرغم منى · وصدقنى أيضا اذا قلت لك أننى فكرت طويلا قبل أن أكتب اليك



www.alkottob.com

لعلنى أجد فى هذا التفكير ما يحول بينى وبينك · اذ أن فى هذه الحيلولة ـ اذا وجدت ـ ما يحفظ لى وجودى كامرأة ·· ولكن وا أسفاه كانت القوى كلها تدفعنى اليك ·· تذكرنى بك ·· تذكرنى بذلك الفردوس الذى فقدته يوم ان افتقدتك ·· تذكرنى بتلك الجنة التى عرضها السموات والارض · والتى كثيرا ما حلقت فى سمائها · وجبت ارجاءها وانا ملتصقة بك الوذ بأحضانك ··

انظن أن فى الوجود امرأة مهما جنح بها الغرور وعصفت بها الكبرياء ، تكون شيئا مذكورا اذا ما ضمتها أحضان من تحب ·· انهدهدها صدره ·· ان طواها ساعده ·· اتذكر اخر لقاء لنا ؟ اتذكر ليلة انهرم ·· ليلة ان اتخذنا من سفحه محرابا نصلى فيه ـ للحب ـ والقمر من فوقنا يباركنا بنوره · ويرسل علينا من سمائه ذلك الصفاء الذى كان يحفظ شفاهنا من الاحتراق كلما اتقدت الجذوة ، واستعر اللهب · وكيف اننا لما تعبت جباهنا من كثرة الصلاة جلسنا فى صمت نتحدث عن « الاحباب » ·· انت تحدثنى عن « الانوثة » ووقدتها ·· وأنا أحدثك عن « الرلاولة » وقسوتها ·

وهل كنا نملك غير الصمت نفصح به عن سعادتنا ، نعبر به عن تلك اللحظات التى تدق على الذاكرة ولا يعى القلب منها الا ذلك الاثر الذى تخلفه النشوة · هل كان لنا ـ يا حبيبى ـ غير الصمت نصور به ذلك الابتهاج النزق الذى يغمر القلب ساعة فرحته ·· ذلك السرور المتدفق فى حضرة الحبيب ··· ذلك النغم العذب الذى تهمس به الشفاه للقلب عندما يعجز العقل عن ان يحل عقدة اللسان ·· اجل هل كان لنا ياحبيبى غير ذلك الصمت العبقرى نفصح به عن رغباتنا ··· ولكن ترى ما هى هذه الرغبات · ؟ هل استطعنا يوما ان نصورها ·؟ ان نعرفها ؟ وهل يستطيع العاشق ان يعرف ما هو ذلك ـ اليقين ـ الذى يستشعره القلب اذا ظفر بالمخلوق الذى جعلته الطبيعة من نصيبه يصور ذلك النور الالهى الذى يغمر القلب ويفيض على الكون ، ويضفى على الحياة نفسها ذلك الكساء الجميل الذى لا تراه العين ··



www.alkottob.com

... اننا فى تلك اللحظات . نعرف جيدا الشىء الذى نسعد به . ولكننا لا نعرف ابدا ما هى ـ السعادة ـ وهذا من حسن الحظ لاننا ان عرفناها نكون قد افتقدناها .. اننا كلما رقينا بعواطفنا ، وسمونا بنفوسنا ، وبلغنا ذلك الحرم المقدس .. ومس قلوبنا ذلك السحر الالهى . الذى يسمونه ـ الحب ـ نكون قد احترقنا . .نكون قد مزقتنا تلك النار . التى كلما خبت جمراتها . اشعلها الحب بارناءة من انطرف .. او بسمة من الثغر .. او لفتة من صدر خافق .. او همسة من فؤاد حبيب ...

والغريب يا حبيبى ان تكون هذه وامثالها ـ من اللفتات العابرة ـ هى وقود الحب . بل وهشيمه الذى لا تخبو ناره . ولكنها لم تكن ابدا رماده .

لهذا يا حبيبى .. نحن نعرف جيدا ـ فى تلك اللحظات ـ الشىء الذى نسعد به . ولكننا لا نعرف ابدا ما هى تلك السعادة

ولما طال صمتنا يا حبيبى . وتعبت شفاهنا من كثرة الاحاديث عن « الاحباب » وهممنا بان ننصرف . كنا قد اشرفنا على السطور الاخيرة من كتاب الدنيا الذى الفناه . وكنت انت عنوانه وانا يا حبيبى صفحاته . ولما سألتنى ونحن فى الطريق عن نوع الغلاف الذى يحفظ هذا الكتاب من البلى ، ويجنبه عاديات الزمن . قلت لك وكنت صادقة لاننى حريصة ـ على الكتاب ... ليس سوى احضانك انت هى التى تحفظه ... وكم كنت كريما ياحبيبى عندما خلقت له من ذراعيك جلدتى كتاب .

نعم .. ثم ماذا يا حبيبى ، فرق الدهر بيننا فبات الكتاب من غير عنوان . وامات القدر سعادتنا فباتت سطوره عارية تتناهبها صنوف البلى . وتأتى على حروفها نسمات الليل ..

لست ادرى هل ما زلت تذكر ذلك « الكتاب » ... ؟ اظن انك تذكره . .وهل تنسى انك كنت يوما عنوانا لكتاب جميل منسق الصفحات ، عذب المعانى ، حلو التراكيب ؟ .. اما انا فكل صفحة من صفحاته .. كل سطر منه .. كل حرف من حروفه . كل هامش من هوامشه . انما يذكرنى بك ..



www.alkottob.com

يحدثنى عنك ٠

ترى هل ستعود يا حبيبى ٠٠ فيعود ـ الكتاب ـ الى بهجته ويعود الى صفحاته ذلك الاشراق ٠٠ ذلك البهـــاء ٠٠٠ ذلك النور الذى يسهل عليك قراءته ٠٠ استيعاب معانيـــه ٠٠ تذوق سطوره ٠

ترى هل ما زلت عند عهدى بك تحب هذا ـ انكتاب ـ أم تعبت عيناك من القراءة وكثرة الاطلاع ٠ ؟؟

أذكر انك قلت لى يوما وكان الكتاب بين يديك ، تمعن النظر فى فصل جميل من فصوله ٠٠٠

ان المرأة الجميلة ، تخلق المعجزات لان جمالهانفسه معجزة ـ فلم اصدقك وأسفاه ٠٠ لاننى لم اكن فى ذلك الحين او من بالمعجزات ٠ ولذلك سألتك عن المعجزة التى خلقتها ـ انا ـ فقلت وانت تضم انكتاب فى رفق وتحنو عليه فى حنان ٠

ان مجرد حرصك عليه وحبك له هو المعجزة ٠

فأين ٠٠ اين هذا الحرص ؟ اين هـــذا الحب ؟ اين انت يا حبيبى هل بطل السحر ٠ ؟ وفسدت الرقى ٠ ؟؟ ٠ وذهبت أثار التعاويذ حتى تغيب عنى كل هذا الزمن ٠ تنسانى ٠ ٠ تحرقنى بهذه النار ٠٠

أيرضيك ان تذبل الزهرة ٠ ويجف العود ٠ وتتنـــاهب الخميلة لفحات الصيف ٠ ؟ ٠٠ ان قلبك الكبير ياحبيبى اشفق من أن يجعل زهرة واحدة فى « الخميلة » هى التى تختنق ٠٠ بينما انفاس الربيع تغمر الخمائل ٠ والحياة تدب حتى فى أوراق الخريف ٠

كل شىء حولى يبتسم ٠٠٠ يضحك ٠ ٠
القمر يصب ضحكاته على الزنابق ٠٠
انسام السحر تعطر افواف الورد ٠٠
عبير الزهر يعبق فى الخمائل ٠٠٠
غناء الطير يرجعه الليل انغاما ٠٠
خرير الماء يرسله الجدول الحانا ٠٠
كل شىء حولى يبتسم ٠٠٠ يضحك ٠٠٠ ترى هـل لانك



www.alkottob.com

ستجيء كما قلت لى ·· ام لاننى فرحة الليلة بما سيكون · باللقاء المنتظر ·· بالسعادة انتى ننشدها ·· ولكن الى هذا الحد تكون فرحة اللقاء ·· ؟

·· آه لو كنت معى منذ ساعات اذن لرأيت ، كما رأيت أنا · كيف ينبثق النور من وجه ـ الخادمة وهى تستأذن فى ليلة تقضيها مع من تحب ·· اليست هى الاخرى امرأة ؟ ··

وأنا ·· أنا يا حبيبى الست امرأة ·· ولكن ترى هل يسعدنى الحظ · فاسعد بك كما سعدت ـ خادمتى ـ الليلة ؟؟

تقول انك ستعود الى مساء الثلاثاء ·· ولست ادرى كيف سأقضى الاحد والاثنين فى هذا الانتظار · ؟ · ولكن الذى ادريه لاننى متأكده منه · هو اننى سأنتظر ·· وسأنتظر ·

« زوزو »

ولما اتمت الرسالة · رجعت اليها من جديد · فسرها جدا انها عبرت له عن حقيقة عواطفها ومدت يدها طروبا منتشية وتناولت مظروفا جميلا وراحت تكتب العنوان ·

شيء واحد هو الذى خنق القلم بين انامله · وردها الى نفسها ذاهلة · واعاد الى وجهها من جديد ذلك الشحوب الدائم والسهوم المرير · ذلك هو « العنوان » والى من يكون · وهى التى لم تعرف رجلا منذ زوجها الذى مات · وانوثتها التى ترملت ، وشبابها الذى ثكلته ··



www.alkottob.com

# نهار الصباحية

www.alkottob.com

كان الشيء الذى يخيفها ويخفق له قلبها ، هو ليلة الزفاف وكيف تمر بسلام · فللزفاف فى قريتنا تقاليد مرعية · فمثلا لا بد من ان يبيت الجمل ليلة ـ الجلوة ـ حاملا « التختروان » امام بيت العروس · حتى اذا ما حانت صلاة العشاء بدأت ليلة « الدخلة » وتجمع الاهل والاصدقاء والاحباب امام البيت · خرجت العروس على اكتاف اثنتين من بنات العم او بنات الخال او من تختار هى ان لم يكن لها عم او خال ·وتوضع العروس ملفوفة فى الشال الحرير الاحمر فى قلب ـ التختروان ـ الكبير مع اربع بنات من بنات الاهل ، وواحدة اخرى يتحتم ان تكون اخر من تزوجت فى القرية ، وهذه عليها مهمة خطيرة وهى ان تقص على العروس فى صدق واسهاب دقائق واحداث الليلة الكبرى · وما ان يفك عقال الجمل وينهض واقفا حتى تشق عنان السماء خمس طلقات نارية تنبعث مزغردة فى الجو معلنة بدء الزفة فتتعالى الزغاريد ويتساقط الملح كالمطر ليغمض عين العاذل والحسود ·

وبسير الجمل بالتختروان يتهادى كالطاووس وسط الجموع المحتشدة وامامه ـ المزيكة ـ تعزف لحنا شجيا حتى اذا ماطاف الركب باهم شوارع القرية وازقتها وبلغ بيت العريس ـ واناخ الجمل اطلقت عشر طلقات فى الجو فتقابلها فى الحال احدى عشرة طلقة اخرى تنطلق من بيت العم او الخال او الصديق الذى يستحم العريس فى بيته · وعلى الاثر تبدأ زفة العريس الذى يخرج الى الطريق يتيه باللاسة الحرير التى يعصب بها رأسه وتتدلى اطرافها على الحاجبين المزججين والعيون السود التى طمسها هباب الشمعة والكوفية البيضاء الملفوفة حول العنق بحيث تتدلى على الصدر والكتفين ويخب فى جلباب من الصوف تزحف اذياله على الارض ويختفى تحتها الحذاء الاصفر الفاقع ذو الازرار والرقبة ومن المحتم ايضا ان تكون « الازرار » ستة وذلك لحكمة تعرف عندما يبلى الحذاء فتنتزع الزوجة هذه الازرار الستة من الحذاء وتعلقها فى ضفيرتها مع بعض التمائم والتعاويذ ، التى تظل على ظهرها طيلة الحياة،



www.alkottob.com

وذلك تبركا وتقديسا لذكرى ليلة العمر

ويسير العريس وسط ستة من اقرب الاصدقاء اليه يحملون الشموع وطاسات البخور التى تنبعث منها رائحة الفسوخ والجاوى وعين العفريت وامامهم شباب القرية يقرعون العصى على ضوء المشاعل ويطلقون البنادق حتى يبلغ الموكب الدار فينطلق العريس الى داخل الغرفة التى تكون فيها ام العروس او من تختارها اذا لم تكن امها على قيد الحياة . ومن ثم يغلق الباب اغلاقا محكما فى حين يقف الستة الذين كانوا يحملون الشموع صفا امام الباب يرقصون ويرددون على توقيع الاكف انشودة معروفة ينشدونها مهما طال بهم الوقت الى ان يفتح الباب فجأة وتخرج منه ام العروس او من تقوم مقامها مزغردة ناشرة على رؤوس الاشهاد منديلا كالعلم . وما ان يرى فى يدها حتى تتعالى الزغاريد وتنطلق احدى وعشرون طلقة معلنة فى سماء القرية سلامة الشرف الرفيع من الاذى !

وكانت ترى هذا كله فتخاف اعنف الخوف . وتستمع الى ذلك كله فتنتفض رعبا . وتصغى الى ما تسره اليها صاحبتها فى الهودج فينهلع قلبها حتى ليكاد يسقط فزعا من بين جنبيها .

.. انها لم تكن لترضى عن هذا كله ولم تطمع فى شىء من هذا كله ، ولم تفكر اصلا فى الزواج لانها تعلم انه سيجر عليها كثيرا من المتاعب وسيجرها الى كثير من الاذى الذى لا تتحمله بتيمة مثلها . لا احد لها فى القرية ولا حتى صديقة فقد مات ابوها قبل ان تعرف ماهى الابوة . فنزحت بها امها فى طلب الماء الذى انقطع ، والرغيف الذى امتنع . وظلتا تنتقلان من صعيد الى صعيد . ومن قرية الى قرية حتى حطت بهما الرحال فى عزب الافندى ـ وهناك عاشتا كأنما فرضت عليهما الحياة فرضا وأرغمتا على الدنيا ارغاما . وكما يقدر لبعض الزهور ان تنبت فى الصحراء وتزدهر على لفحات الرمال ووهج القيلولة كذلك نبتت « سلمى » وازدهرت وغدت باقة يتضوع عطرها فى عزب الافندى وتهفو اليها القلوب . ولكن هذه الزهرة لم



www.alkottob.com

تلبث ان ذبلت فجأة فقد امتدت اليها يد آثمة اقتطفتها

ألفت سلمى نفسها وحيدة فى هذه الدنيا تبكى امها التى ماتت ، وتندب امومتها التى تتجمع اثما وعارا فى أحشائها · والناس لا يضيقون بالاثام الا اذا انكشفت · ولا يتبرمون بالرذائل الا اذا انتشرت · اما اذا ظلت فى الخفاء فهم امناء عليها سعداء بها · سعادتهم بالتحدث عن الفضيلة جهرا وعلانية

ولامر ما ، يقدر للمرأة ان تتعهد وتجنى اثام غيرها وشعرت سلمى بثقل هذه الاثام التى تنشر اجنحتها عليها ، وتتبعها فى النوم وفى اليقظة وفى الليل وفى النهار فاختفت عن الانظار وذهبت الى كهفها المظلم واغلقته عليها بعيدة عن كل عين · ومرت الايام سريعة على غير انتظار ، وما اسرع ما تمر الايام على الذين لا يريدون لها اسراعا ·

وجاءها المخاض فى ليلة كريهة مظلمة ككهفها الذى تعيش فيه ، وخشية ان تفجعها الخطيئة فتصرخ ، او يعصف بها الاثم فتستغيث · تسللت فى الليل تحمل عارها ، وذهبت الى حقل الذرة المجاور للقرية وهناك وضعت على ارض هذه الدنيا جنينا ينكره ابوه وتستنكره امه ، وتلفظه الدنيا ولا يعترف به الدين وهمت بأن تتركه وترتد مع عارها كما اقبلت به فى عتمة الليل لكن هذه الفلذة التى اقتطعتها من كبدها · هل تتركها فى الظلام نهبا لذئاب الحقل ؟ · ·وارتدت اليها هلعة جزعة مفجوعة ! وضمتها الى صدرها فى حنان وعطف لم يستشعرهما جسدها المقرور من قبل ، ومن ثم تسللت بها خائفة كمن تتسلل بشىء ثمين · وما ان بلغت المصلى القائم على جسر انترعة الموصل للقرية حتى وضعتها فى رفق ·وجلست فى الحقل ترى وتتأمل وتنظر ماذا افاد القدر من جنين انكرته الحياة قبل ان يجىء اليها ·

وأقبل مع الفجر شيخ عجوز يتوكأ على عصاه وعند المصلى نزع حذاءه وتوضأ وما ان اتجه الى القبلة حتى رأى شيئا ملقى فى الليل فانتفت اليه · ومد الشيخ ذراعه الواهية وهو يبسمل وتناول الخرقة المهلهلة ورفعها الى صدره ليرى مافيها



www.alkottob.com

وما ان كشف عنها حتى لمعت عيناه وارتد الى الخلف وهـــو يتمتم بشفتيه المتعبتين .. وليد .. !

وصمت الشيخ حينا . ونظر الى السماء مرة . والى الليل انبهيم مرة اخرى ومرة الى الوليد الذى يشع النور من وجهه ولم تتفتح عيناه بعد ولما لم ير ولم يسمع عاد فأرسل طرفه الكليل الى السماء مرة اخرى ثم اتم صلاته وانصرف به الى القرية ولم يكن يدرى وهو يسير حاملا اياه على ذراعيه الواهنتين وصدره ان امه تودعه باحر العبرات ، وتشيعه بخـــالص الدعوات .

ومرت ايام وايام ولما اطمأنت سلمى الى ان احدا فى القرية لا يعرف صلتها بهذا الاثم والعار الذى احتضنه الشيخ وأبى الا أن يكون عليه حفيا وبه ضنينا ، استردت بعض انفاسها ، وراحت فى هدوء ترسل الطرف خلسة الى دار الشيخ لـــترى دنياها المحرمة .

ولكن العار له رائحة تدل عليه وتهدى اليه ، وللخطيئـــة انفاس واحاديث تمتد الى بعض الاذان . فقد بدأ اهل القرية ولا سيما العجائز الذين هدت الايام قواهم واقعدتهم مع النسوة فى الدور نلتلصص واستراق السمع . يتحدثون عن الطفـــل الذى عثر عليه الشيخ منصور فى العراء وهو يصـــلى الفجر وبدأت تحس ان العيون تمتد اليها خفية كلما سارت كمـــا بدأت تعرف ان هذه العيون لها نظرات اشد حرقة من الجمر . ولما لم تستطع احتمال هذا الاذى ولفحات هذه العيون . غادرت القرية وهى اشد ما تكون لوعة على هذا الذى تركته فيها .

ومضت ـ سبع سنوات ـ لم تعرف سلمى كيف مضت ولا كيف احتملت مرارتها . فهى لم تمكث فى قرية من القـــرى اكثر من شهور ، ولم تمكث فى عزبة من العزب اكثر من اسابيع تغادرها بعدها فى طلب الرغيف الذى كان يمتنع احيانا ويكون اعز منالا من امانيها التى ترملت ، ولكنها تذكر بأنها نزحت الى هذه القرية من عزب الافندى مع من نزح اليها فى ايام الحصاد وانها تعرفت فيها على اسرة كريمة نزلت عليها فاكرمتها واعزتها



www.alkottob.com

وجعلتها من افرادها ·

وكان لهذا الجميل اثره فى نفس الفتاة فاستعادت شبابها وعادت اليها فتنتها ورجع اليها جمالها ·· رجع جبـــارا قويا يتفجر انوثة ويلتهب حرارة ويفيض على الناس نورا وفتنـة · وكان ان شغل هذا الجمال اكثر من فى القرية فتقدم اليهـا غير واحد من شبانها يطلب يدها · وهى لاتكره الا هذه الايدى التى تمتد وهذا الزواج الذى يلحون عليها فيه ويريدونه لها·فالموت اهون عليها من هذا الذى يطلبون ، انها قنعت من دنيـــاها بهذا الذى لاقته · ورضيت من حياتها بهذا السواد الذى تعيش فيه · ان تعزيتها ان السماء وحدها هى التى تعرف سرهاوانها وحدها هى التى تعطف على فجيعتها فكيف تكشف السرللناس وتطلب من الناس العطف عليها ·

وفكر شاب فى القرية فى هذه التى ترفض كل يد وتحتقر الرجال وتزدريهم ، وكان فتى ملحوظا لثرائه وقوته · ومعانه لم يكن يفكر فى الزواج فقد فكرفيه ومع انه لم يكن يفـــكر فى هذه الفتاة فقد فكر فيها طويلا ، وفكر فى هدوء واتزان ، ولما عقد العزم تقدم اليها فرفضته ايضا · ولكنه اصر · واصر فى حزم وعزم وقوة ليس الى ردها من سبيل · وكان لهـذا الاصرار الذى بذل فيه الفتى اكثر من طاقته ، والحاح الاسرة الكريمة التى احتضنتها اثرهما · فقبلت الفتاة مرغمة · وهى لا تدرى اقبلت لانها احبته ام لانها فى حاجة الى رجل · امقبلت لانها خافت من الموت الذى هددوها به · ام لانها ارادت ان تنهى حياتها على أى وضع من الاوضاع ·· ولكن ·· ولكن ماذا ·· ولكن هذا الذى هو من خيرة الرجال حسبا ونسبا ·· وامتقع لونها وانسابت دموعها على خديها المقرورتين ولكنهااسرعت ومدت يدها تحت الشال الاحمر وجففتها وهمت بان تقـــول لنفسها شيئا اخر وهى فى الهودج · ولكن زميلتها التى هى احدث المتزوجات فى القرية مالت عليها وقالت لها شـــيئا اخر كانت تسمعه من قبل · فانعقد لسانها له وجعل العرق يتصبب من وجهها الذى شحب فجأة وغدا تحت الشالالاحمر



www.alkottob.com

كانه كتلة من الثلج · وظلت كذلك كانها شبح من الاشباح لم تفطن الى شيء ولم تنتبه الى ما يدور حولها · حتى الاحدى عشرة طلقة التى دوت فى الليل عندما اناخ بها الجمل امام بيت العريس لم تسمعها · وكذلك لما دخلت الغرفة التى زينوها بالصور والتماثيل ورسموا على بابها صورة الزناتى خليفة وديباب بن غانم وابى زيد الهلالى · ودهنوا جدرانها بالجير ووضعوا فى قلبها السرير الكبير المرتفع الذى لا تبلغ سطحه الايدرجات ثلاث ، وهذا شعار اهل الثراء فى القرية · حتى هذا كله لم تفطن اليه · بيدانها استيقظت فجاة عندمارأت الباب يفتح على مصراعيه ويدخل منه العريس فرحا مبتهجا يفيض شبابا وقوة ورجولة متوثبة تكاد تطفر من عينيه · وتقدم منها ومد لها يده الصلبة المتحجرة وسط عاصفة من الزغاريد · فجاهدت نفسها حتى مدت له يدا ذليلة · مقرورة ترتعش · ولما صافحها التفت الى النسوة الموجودات فى الغرفة وأمرهن بصوت كانه زئير الاسد فى العرين ان يخرجن جميعا · وهمت امه بان تعترض ولكنه اصر فخرجن جميعا واغلق خلفهن الباب

ورأته وهى فى مكانها على السرير كأنها كومة من الثلج تجمعت فوق الجبل · يقبل عليها فخافت واغمضت عينيها حتى لا تراه · ولكنه اقترب منها فى هدوء وكشف عن وجهها الشال الحرير الاحمر فلم تطرف ، فتناول ذراعيها الواهنتين وضم صدرها المضطرب الى احضانه وقبلها فى جبينها ، فلم تطرف ايضا · ولما احس ببرودة جبينها والعرق يتفصد منه تناول فى هدوء ـ كوفيته ـ الحرير البيضاء ومسح على وجهها حتى جفف ومن ثم تركها ووقف منها غير بعيد · واخرج من جيبه منديلا نظر اليه ولما اطمأن الى مافيه فتح الباب والقى به على الجمع المحتشد خارج الغرفة ثم عاد واغلق الباب وسط عاصفة من احدى وعشرين طلقة نارية صعدت تشق عنان السماء فى الليل · !

ومضت لحظات لا يعرف هو ولا تدرى هى كيف مضت · ولكنها تعرف كيف جاهدت جهادا مريرا ، وكيف جاهدتها نفسها



www.alkottob.com

الذليلة المنكسرة جهادا امر ، حتى فتحت عينيها ونظرت اليه وجلة مطلعثمة وقالت متقطعة الانفاس كمن يمهل قاتله لحظات .

ـ ماذا القيت اليهم ؟

فقال وهو يقترب منها خطوة اخرى :

ـ الشيء الذى ينتظرونه !

ـ ولكن ... هل كنت تعلم !؟

ـ كنت أعلم !

ـ وشرفك ؟؟

ـ آنه مصون . وانك له خير حافظة

فقالت وهى تهزه من كتفيه هزا عنيفا لعله يستيقظ

ـ والاناء الذى تلوث

ـ لقد طهرته سبع حجج

وتمتمت شفتاه ـ « الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم » .

فارتمت عند قدميه وقالت وهى تمسح على حذائه بعينيها ولسانها :

ـ والكلب الذى ولغ فيه ؟

فقال فى صوت خفيض وهو ينهضها ويربت على كتفيها فى حنان جم وعطف كبير :

ـ ليغفر الله لى وله !!

قال ذلك ثم تركها وانصرف على أن يعود ولكن بعد حين.

شيء واحد هو الذى رد اليها حياتها . واتم عليها نعمتها . وجعلها لا ترضى بغير دنياها بديلا ذلك ان باب الغرفة فتح عليها او لما فتح ـ نهار الصباحية ـ ودخل منه الزوج وقال وهو يقدم لها طفلا ذليلا فى السابعة من عمره عارى القدمين ممزق الثياب .

ـ ألست معى فى ان الواجب يحتم علينا ان نتكفل بهذا الصبى الذى وارينا « والده » التراب من يومين !



www.alkottob.com

# الست الناظره

www.alkottob.com

ما كاد جرس المساء يدق رنينه فى ارجاء المدرسة حتى تنفست الصعداء ناظرتها الحسناء .. واصدرت امرها الى البواب الكهل بان يسرع باغلاق الباب الخارجى وراء اخر طالبة او مدرسة تغادر الفناء ولا يفتحه لاحد سوى ام محمد الفراشة عندما تعود من الخارج ، ذلك لانها فى هذا اليوم . بل على وجه التحقيق ، منذ ظهر هذا اليوم قلقة مولهة تريد ان تسبق العمر وتستعجل الزمن ، لكى تخلو المدرسة وتنفرد بنفسها فى غرفتها ..

انها تريد فى هذا اليوم الذى ولد صباحه مشرقا بساما . وكأنه ولد واشرق فى قلبها ، ليبدد ظلام خمسة عشر عاما قضتها فى هذه المدرسة ، مدرسة فيها ثم ناظرة لها ـ تريد فى هذا المساء أن تكون لنفسها فقط بعد ان قضت خمسة عشر عاما متفرغة لواجبها بعيدة كل البعد عن انوثتها التى قتلها النسيان . وجسدها هذا الظامىء الذى اضناه الحرمان وبرح به الشوق الى المنهل العذب .

اذ الجرس ما كاد يصلصل حتى انصرف كل من فى المدرسة وحتى ركضت الناظرة الحسناء ركضا الى مخدعها واغلقت بابه خلفها واحكمت رتاجه الداخلى ، وما ان احتواها المخدع الخالى واطمأنت الى انها وحدها والى انها الان خالصة لنفسها فقط ، حتى راحت تخطر على مهل ، مترنحة الاعطاف ثقيلة الساقين تنقلهما فى رفق ولين .. منتشية مخمورة كالطائر الهيمان . وما ان بلغت السرير الفخم القائم فى اقصى اليمين كالزورق الفضى حتى القت بجسدها النشوان عليه القاء وغاصت فى دثره الناعمة الملساء التى احتضنت جسدها فى حنان جم وعطف كبير ..

ثم اسندت رأسها الصغير الجميل على الوسادة الوردية التى انطرح عليها شعرها الفاحم الناعم وتهدلت خصلاته فى اهمال فاتن حول العنق والكتفين وغطت الصدر الناهد الثائر الذى تجمعت فيه الليلة فرحة الدنيا وبهجتها . ومضت لحظات اغمضت خلالها عينيها ، وغابت عن كل شىء فى الوجود . الا عن هذا الجسد المنطرح الذى تعتمل فيه النشوة الكبرى



www.alkottob.com

وتصطرع فى كيانه لذة الدنيا ، منذ ان انتصف نهار هـذا اليوم · او منذ دخلت عليها الفراشة فى مكتبها تحمل اليها تلك الرسالة الزرقاء المعطرة بنعيم الدنيا وشذى الحياة ··

انها منذ نيف وعشرين سنة تنتظر هذا اليوم السعيد هذه اللحظة الخالدة ، هذا الامل المنشود الذى جاهدت فى سبيل تحقيقه جهادا مرا ، وجاهدت معها ايضا امها التى تعيش بعيدا عنها جهادا مرا وكذلك جاهد معها جسدها هذا الفتى جهادا مرا ، لكم حملته مالا يطيق وسيرته فى الطرقات وجعلته يؤم الاماكن الخاصة والعامة · وهو مرهق بفاخر الثياب وغالى الجواهر لعل احدا يمد لها يده ويريحها من كل هذا العناء · ويقول لها هأنذا الزوج الوفى الذى تنتظرين ··

ولكن هذا لم يحدث ، رغم جمالها الذى تطرب له كل عين ، ورغم المجهود الذى بذلته وكانت تدفعها اليه انوثتها دفعا · بيد ان هذا كله تحقق وتحقق بسهولة ويسر · بل تحقق ببساطة ، لم تكلف الخطيب العاشق سوى هذه الرسالة الزرقاء الجميلة التى بعث بها اليها ظهر اليوم مع البواب الكهل ··

وما ان ذكرت الرسالة ومرت بخاطرها كالنسمة العابرة ، حتى مدت انامله الرقيقة الى مكان مكين من الصدر النائم المستلقى كأنه تعويذة الدنيا ، واخرجت رسالة زرقاء جميلة اللون مرتبة الحروف · منظمة الخطوط وراحت تقرأ للمرة المائة او الالف لا تدرى ، وكلما قرأت حرفا وقفت عنده حينا ، وكلما اتت على سطر رجعت اليه وتأملته وحدقت فيه وكأنها تنهبه انتهابا بعينيها الجميلتين ، ولما فرغت منها عادت اليها ثانية وقرأت هذه المرة بصوت مسموع هذه العبارات ··

استاذتى الجليلة ·

« ليس احب الى من هذه اللحظة التى اكتب فيها اليك وليس احب الى قلبى من ان تشرفى ما اكتب بقراءته ، اننى لا اطمع فى اكثر من لحظات امثل فيها بين يديك ·· ولعلنى أطمع فى ان تلبى رجائى فى تحقيق الامل الحلو باللقاء فى مكتبك بالمدرسة الساعة العاشرة صباحا ·· لقد كان بودى ان



www.alkottob.com

اختصر الطريق ، واحضر اليك فجأةوبلا سابق معرفة اومقدمات ولكن قيل لى انه محظور دخول المدرسة الا باذن خاص منك . فآثرت ان تسبقنى هذه الرسالة لعلها تشفع لى عندك فتأذنى فى بهذا اللقاء الذى اعقد عليه غاية الاماني ..

وانى يا استاذتى الجليلة وحتى الساعة العاشرة من صباح الغد لادعو الله تعالى ان يجعله لقاء مباركا يعود علينا معا بأطيب الثمرات ..

**المخلص : ابراهيم أمين**

وما ان اتت على هذا الاسم حتى وقفت عيناها عليه تتأمله وتنعم فيه النظر وكأنها تراه لاول مرة .. ترى من يكون هذا « الابراهيم الأمين » .. ؟ ترى من يكون صاحب هذا الاسم الجميل الذى ترن موسيقاه فى قلبها رنينا عذبا فتهدهده حينا وتوقظ مشاعره حينا اخر .. ؟ انها لم تعرف احدا بهذا الاسم ، ولا حتى بغير هذا الاسم ..

ترى هل هو جميل .. ؟ ترى هل هو الزوج الذى تنشده؟ ترى هل هو الفتى المملوء قوة وحرارة وحياة ؟ .. ترى هل هو الرجل الذى تنتظره انوثتها من عشرين عاما ليكبح جماحها ويخمد ثورتها ويطفىء نارها هذه التى لم تخمد جذوتها قط ؟

وما ان ذكرت هذه النار التى تعانى أوارها من زمن بعيد حتى احست بها تسرى فى جسدها المستلقى على الفراش الوثير مبسوطة الساقين فى استرخاء . وهى لا تكره شيئا مثلما تكره هذه النار التى تؤذيها وتلهب انوثتها حتى لتكاد تحيلها الى جذوة تنفث لهبها فى قلب الجسد المرهق المشبوب . بيد انها فى هذه الليلة سخرت من هذه النار على غير العادة !

انها الليلة وفى هذه اللحظة بالذات منشغلة عن الصيف بانتطلع الى الغمام الذى من ورائه الغيث العميم ، انها منشغلة عن النار بما سيطفىء النار ويخمد جذوتها ، انها الان على الشاطىء ترنو بعينيها الجميلتين الى الجدول الذى ينساب من بعيد مترقرقا كأنه الدنيا . مقبلا كأنه الامل ... ان جرعة واحدة من هذا الجدول لكفيلة بان تعيد الى هذا الجسد



www.alkottob.com

الظامىء حياته ودنياه ، وان ترد اليه بهجته واشراقه ·· وأن تعوضه ما فقده فى عشرين عاما ! ··

ولمعت عيناها لمعانا خاطفا · وتمتمت شفتاها فى هدأة الليل الساجى ، أريد أن أعرف من يكون ؟ ·· اخشى ان يكون رجلا تقدمت به السن · او تكون له زوجة تقاسمنى سعادة الدنيا او تشاطرنى فرحة العمر ·

وصمتت حينا لا تطرف ثم تمتمت هامسة :

ـ ولكن لماذا تأخرت أم محمد وقد ذهبت منذ بعيد لتتقصى خبره وتعرف لى من هو · لماذا لم تعد بالخبر اليقين · ترى ماذا تحمل من انباء ؟!

وخفق قلبها قليلا وشعرت بشىء من الاضطراب يكتنف جسدها المستلقى فى استرخاء صامت · وخافت على فرحتها أن تتبدد ان هى استرسلت فى مخاوفها ، فأغمضت عينيها مرة اخرى وهمت بان تنحى عن خاطرها هذه المخاوف ، بيد ان شيئا حدث فجأة فالتفتت وجلة تصغى بكيانها كله الى النقر المتواصل على الباب انها الفراشة العجوز ·· انها ام محمد ·· ترى بماذا عادت يا رب · ؟؟

وتقدمت من الباب خائفة تضطرب وفتحته وكل جارحة فيها اذن مصغية وكل حاسة فيها عين ترى وتنظر · وسرها ان رأت وجه الفراشة العجوز مشرقا تعلوه ابتسامة عريضة انطبعت على الشفتين المترهلتين ، وقالت ام محمد وهى تدلف فرحة مسرورة وتغلق خلفها الباب :

ـ أنا مش قلت لحضرتك بشرة خير وان ربنا معانا ؟!

وكتمت الناظرة الحسناء ضحكة ارسلها القلب وقالت وهى تزم شفتيها :

ـ خير يا ام محمد

وقالت الفراشة ضاحكة وهى تجلس لاول مرة فى حضرة الناظرة :

ـ مال وجمال واصل ·· بسلامته محفض ومتصان لشبابه مهندس رى فى الدرجة الخامسة ماهيته خمسة وعشرين جنيه



www.alkottob.com

فى الشهر ، وعنده حمسين فدان من احسن الاطيان فى شبرا النملة ·· وابوه وامه ميتين وماحلتوش غير اختين صغيرتين فى المدرسة ، وعازب ما اتجوزش ··

وضحكت ام محمد مرة اخرى وهى تستأنف قائلة :

ـ وغير كده بيحب حضرتك موت ·· قالوا لى ليل ونهار ياعنيه مزروع على القهوة الى قدام المدرسة وعينه مرشوقة فى شباك مكتبك ··

وتورد وجه الناظرة الشابة وهى تكتم فرحة القلب وضحكات الفؤاد وتودع الفراشة شاكرة لها هذا الفضل ، بعد أن اتفقت معها على تنظيف المكتب الذى سيكون فيه اللقاء وتجميله بباقة من الورد ، كما اتفقت معها ايضا على انواع الحلوى التى ستقدم للزائر العزيز قبل القهوة ·

وما ان انصرفت ام محمد واغلقت الناظرة خلفها باب المخدع حتى انفرجت شفتاها عن ضحكة متألقة انارت ارجاء المخدع الذى احتواها ·

وراحت ترقص خفيفة رشيقة كأنها الطائر المحلق فى السماء، وما ان رأت السرير حتى ارتمت عليه لاهثة وحانت منها التفاتة الى المرأة المقابلة فرأت عفوا جسدها الطروب الجذلان منطرحا مستسلما لاغراء الانوثة المتيقظة ، وعبث الفرحة التى تغمره وتفيض عليه ·· وعز عليها ان ترى هذا الجسد النشوان ما زال سجينا فى ذلك الثوب الاسود الذى هو شعار المربية الاولى · فقامت مسرعة ونزعته والقت به جانبا · ومن ثم ارسلت الطرف مرة اخرى الى المرآة فلاح لعينيها الجسد عاريا بعد ان فكت عنه اساره ·· وطانعتها الياقة الجميلة التى نسقتها يد الفنان الاول ··· ورأت بعينى رأسها الثدى النافر والصدر السافر والساق النزقة الرعناء التى تحمل كنوز الدنيا وثروة حياة ·· وشاقها المنظر فارسلت الطرف اليه ثانية ··· ولكن لمن كل هذه الجواهر يارجاء ··· ؟

لمن هذه اللألىء التى تنعكس اضواؤها على المرآة فتشع كل هذه الفتنة ··· ؟ انها له ·· وله وحده وليس لغيره ان يملك



www.alkottob.com

مفاتيح هذه الجنة ..
انه وحـــده الذى يجنى منهـــا احلى الثمار . . .
وهمت بان تنظر الى المرأة مرة اخرى بيد ان الدم الذى صعد فجأة الى وجهها حارا ملتهبا فخضبه جعلها ترد الطرف خجلة وتنصرف على استحياء .

وما ان بلغت السرير هذه المرة والقت بجسدها الثائر عليه وغاصت فى دثره الملساء الناعمة حتى كانت الاهداب الوطف قد سجت من تلقاء نفسها على جفنين برح بهما الهزال .

وفى الصباح غادرت الفراش الوثير الذى استمرأه جسدها لاول مرة بعد خمسة عشر عاما وما هى الا ساعة او بعضـــها حتى كانت خارجة من الحمام وضيئة ندية كما تخرج الشمس من الافق تسبقها ابتساماتها .وما هى الا ساعة او بعضـها ايضا حتى كانت قد خرجت العذراء من مخدعها يشع نورها على المدرسة كما يشع القمر الوليد على الكون فيملؤه انسا وابتساما ولم تعرف المدرسة فى حياتها صباحا نشطت فيه الناظرة الحسناء واستبشرت كهذا الصباح . ولم تر مدرسة من المدرسات ،او طالبة من الطالبات الناظرة كما رأتها اليوم خفيفة رشـــيقة تفيض جمالا وبهاء وفتنة . وعلى غير العادة دق جرس الصـباح مبكرا .. وعلى غير العادة ايضا فتشت الناظرة بنفسها الطابور وداعبت الطالبات ، وعابثت المدرسات وضاحكتهن طويلا دون ان تدرى واحدة منهن لذلك سببا اللهم الا ام محمد الفراشة التى كانت تقف بعيدا وتنظر الى كل ذلك ضاحكة . وتقارن بين فرحة الناظرة بيوم خطبتها وفرحتها هى من خمس واربعين سنة يوم ان خطبها درويش ابو سالم عربجى حنطور عمـــدة القريه !

وخطا الوقت نحو الساعة العاشرة فى تريث وتمهـــل وما ان دانتها حتى كانت الناظرة الحسناء فى مكتبها جالسة على مقعدها الوثير تأمر وتنهى . وتبعث بالرسائل هنا وهناك، وما ان بلغت الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم المشهود، حتى قدم لها البواب الكهل بطاقة جميلة كتب عليها بأحـرف بارزة هذا الاسم الجميل « ابراهيم أمين » مهندس رى ...



www.alkottob.com

وخفق قلبها واضطربت انفاسها وتلعثمت وهى تأمر البـواب بأن يأذن للضيف العزيز بالدخول .

واقبل فتى غض الاهاب جميل الطلعة مشرق المحيا . واستأذن فى حياء وخجل ومد لها يده فى احترام وادب كبير فمدت له يدها مضطربة مبهورة الانفاس تكاد عيناها من فرط البهاء ان ترتد خجلة متكسرة النظرات . وما ان جلس الزائر العزيز حتى أقبلت أم محمد مسرعة تحمل بين يديها صنوفا من الحلوى الجيدة . وما ان فرغ منها حتى اقبلت ثانية بفنجان من القهوة الفاخرة .

ومضت لحظات خالتها الناظرة الحسناء سنوات ثم مضت لحظات أخرى شكر فيها الضـــيف لمضـــيفته كرمها وحسن استقبالها ثم قال والحياء يداعب صوته العذب المنغم :

ـ أرجو بان تثقى بان الذى جعلنى احضر لك بنفسى هـو طمعى فى كرم اخلاقك . ووثوقى بانك لن تردى لى طلبا .

فنكست الاهداب الطويلة خجلا وتمتمت والفرحة تكاد تقطر دما من وجهها المتورد ..

ـ ارجو ان اكون عند حسن ظنك

فقال وهو يخرج ورقة صغيرة من جيبه :

ـ ان شقيقتى الصغرى سقطت فى « الحساب » وانى ارجو ان تنجح فى الملحق على يديك ، فقد قيل لى انك خير مدرسـة للرياضة فى المدينة .



www.alkottob.com

# رسالة إلى السماء

www.alkottob.com

كان لنشأته الريفية ، ومركز والده الدينى ، وللخمسه عشر عاما التى قضاها فى الازهر الشريف ، يدرس الدين ، والبلاغة ، والمنطق ، ومتن اللغة . كان لذلك كله أثره فى حياته التى لم تتبدل ولا حتى بعد ان انتقل الى المدينة كموظف وغمرته مفاتنها وجرفه تيارها الزاخر المزوق بمباهج الحياة. وظل كذلك لم ينحرف يوما عن طريق الديوان فى الصباح، والمسجد فى اوقات الصلاة . والبيت مع المغرب ليدفن نفسه بين أكداس الكتب يستوعب ادب الدين ، ويلتمسه بين تلك الصفحات الصفراء الشاحبة . الى ان ساق له القدر يوما صديقا له من القرية يمت له بصلة القرابة، نقل حديثا الى المدينة وكان لابد لهذا الصديق ان ينزل عليه ، وان يقيم معه فى الدار وان يلازمه فى كل أوقات فراغه ، وكان من سوء الطالع ان هذا الصديق الجديد كان فتى ماجنا يحب اللهو ويألف الاستهتار ولا يألو جهدا فى مناصرة الشيطان حتى لكأن بينهما معاهدة دعمها الشر بالظلام الملوث الذى يجمع دائما بين الشيطان وتلاميذه .

وكان مصطفى ، او الشيخ مصطفى ، كما كان يسمى احيانا يعرف كل هذا عن صديقه وقريبه عبد المنعم . ولكن خلقه أبى عليه الا أن يكرم وفادته ويحسن ضيافته ، وأن يلازمه دائما حتى يكاد لا يفترق عنه ابدا .

وكان من جراء هذا كله ان انزلقت قدم الشيخ مصطفى دون ان يحس الى بعض الاماكن التى كان يؤمها صديقه .. والتى كان من بينها صالة الانشراح التى عرف فيها عبدالمنعم احدى الراقصات ووطد علاقته بها . واحبها حبا ادى الى اوخم العواقب ..

وساء هذا مصطفى ، وحاول جهده ان يحول بين صديقه وهذا الضلال ولكنه لم يستطع ، وعز عليه ان يتركه يهوى الى هذا الحضيض القذر ، فكان يذهب دائما معه الى الصالة ليحول بينه وبين كثرة السهر ، وبينه وبين الخمر ان يجرع منها اكثر مما يطيق .

وهكذا عرف الشيخ مصطفى بكثرة تردده على صالة الانشراح



www.alkottob.com

وان كان قد اشتهر بين روادها وراقصاتها بورعه الذى عرف عنه والذى بسببه لم تقو الافاعى الاليفة التى تعيش فى صالة الانشراح على ان تمسه او تنفث سمومها فيه ٠

غير انه حدث ذات ليلة ٠ بينما كان يجلس وحيدا كعادته فى ركن ناء من اركان الصالة ينظر بطرف ملؤه الدمع الى زميله حينا ٠ واحيانا الى رواد الصالة الذين كلما تمرغوا فى القاذورات وغرقوا فى المستنقع الآسن الذى فجرته لهم الخطيئة ، ضحكوا ملء اشداقهم ٠٠

بينما هو كذلك ، اذا براقصة تبدو عليها دلائل الانكسار ، ويعلة وجهها شحوب المهانة القانعة ، تقبل عليه ذليلة منكسرة كما تقبل عليك الكلبة الضالة لتحتمى بك ، وجلست بجواره ، وقبل ان ينظر اليها أو يقول لها شيئا ٠ دست فى يده جنيها وهى تقول :

ـ افتح لى بهذا زجاجة شمبانيا ، فنظر اليها متأنفا وكأن بنانها الذى مس يده وهى تدس له الجنيه ذنب كلب نجس وقال :

ـ لماذا افتح لك انا ،وتدفعين انت ٠ ارجوك ان تنصرفى والقى اليها بالجنيه فسقط بينهما على المائدة ٠

فقالت وقد انحدرت من عينيها دمعة كأنها كانت تجاهدها حتى انحدرت ٠

ـ معذرة ولا تظن اننى اريد غير هذا !!

وهم ان يقول لها شيئا ، ولكنها اسرعت قائلة :

ـ اننى مريضة ٠ وشبابى الذى دخلت به هذه الصالة غضا مزدهرا اكلته النار ٠ واصبحت بين زميلاتى كزهرة الصيف ليست لها الرائحة التى تجذب النحل وقد انذرتنى صاحبة المرقص امس بالطرد لان احدا لا يفتح لى زجاجة خمر ٠

ثم جففت دمعة ثانية كانت على خدها الشاحب حائرة كأنها تبحث عن اختها التى ماتت وقالت :

وانك لتقدم لى صنيعا بهذه الحسنة يا سيدى ٠

فما كان منه الا ان فكر قليلا ثم صفق محزونا ،وطلب لها زجاجة شامبانيا وقبل ان تجىء قال :



www.alkottob.com

ـ ولماذا لا تتركين الصالة ؟
فقالت وقد مال رأسها بالعنق على الصدر ، فبدا كانعلم المنكس فى يوم حزين .
ـ وأين أذهب ومن اين اعيش ؟
فقال :
ـ تزوجى مثلا
فقالت :
ـ أتزوج !
قال :
ـ أجل
فقالت وهى تدغدغ بعينيها عروقا زرقاء نافرة ، كانت على ظهر الراحتين اشبه بآثار الثعابين الضريرة على الرمل .
ـ وهل ترجع الروح الى الجسد بعد ان تأكله الديدان ؟
وكانت زجاجة الشامبانيا قد وضعت امامها فأفرغت منها فى الكأس ، ثم غافلت العيون والقت بما فى الكأس على الارض فقال لها :
ـ الا تشربين ؟
فقالت :
ـ أنها ماء عكر
فقال دهشا
ـ ألم تكن شامبانيا ؟
ـ ولكنها مصنوعة هنا .
ثم أشارت الى ستارة مسدلة على الباب الموصل لدورة المياه وهم أن يقول شيئا ولكن جرس المسرح دوى رنينه فجأة فانصرفت مسرعة ، ولكن بعد ان تخلصت من سعال اجوف قبيح انشب اظافره حينا فى صدرها حتى كاد يمزقه ، ثم ذهبت مع زميلاتها وانضممن جميعا الى الكورس وقبل ان ينتهى اللحن غادر المكان دون ان ينتظر زميله كالمعتاد .
ووجد نفسه من غير ان يشعر عند الباب يسأل « عبده » ماسح الاحذية الذى تعرف عليه فى الصالة عن اسمها ، ولما عرفه انصرف مفكرا مهموما ، وفى البيت لم ينم تلك الليلة



www.alkottob.com

النوم الهادىء المتصل الذى اعتاد ان ينامه ، وكان الشيء الوحيد الذى يضايقه ويحول بينه وبين النوم هو شبح تلك المرأة التى شعر فجأة بعطفه عليها وحبه لها بمجرد ان رآها وسمع صوتها ..

لقد كان من دواعى حبه لها ذلك الصوت المبحوح الذى كأنه يعانى الام الدنيا كلها . وهذه العيون الذابلة المنطفئة التى اتعبها كثرة التطلع الى الخطيئة ، وهذا الوجه الاصفر الشاحب الذى اكلت الذئاب لحمه . وبقيت عظامه وحدها تجاهد الحياة وتقاوم الدنيا لتنتقم من أولئك الذين قطفوا ظلما الورود التى كانت فتنة الناظرين .

وكان ايضا الشيء الوحيد الذى يؤلمه هو انه لم يطلب لها زجاجة انشامبانيا على حسابه ، وانه لم ينقدها جنيها من ماله انه لو فعل هذا لقدم لها حقا الصنيع الذى طلبته ولكن لماذا لا يذهب الى الصالة غدا حتى ولو لم يذهب اليها زميله ويقدم لها هذا الصنيع ، بل ويقدم لها اكثر من هذا الصنيع . يقدم لها يده هذه الطاهرة وينتشلها من هذا المستنقع الملوث ، ويكون هو الهواء الذى يعيد الى هذا الصوت المبحوح نبراته العذبة ، والشمعة التى يضيء بها تلك العيون المنطفئة الذابلة فترجع اليها حياتها الساحرة الجميلة ، والقطر الذى يتساقط على هذا الوجه الاصفر الشاحب فيعيد الى وروده الذابلة اريجها المتضوع العطر .

ولكن لماذا يكون هذا غدا وفى المساء ولماذا لا يكون الليلة . لماذا لا يكتب لها رسالة الان ويضعها الان ايضا فى صندوق البريد لتصل اليها فى الصباح ويضرب لها موعدا بعيدا عن المكان الذى لوثته بصقات الشياطين .. ويزف لها البشرى ويقول لها فيها أن الله قد انقذها من براثن هذا الاثم ، وان الله الذى وسعت رحمته كل شيء ابى الا ان تكون المعجزة على يديه ، وان ترجع الروح الى ذلك الجسد الذى اكله الدود فتحييه وتطهره .

وغادر فراشه فى الليل واشعل ذلك المصباح الزيتى الخافت القائم على مكتبه كالمئذنة وسط كتب الدين المتراصة



www.alkottob.com

عليه وكتب الرسالة الاولى للمرأة التى احبها فى حياته ولما ضمنها كل الخواطر الصادقة التى جالت برأسه ، ضرب لها موعدا بعد صلاة المغرب فى المقهى الوحيد الذى يعرفه فى الحى والذى هو فى العمارة المقابلة للمرقص الذى تعمل فيه ، ثم انسل فى عتمة الليل والقى بالرسالة فى صندوق البريد ورجع الى فراشه راضيا واغمض عينيه فعاوده نومه الهادىء المتصل

ولما اقبل الصباح استيقظ كعادته دائما منشرح الصدر وذهب الى عمله اليومى .

وفى المساء ذهب فى الموعد الى المقهى الذى فى العمارة المقابلة ينتظرها ، ولكنها لم تجىء . ومرت ساعة . وساعة ، وساورته شتى الافكار ، وراح يخطىء نفسه اذ ضرب لها هذا الموعد الضيق الذى يتعارض مع مواعيد العمل فى الصالة وحانت منه التفاتة فرأى الصالة امامه تتلألأ واجهتها وتنيرها الاضواء الباهرة الاخاذة وتتصاعد منها ضحكات السكارى وتختلط بدخان التبغ المحترق المتراكم فى سمائها . فقام متخاذلا وظل ينتزع قدميه انتزاعا من الارض حتى وصل اليها . وهناك جلس فى ذلك الركن النائى الذى اعتاد أن يجلس فيه وحده كلما اضطره زميله الى ذلك . وراح يبحث عنها بعينيه ويتلصص عليها فى كل مكان فلم يجدها فزاد اضطرابه . وهم ان يسأل عنها ـ الجرسون ـ الذى تقدم منه ولكن حياءه ـ وهو الشيخ التقى الورع منعه من ان يسأل عن راقصة فاكتفى بأن طلب فنجان القهوة الذى لم يذق غيره فى حياته واخيرا جاء عبده ماسح الاحذية ومع ان حذاءه كان نظيفا فقد طلب منه ان ينظف له الحذاء .

وأقعى عبده امامه فى اسماله البالية كالكلب الاجرب وراح ينظف له الحذاء وجمع الشيخ شجاعته وسأل عبده بلسان متلعثم عن ( سنية ). وهمهم عبده بكلمات لم يسمع هو منها غير كلمة :

ـ ماتت !!

فخفق صدره وتعالت دقات قلبه وتلاحقت انفاسه



www.alkottob.com

وسأله ثانية :

فقال عبده دون اهتمام وهو يدق له بالفرشاة على الصندوق ليرفع قدمه ·

ـ ماتت ليلة الامس اثر نوبة حادة من نوبات السعال التى كانت تنتابها اثناء الرقص !!

شىء واحد هو الذى لفت نظره وهو فى الطريق الى داره وفجر الدموع من عينيه · ذلك هو صندوق البريد الذى القى فيه ليلة امس بأول رسالة كتبها فى حياته « الى السماء » ·



www.alkottob.com

## كتب المؤلف

١ ... « الضباب »

٢ ... « هتاف الجماهير »

٣ ... « أرض الخطايا »

٤ ... « نساء فى حياتى »

www.alkottob.com

# زوجتي

www.alkottob.com

لاهل قريتنا تقاليد ما زالت مرعيـــة الى اليوم .. فانهم يزوجون ابناءهم صغارا لا يتجاوز سن الواحد منهم اربعة عشر عاما . وهم يفرحون بهؤلاء العرسان الصغار ، وكلمـــا صغر سن الواحد منهم كلما ازداد فرحهم به وكان ذلك مدعاة لفخرهم ! ولم تكن هذه التقاليد بعيدة عن المنطق فان اهـل قريتنا يؤمنون فى اعماقهم بانه كلما تزوج الابن صـــغيرا كلما كان ذلك من دواعى اصلاحه وتقويم اخلاقه ، وكلماحال بينه وبين مغازلة بنت الجيران .

كان هذا شعار اهل قريتنا فى ذلك الوقت . وهذا ماحدث لى بالفعل ، فقد تزوجت وأنا لا أزال صـــبيا ، بينى وبين الرجولة فراسخ واميال ، وكل الذى اذكره ، هو اننى عدت ذات مساء الى القرية من المدرسة فوجدتها على غير المألوف من عادتها تزخر بالوان عديدة من الناس ، والطبل البلدى على بابها يدق نكل غاد ورائح ، ولما سألت قيل لى « دا كتب كتاب ابن العمدة » . ان العمدة هو أبى ، والابن هو انا ، ومع ذلك لم ادهش لهذا النبأ ، بل تركت الذى سألته وانصرفت تماما كما تترك انسانا استوقفته فى الطريق ، لتشعل منه لفافة ، او تسأله عن الساعة ولما اقبلت على ـ اندار ـ قام الجميـع اجلالا واكبارا لشخصى ، كان مجرد عقد قرانى جعل من هذا الصبى رجلا عظيما فى نظر هؤلاء الناس .. ولما دخلت الدار استقبلت فيها بعاصفة من الزغاريد ، وقامت النسوة اللواتى غصت بهن ساحتها ، يعانقننى ويقبلننى قبلات ضاق بهـا وجهى فما كان منى الا ان تركتهن وانصرفت الى غرفة الكرار فتناولت رغيفا وقطعة من الجبن ،دسستهما فى جيبى وانصرفت ابحث عن صقر والشمردل وعبـــد اللطيف لالعب معهم « الاستغماية » فى الجرن كعادتنا فى ليالى القمر من كل شهر .

وأذكر ايضا ليلة الدخلة ـ وكانت بعد « كتب الكتاب » باسبوعين ـ بعد ان انصرف الناس وانتهت تلك المشاجرة العنيفة التى قامت بين أم العروسة وأم العريس ، والتى كادت تؤدى الى أوخم العواقب لولا ستر الله « فأم العروسة تصرعلى



www.alkottob.com

ان ترى انسوة الموجودات شرف ابنتها قبل انصرافهن وأم العريس ترى ان العريس « لسه عيل » ويجب ان يترك على حريته ، وكادت الحال تتحرج لولا ان تقدمت الحاجة بدوية ـ الدايه ـ وتدخلت فى الامر تدخلا فعليا » ·

ولما انتهت الليلة بسلام ، وانصرف كل الى حال سبيله وبقيت وحدى مع عروسى التى انتقلت على يدى الحاجةبدوية من دنيا العذارى الى دنيا السيدات قلت لهـــا فى ســـذاجة مازلت اذكرها حتى الان ـ لقد اعددت لك هدية طيبة ـ ثم قدمت لها ربع اقة من الحلاوة الطحينية التى احبها ،فنظرت الى ضاحكة ولما اكلناها معا انصرفت هى لتغسل يديها ولمـا عادت وجدتنى اغط فى نوم عميق ، لم استيقظ منه الا فى الصباح على صوت ـ أمى ـ تنادينا · وكأن امى فطنت الى ما حدث فى الليل ، فانفردت بى والقت على بعض اســئلة احمر لها وجهى خجلا ، وان كانت قد افادتنى بعـــد ذلك كثيرا ·

ثم استقامت بعد ذلك الامور حتى فى نظر امى · وذلك بفضل زوجتى انتى احبتنى وحرصت على وراحت جاهـــدة تدرأ عنى كل شبهة تحط من قيمتى كرجل فى دنيـــا الازواج ، وكانت لها فى ذلك اساليب فى منتهى القـــدرة على الاقناع ، فمثلا حدث ذات يوم ان عدت من المدرسةوكنت لا ازال فى السنة الثالثة الابتدائية فلاحظت ان يدى بهـــا كدمات وانها تؤلمنى ، فسألتنى فقلت لها بنفس السذاجـــة التى تعودتها منى ··

ان مدرس اللغة العربية ضربنى عليها بالمؤشر ، لاننى لم اعرف اسم الذى وضع النحو ··

فقبلتنى ضاحكة وهمست فى اذنى قائلة :

لا تقل ان احدا ضربك ، وان سألك احد فافهمه بانهامن لعب « الجمباز » فى المدرسة ·

وفى الليل احست بان يدى تؤلمنى ، فقامت من نفســها وذهبت الى الحمام واشعلت وابور الغاز ثم جاءت بماء دافىء وظلت تدلكها لى حتى زال الالم ، وفى الصباح وكانت امى



www.alkottob.com

قد احست بها فى الليل وهى تشعل الوابور وتخرج اكثر من مرة · فسألتها ونحن جميعا على المائدة نتناول الافطار ،فردت عليها ضاحكة وقد اغمضت عينيها فى خجل انثوى جميل وقالت متخابثة :

– وانتومالكم بتسألوا ليه !

ولكن ذلك لم يستطع ان يغلبنى على نفسى او يغير من حالتى شيئا ! ان المسكينة لم تستطع ان تجذبنى كما ارادت فقد كان ممكنا لو لم يسبق السيف العذل وتحدث الاحداث وأتم دراستى الثانوية وانقل الى القاهرة ·· واحب امرأة اخرى دخلت فى حياتى لقد وقعت فى حب رمزية · رمزية هذه فتاة احسب ان الله تعالى لم يخلق الجمال والدلال الامن اجلها ، كانت تعمل مدرسة فى السنية ·وكنت اجلس فى مقهى قريب من دارنا فى السيدة ، ورأيتها لاول مرة تمرمن أمام المقهى بعد ان غادرت المدرسة فى طريقها الى البيت ·· واشهد ان جمالها هذاقد شغلنى وملك على كل حواسى ·· حتى لقد تبعتها فى احدى المرات غير متردد وسرت خلفها مبهور الانفاس ، كما يسير الريفى النازح من اغوار الجنوب مثلا فى شارع فؤاد جاحظ العين غير مستقر العنق، وظللت اسير وراءها حتى دخلت احدى الدور ونم اذكر لها الذى حدث بعد ذلك ، غير ان الذى اذكره تماما اننى لم انم تلك الليلة ·

وفي اليوم الثانى استطعت ان أعرف أنها تعمل مدرسة فى السنية ، وان الدار التى دخلتها دارها ، وهذا الطريق الذى رأيتها تقطعه ، عليها ان تقطعه اربع مرات فى اليوم ، فحمدت الله الذى هدى المعلم السلامونى الى ان يفتح مقهاه فى هذاالحى لاجلس عنده كل يوم اتزود من الجمال بنظرة، كما استطاعت رمزية ان تقنعنى – كلما تتبعتها او نظرت اليها فى الطريق– باننى مسكين واننى ساذج واننى قصير العقل والنظر مادمت افكر فى الصعود الى القمر وكانت اذا اجابتها عيناى مرة ونظرت الى مرغمة فلكى تقول لى بطرفها الوسنان الذى كان



www.alkottob.com

يلوح لعينى فى استرخائه وفتوره كالسيف المسلط ( كان غيرك اشطر ) ٠

ومع ذنك تمكن حب رمزية من قلبى واصبح شغلى نهارى وليلى ولا انكر انه قلب حياتى رأسا على عقب حتى انني اصبحت لا ارى غ يررمزية فى صحوى او منامى ٠ وعلى هذه الحال انقلب حالى فى عملى ، وانقلب حالى فى بيتى ٠

فبعد ان كنت اغادره فى الثامنة صباحا ، اصبحت اغادره فى السادسة والنصف وكثيرا ما كنت اقف على الطوار حتى يفتح « عم انسلامونى » مقهاه وأكون اول من يجلس هناك لكى أرى رمزية فى الصباح وهى فى طريقها الى المدرسة وبعد انْ كنت اتناول غذائى فى الواحدة والنصف اصبحت اتناوله كل يوم فى الخامسة او السادسة احيانا لاننى كنت انتظر على المقهى الى الثالثة والنصف حتى تخرج رمزية واحيانا كانت تخرج من المدرسة فى الرابعة والنصف او الخامسة وفى الاوقات التى كنت اخلد فيها الى البيت كنت اقضيها فى شجار دائم حتى صار بيتى مصدر قلق الجيران ، وحتى صرت معروفا فى الحى باننى كثير الاساءة الى زوجتى لاننى احب مدرسة فى السنية ، والغريب فى هذا انه بالرغم من ذلك كله لم يظفر القلب المعنى من الحبيب بنظرة ٠٠٠ !

وعلى هذا الغرار سارت حياتى ٠

واخيرا فى ساعة فاض فيها الاناء واظلمت الدنيا فى عينى تسلطت على فكرة كانت كثيرا ما تراودنى كلما رأيت رمزية وسبرت عيناى اغوار جمالها الانثوى الفاتن ٠وهى ان اطلق زوجتى ٠ فلا بد ان رمزية تعرف اننى زوج ، وهى تريد ان تتزوج ، فلا مطمع لها فى ولا فى حبى ! ولولا ذلك لما عذبتنى وصدتنى ، ولم تسمع لصوت قلبى المعنى ، واختمرت عندى هذه انفكرة وكدت اخطو الى تنفيذها لولا أن حدث مالم يكن فى الحسبان فحقق الله المعجزة التى تعذب القلب شهورا عدة من اجلها فقد حدث ان وصلت الى رسالة من رمزية على غير انتظار ، ولا ادرى كيف وصلت ولا كيف حمل



www.alkottob.com

البريد الى هذا المظروف المعطر الذى شم القلب اريجه قبل ان ترى العين ازهاره . وكانت الرسالة مليئة بالحب ،تفيض بالحنان وبالعطف ، وتزخر باخلاص لا أحسب أن امرأةحملته لرجل من قبل . فقد استطعت ان ارى الاخلاص فى كل سطر من سطورها والمس الحب فى كل معنى من معانيها . حتى اننى انبت نفسى ولمتها وعنفتها على ظنونى السابقة . فقد اقنعتنى رمزية فى رسالتها بانها هى الاخرى احبتنى من النظرة الاولى ، وانها بادلتنى نفس العاطفة غير انها استعملت معى ما استعملت من قساوة على الرغم منها، وذلك حرصا على سمعتها ووظيفتها من ناحية ،ولكى تسبر غور قلبى وتقف على حقيقة حبى من ناحية اخرى . وها هى ذى لما اعتقدت ان القلب الذى قضت عمرها تبحث عنه ينام بين جوانحى سارعت بالكتابة الى من تلقاء نفسها ، لتعاهدنى على الحب ، ثم زادت رمزية فضربت لى موعدا فى الثامنة من مساء الغد فى مطعم معروف من مطاعم القاهرة وسنشهد معا بعد العشاء رواية « حب من نار » ـ تمثيل انجريد برجمان وكارى جرانت فى احدى دور السينما !

ولا نسأل عن فرحتى فى ذلك النهار الذى طالعنى صباحه بهذه الرسالة .

فقد قضيت طول النهار واغلب الليل اجوب الشوارع والطرقات على غير هدى . وقد حرصت فى ذلك اليوم على الا اذهب الى دارى الا متأخرا حتى لايطالعنى وجه «ست الدار» زوجتى فتذكرنى رؤيتها بدنيا الشقاء والتعاسة والنكد .

لذلك عندما دخلت الدار فى الهزيع الاخير من الليل دلفت الى مخدعى مباشرة دون ان انبس ببنت شفة . ومع ان الساعة كانت الثالثة صباحا فقد وجدتها ما زالت مستيقظة تنتظرنى واقبلت على فى خشوع تسألنى هل تعد لى العشاء .فاجبتها بالنفى دون ان انظر اليها . فقالت فى انكسار وهى تنظر الى عينى اللتين احاول جهدى ابعادهما عن وجهها ـ لماذا تأخرت هذه الليلة هكذا .. الا تشفق على صحتك ـ فلم اجبها بل



www.alkottob.com

اطفأت النور فأظلمت الغرفة فلم يسعهـا الا ان تنصرف الى غرفتها فى انكسار وذلة !

وفى اليوم التالى وقبل الموعد بساعات كنت قد خـرجت من الحمام وتزينت وصففت شعرى على طريقة حديثة بعـد ان افرغت عليه نصف زجاجة الكولونيا ، حتى رباط الرقبة مكثت زمنا اتخير لونه واحكم ربطته وقد لاحظت على زوجتى كل هذا فسألتنى والغيرة تقطع نياط قلبها ـ هل ستتأخـر الليلة ايضا ـ فرددت عليها بنظرة ازدراء ادمت نفسـها وانصرفت اهبط الدرج وانا اشد ما اكون فرحا واغتباطـا بالسعادة التى تنتظرنى ·

بيد ان القـدر ابى الا ان يحرمنى من هذه السـعادة ويستبدل بهـا شقاء دام ليـلة كاملة · · · فقـد حدث ان رمزية لم تف بوعدها وظللت ابحث عنها طوال الليل مرة فى المطعم واخرى فى السينما فلم اجدها · واخيرا عدت محزونا الى الدار · وقد ضاعف من حزنى ان وجدت زوجتى التى اصبحت لا اطيق رؤيتها تنتظرنى فى الشرفة ، فـلم اكلمها وانما دلفت الى مخدعى ايضا واغلقت بابه خلفى حتى لا تضايقنى هذه المخلوقة التافهة بثرثرتها المملة ووجهها الذى تركزت فيه كآبة جيل كامل ، وفى الصباح لم استيقظ لاننى لم انم، وانما ارتديت ثيابى متخاذلا وذهبت الى مقهى السلامونى وجلست انتظر مرور رمزية لعلها تعتذر الى ولو بنظرة عابرة وفى السابعة والنصف تماما اقبلت تتهادى كعادتها بيد انها من سوء الحظ كانت تتحدث مع زميلة لها فلم تلتفت الى · وان كانت بعد ان ابتعدت استدارت والقت على نظرة خاطفـة ثم غابت فى الطريق كما يغيب النور تحت هجمة الظـلام فانصرفت انا الاخر اجر قدمى جرا من فرط الهم الذى ران على قلبى والسواد الذى امتلأت به الحياة · غير اننى عنـدما بلغت مكتبى تبددت كل هذه الظلمة وعاد القلب الطفـل الى سابق سعادته واغتباطه ، فقد وجدت رسالة ثانية من رمزية تعتذر لى فيها عن اخلاف موعدها ، لانه حدث ما شغلها عن مغادرة الدار ليلة الامس ولانها خشيت ان يفتضح امرها ان



www.alkottob.com

درآها أحد جالسة معى فى مكان عام .

ولذلك فهى تفضل ان نلتقى فعلا ونكن فى مكان اخـــر لا يرانا فيه احد . وهى تترك لى اختيار هذا المكان . اماالزمان فستكون فى انتظارى فى تمام الثامنة مساء من اليوم فىمركبة عند منعطف شارع قدرى الذى يتميز بالظلام الحالك فى هذا الوقت . ولى ان اذهب بها الى اى مكاناريد . بشرط انىكون فى مأمن لا يرانا فيه أحد .

وجلست اعتصر الذهناعتصارا،لعلنى اعثر علىهذا المكان واخيرا اهتديت الى ان منعطف شارع قدرى هوخلف بيتنـا مباشرة . وبيتنا هو خير مكان يصلح لهذه الزيارة المباركة لولا تلك البومة التى تنعق فيه !

فلماذا لا احملها على أن تتركنى بأى وسيلة ولو ساعـــة واحدة ريثما اوقع مع رمزية صك الحب والهناء الابدى . .

وفكرت . . ان « ست اندار » طلبت منى منذ يومين انتذهب الى السينما . وامعانا منى فى ايلامها رفضت هذا الطلب . . والرواية ما زالت معروضة ، فلماذا لا اسمح لها الليـــلة بالذهاب اليها وبذلك تخلو لنا الدار .

ولما اختمرت عندى هذه الفكرة ذهبت الى السينما مباشرة وابتعت بهاتذكرة ثم انصرفت الى الدار وفيهـــا استقبلتها هاشا باشا على غير العادة وما ان رأتنى اضاحكها وأعابثها كما كان الحال «ايام زمان» حتى جددت طلبها القديم ورجتنى فىان اسمح لهابالذهاب الى السينما هذه الليلة ونكم كنتسعادتها عندمااخرجت لها منجيبىالتذكرة التىابتعتهانهاوقبل انيأتى المساء كنتقد غادرت الدار ، بعد اناقنعتها باننىلا استطيعان اذهب معها لكثرة مشاغلى فى المكتب هذا المساء فذهبت هى ، وانصرفت انا اعد دقات الساعة عدا واتعجلها لتبلغ الثامنة وما ان قاربتها حتى كنت اقطع الطريق الى منعطف شـــارع قدرى ، وما ان بلغته حتى رأيت احدى المركبات تقف بجانب الطوار فخفق قلبى واقتربت منها لاهثا ، فألفيتها جالسة فى قلب العربة وقد غدت فى النقاب الاسود الخفيف الذىوضعته



www.alkottob.com

على وجهها كالقمر عندما تحجبه غمامة شفافة · وما ان رأتنى حتى قالت هامسة بصوت كأنه اغاريد الطير ـ اركب ـ

لقد كنت اشعر وانا جالس بجوار رمزية فى المركبة ـ وذلك من فرط فرحتى ـ اننى طفل لم اجد بعد فنون الحديث ، لذلك انعقد لسانى فلم انبس ببنت شفة ، واننى فى حلم ، واننى ملك فى السماء اسير فى رياض الجنة ، وان هذه التى بجانبى احدى حور العين ··

ولما لاحظت على هذا الصمت الذى غرقت فيه ، وهـــذا الجمود الذى يعترى الانسان عندما يفاجأ بنبأ غير منتظر · مالت على وقالت هامسة بنفس الصوت الذى مازالت انغامه ترن فى قلبى رنين الاجراس فى ساحة المعبد ·

ـ تكلم ايها الحبيب ·· لماذا انت صامت ؟

فلم اجب وانما تناولت يدها البضة الناعمة وطبعت عليها قبلة اودعتها كل ما يحمل القلب من حب وشكر وولاء ·ولما احست بدفء الاخلاص ينساب من شفتى على يدها سحبتها فى رفق وقالت وهى تنظر الى بعينين خلت بريقهما من خلف النقاب الاسود مصابيح تسطع فى قلبى « الى اين سنذهب؟» وكانت المركبة قد بلغت بنا باب البيت ووقفت · فقلت لها: هذه دارى ·· فقالت بصوت خفيض حتى لا يسمعه الحوذى « وزوجتك » ···

فلم أجب

وهبطت من المركبة خفيفة رشيقة كالطائر الغرد · ومن ثم راحت تصعد الدرج فى الظلام وكأنها امواج من نور تهتك استاره وحجبه وانا من خلفها اكتم فرحة انقلب الذى يصفق بين الضلوع حتى بلغنا باب المسكن ومددت يدى سريعـــا لافتح الباب بيد انها كانت اسرع منى عندما اخرجت المفتاح من حقيبتها وفتحت هى الباب ·



www.alkottob.com

ومن يومها وانا اذكر جيدا اننى ما رأيت فى حياتى بعد هذا الحادث امرأة «جميلة» فى الطريق الا وتذكرت فى الحال اننى ذات ليلة جلست فى مركبة مع ـ اجمل منها ـ وما كنت احسب انها ـ زوجتى ـ التى علمتنى ان الحب والجمال مثلهما كمثل الاوهام التى نعيش فيها فى كثير من الاحيان ...



www.alkottob.com

# حاملة الأسرار



www.alkottob.com

لم تكد تفطن الى ما حدث حتى انخلع قلبها ، وشحب لونها واخذتها رجفة هزت كيانها هزا عنيفا فوقفت وسط الغرفة ذاهلة ، تنظر ذات اليمين وذات الشمال كأنها هرة تريد الفكاك من الشرك الذى اعده لها الصائد .

أنها كانت تظن كل شيء وتقدر كل شيء وتنتظر الشر من الناس جميعا . ولكنها لم تكن لتقدر ابدا ، او تظن بحال من الاحوال انها ستقع فى هذا الشرك وانها ستساوم فى هذا الذى تموت دونه العذراء .

ولكل هل هذا كله يمنعها من الاعتراف بغبائها وبلاهتها ؟ .

لقد كان يجب عليها ان تفطن الى ذلك كله ،وتقدره وتعمل له حسابا من اول هذا النهار على الاقل . فكل الدلائل والاحداث التى حدثت فيه انما تدل على الجريمة وتنبه الى خطرها .. فاستيقاظ سيدها مبكرا هذا الصباح على غير عادته ، وملاطفته لها هذه الملاطفة الجميلة على غير العادة ايضا .. ثم طلبه اجازة من عمله الرسمى بلا مناسبة وسماحه بل اصراره دون أن يفطن احد الى هذا الاصرار على أن تغادر زوجته البيت هذا النهار ، وتذهب الى حلوان لتزور عمتها المريضة هناك وتظل معها حتى يذهب هو اليها عند انقضاء اليوم .. كل هذه اشياء ان دلت على شيء فانما تدل على احكام الخطة لبقائها وحدها فى البيت لكى يرتكب المجرم جريمته ويظفر الذئب بالحمل الوديع ..

وزمت على شفتيها وزوت ما بين حاجبيها ولمعت عيناها لمعانا خاطفا وتطاير منها شعاع كأنه النار ...

ولكن هل سيدها من الخبث والمكر الى هذا الحد ... ؟ هل هو من الجنون بحيث يطمع فيما لا تطمع فيه حتى الوحوش الضارية ؟ ومن الفجور بحيث يبيح لنفسه ما قد حرم الله ؟!

ولكن من سينيله ذلك ؟ من سيعطيه ما يريد ان يأخذ . ؟ من .. ؟ ان لها ما يقرب من العام وهى تشتغل خادمة فى هذا البيت فلم تر من سيدها ما يريب طوال تلك المدة ، فما الذى اصابه وما هذا الجنون الذى الم بعقله فى هذا اليوم . حقا انها سمعت غير مرة اثناء شجاره مع زوجته فى بعض



www.alkottob.com

الاحيان ان سيره خارج الدار غير مستقيم وانه انما يسهر الليل ليعاقر الخمر ويجالس بعض النساء . وسمعت ايضا ان له جولات غرامية . وان غير امرأة شغفته حبا ، حتى كادت زوجته ان تطلق منه فى يوم من الايام .

... ولكنها لم تعرف ان جمالها اثاره فلم يكن هذا الجمال موضع اهتمامه فهو لم يقل لها مرة كلمة غير عادية ولم ينظر اليها مرة نظرة تختلف عن النظرات التى يلقيها الاسياد على الخدم فى البيوت .. ولكنه ايضا لم يخل بها فى البيت . ولم يحاول ذلك الا فى هذا اليوم المشئوم وهو ايضا لم يداعبها مثلما داعبها هذا الصباح . بل ولم يطلب منها طوال العام الذى قضته ان تبدل ثوبها المزق الذى كانت ترتديه فى الصباح لتستبدل به هذا الثوب الجديد الجميل . ولكن الذى يعنيها الان هو الفكاك من هذا الشرك الذى اعده الصائد . فها هى ذى الواقعة قد وقعت او هى على وشك الوقوع فقد انصرفت زوجته ولن تعود ..

وخلا البيت ولم يبق فيه من احد . وطلب منها ان تبدل ثيابها .. وها هو ذا فى غرفته الان يعد العدة لهجومه الخاطف العنيف فماذا هى صانعة ؟ اتقاوم ؟ وان قاومت هل تستطيع ان تصمد ؟ من المقطوع به ايضا انها ستخر صريعة بعد الجولة الاولى .. فلمسة واحدة من ساعده القوى المفتول كافية لان تهصر جسدها هصرا وتجعله يرتجف بين احضانه واذا حدث هذا فماذا تكون النتيجة . . ؟ تستسلم . . ؟ تستكين .. ؟ واذا هى استسلمت واستكانت فماذا تكون النتيجة ؟ وزمت شفتيها وزوت ما بين حاجبيها ولمعت عيناها لمعانا خاطفا وتطاير منهما شعاع كأنه النار . ان المرأة اقوى من الرجل اخلاقا . ولكنها لم تكن اقوى منه جسدا .

وليس للخلق الطيب ان يقاوم العنف بالعنف . ولا الجريمة بالجرم ، اذن فلا بد لها من ان تأخذه بالحسنى وان تغريه بالقول ان ارادت للعاصفة ان تمر بسلام . لا بد من ان تفرش له الطريق بسطا مختلفة الوانها ..



www.alkottob.com

... ان هذه الظروف العصيبه التى اوقعها فيها جمالها الذى تطريه كل عين لتحتم عليها ان تخلق فى هذا اليوم من الارض الجرداء جنة وارفة الظل ناضجة الثمار نكى تفوت عليه فرصته .

وجلست على أول مقعد قابلها مستكينة مستسلمة وراحت تفكر .. وجنح بها التفكير الى اشياء لم تكن لتحس بها من قبل او تفكر فيها .. ورأت بعد عناء طويل وطول تفكير اشياء واشياء ورأت امامها تلك البسط المختلفة الوانها جميلة حقا ، براقة الالوان حتى لتكاد تأخذ بالابصار .ورأت كذلك تلك الجنة الوارفة الظل وكيف طابت ثمارها واتت اكلها وكيف انها شهية تسر الناظرين ، واستهوتها الجنة فوقفت وتأملتها بعينيها الجائعتين واخذتها سنة من النشوة احست خلالها بشىء غريب لم تعرف له كنها يسرى فى جسدها الثائر الفائر المضطرب فيهدهده فى حنان كما تهدهد انداء الفجر أفواه انزهور ، فانفرجت اساريرها واشرق وجهها وعلته ابتسامة جميلة انارته . .

انها ستعامله بالحسنى ، وستأخذه بالرفق وستقول له قولا كريما، فمن يدرى ؟ ربما ارجعه هذا عن غيه، ربما جعله ينتهى من حيث يريد ان يبدأ ؟ او على الاقل يقتنع من الشجرة بظلها. ومع ذلك هبيه لم يقتنع فما هو الذى سيأخذه؟ قبلة. قبلتين . قبلات وما الذى يضير فى ذلك . ؟ ان العاقل من يفرط فى شىء ليحتفظ باشياء .. ان من الجنون ، ان تحتفظ بكل شىء .. لتفقد فى النهاية كل شىء .. ومع ذلك فلن تخسرى شيئا يا جليلة .. فان ربح هو شيئا فستربحين انت اشياء ، ستربحين اولا اطمئنانك على مستقبلك فى هذا البيت ، فقد تعبت اقدامك من كثرة التنقل فى بيوت الناس .. وستربحين كذلك انك ستصبحين تماما فى البيت كسيدته هذه التى تحتقرك دائما وتنظر اليك بازدراء كأن الخادمة فى نظرها ليست من الجنس البشرى .. انك ستصبحين بعد هذا اليوم فى البيت لا فرق بينك وبين سيدتك . لا فرق بينك وبين



www.alkottob.com

سيدك اليست هى زوجته وانت عشيقته ٠٠ ؟ اليس هو سيد البيت وانت معشوقته ٠٠

ولكن ترى هل سيقتنع من الشـــجرة بظلها حقـــا يا جليله ٠٠ ؟ هل سترضـــيه قبلة ٠ قبـــلات ٠٠٠ ؟ ان الرجال كالذئاب كلاهما حديد الناب ، وكلاهما يلتهم فريسته وانت يا جليلة فريسة شهية !!

وحانت منها التفاته عارضة الى مرآة الغرفة التى كانت فيها فرأت امامها الشجرة وارفة الظل فينانة العود دانيـــة القطوف ٠ ولكن ما هذا الذى ترين يا جليلة ٠٠ ؟ ما هـــذه الباقة التى نسقتها يد فنان كبير ٠ ؟

ما هذا الصدر العاجى الناصع الذى يميس ويتيه فخـــرا بتوأميه ٠٠ ؟ ما هذا الثدى النزق الارعن الذى لا يهـدأ ولا يستقر كأنه العصفور النشوان فى قفصه الذهبى ٠٠ ؟ ما كل هذا يا جليلة ٠٠ ؟ ما كل هذا ٠٠ ؟ وأرادت ان تقول شيئا اخر ولكن نظرة ثانية الى المرآة جعلتها ترد الطرف هلعة جزعة وقد زمت شفتيها وزوت ما بين حاجبيها ولمعت عيناها لمعانا خاطفا وتطاير منهما شعاع كأنه النار ٠

ما هذا الجنون الذى تفكرين فيه ٠٠ ؟ وما هذه اللوثةالتى اصابتك ٠٠ ؟ ومن فى الوجود تفرطين له حتى فى ثمـــرة واحدة من تلكم الثمار المدلاة على الغصن الرطيب ٠٠ ؟ انك ستتزغمين ارغاما ٠٠ كلا ليس لقوة فى الارض ان ترغمك ٠٠ ان الوحوش الضارية نفسها لا تستطيع ان ترغم امرأة ٠٠ انه عنيد ٠٠ انه متحجر القلب والجسد ! من قال ذلك ؟؟ عيناه ٠٠ ساعده القوى المفتول ٠٠ اكتافه العريضة المتغطرسة صدره هذا الخافق القوى ٠٠

هذه نزعات طيش يمليها على العقل شيطان !

وارتدت جزعة وجحظت عيناها جحوظا مخيفا ، وتمتمت شفتاها فى صوت لا يبين ٠ ٠

بل همسات قلب ترجعها على الشفاه قيثار !!

وأدارت وجهها ونحت جسدها عن المرآة ، هذه اللعينـــة التى اثارت كوامى الجسد الفتى الثائر ٠ ووقفت حينـــا



www.alkottob.com

صامتة . ثم عادت مرة اخرى الى نفسها ..ولكن اين هو ؟؟ لماذا لم يغادر غرفته حتى الان .. ؟؟ لماذا لم يطلبها اليه او يسع هو اليها .. ؟؟ ليته يفعل . لاريه كيف تذود المرأة عن نفسها ، رغم ما اعد لها من شباك .. اجل ليته يطلبني اليه . او يسعى هو الى . ليرى كيف تستطيع فتاة مثلي ان ترده مذموما مدحورا ..

وفجأة سمعت صوتا ينبعث من البهو ، فانخلع قلبها وارتدت خائفة وجلة تترقب وقع اقدامه ـ ونظرت من ثقب الباب ـ انه ينظر الى الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط .. أنه يعود ثانية الى غرفته . ها هو ذا يقف امامها .. انه .. ماذا .. ؟ انه ينادى ..

جليلة .. جليلة ..

وسمعت اسمها تنسكب حروفه فى اذنيها انسكابا . فردت الطرف مأخوذة جزعة ترى بماذا ترد؟ ترى لماذا يناديها ؟ انها لن تجيب انها لن ترد . ترى ماذا يحدث لو اجابت ؟

وجحظت عيناها وانبهرت انفاسها وراح صدرها الخافق يعلو ويهبط حتى لكأنه الموج ..

جليلة .. جليلة .. جليلة ..

وعاد اسمها من جديد تنسكب حروفه فى اذنيها ولكن فى هدوء هذه المرة كما تنسكب قطرات الغيث على الجذوة المشتعلة . انه من الخير لها ان تجيب . وان تلبى النداء ، فما كان للخدم ان يردوا لاسيادهم طلبا ..

حتى ولو كان النداء يا جليلة .. لا .. لن اجيب ابدا ولن البى النداء .. . بل سأغلق الباب على وسأحكم رتاجه الداخلى .. وليس لقوة فى الارض ان تغلبنى على امرى .. ان تحول بينى وبين ما اريد ..

وعاد الصوت مرة اخرى ينبعث من جديد واندفعت الى الباب لتغلقه . لتحكم رتاجه لتقيم سدا منيعا بينها وبين هذا الذى يريد بها امرا .. يريد بها شرا .. ومدت يدها خائفة مضطربة ولكن اليد اللعينة بدل ان تغلق الباب فتحته على مصراعيه .



www.alkottob.com

وانقدم المتخابثة بدل ان تقف · وتتسمر فى الارض راحت تمشى على مهل وتنقل الخطو فى لين ورفق واغراء ··

وفجأةوجدت نفسهاتقف بجوار(الشيزلونج ) الذىتمددعليه فى استرخاء يدخن لفافته الفاخرة ·· ونظر اليها ، ونظرت اليه ·· وتحدثت عيناها واختلجت شفتاها وجاهدتها نفسها جهادا مرا قاسيا · وجاهدت نفسها جهادا مرا قاسيا ··· وعملت بلسانها فى شدقيها طويلا حتى استطاعت ان تقول فى صوت خفيض لم يكد يبلغ اذنيها :

ـ نعم يا سيدى

وعاد فنظر اليها وعادت فنظرت اليه ·· ولكنها خجلت فردت الطرف ملتهبة الوجه · متوردة الخد الذى راح منفرط توردە يكاد يقطر دماء · ولما رأى ذلك مد يده وتناول يدها المضطربة بين يديه · ودس فيها ورقة مالية من فئة الجنيه وهو يقول :

ـ هذه لك ···

وارتعشت يدها واضطربت اضطرابا كبيرا وهى تخلصها من بين يده · ·وشعرت بكيانها كله يضطرب ايضا ويهتز اهتزازا عنيفا وهمت بان تقول له شيئا · ولكن فجأة دوى جرس الباب الخارجى فذعرت وارتدت واجفة مبهورة الانفاس ولكنه ربت على خدها فى هدوء وقال وهو ينهض منصرفا ليفتح الباب :

ـ ستأتى ضيفة عزيزة الان وستنصرف بعد حين · فرجائى ان يكور هذا سرا لا تعلم به سيدتك ·



www.alkottob.com

www.alkottob.com

# اذا جاء الليل

www.alkottob.com

فى منتصف المسافة بين استراحة شل والقاهرة فى الطريق الصحراوى ، وعند المنحدر المقابل للهضبة المرتفعة المعروفه بالهضبة الحمراء ، لحمرة رمالها ، كان الاعياء والسأم قد تناهت قسوتهما علينا ، فالسيارة التى اكتنفتها حرارة الصحراء قد تعبت بعد ثلاث ساعات قطعتها من الاسكندرية الى هذا المكان فى طريقها الى القاهرة وذراعاى قد ملتا طول الاستلقاء والقبض على عجلة القيادة ، فانطرحتا عليهافى ملل واعياء وكان والدى الجالس بجوارى قد استنفد كل ما فى جعبته من احاديث تقال للابن فراح يعالج النوم الذى كان يتصل حينا لينقطع فى أكثر الاحايين ، وانا اشد ما اكون حقدا على هذا الحبل اللئيم الخبيث الذى لا يريد ابدا ان يحقق امنى فيه فيتصل ولو خمس دقائق ، اختلس فيها حرق لفافة .

بيد ان هذا الامل لم يمكث طويلا حتى تحقق ـ فقد لمحت عن بعد سيارة معطلة فى الطريق واستطعت ان المح بجوار السيارة ثوبا هفهافا راح يداعب فى رفق ساقا مرمرية بيضاء وما ان قاربت السيارة حتى كنت قد اسهبت لابى فى جزاء الحسنة والمثوبة التى تقدمها السيارة السليمة للسيارة المعطلة فى انطريق القفر ، فاقتنع ابى بضرورة الوقوف وتقديم يد المعونة اليها ، وما ان دانت سيارتنا السيارة الفخمة المعطلة ووقفت حتى دهشت ، اذ رأيت ابى يغادر السيارة مسرعا ويذهب الى شيخ وقور ترتسم على وجهه دلائل الرفاهية ، والنعمة العريضة ، ويصافحه فى احترام كبير ، ويقول له كلاما ، لم ترن منه فى اذنى سوى ـ سعادة الباشا ـ وما هى الا لحظات حتى كنت امد يدى اليه والى ثلاث فتيات وسيدة كن على جانب عظيم من الجمال الذى يرغمك على سبر غوره والتعلق به من النظرة الاولى ، وما هى الا لحظات ايضا حتى عرفت ان سعادة الباشا صديق حميم لابى ، وان هذه هى اسرته المكونة من زوجه وبناته الثلاث ، وان سيارتهم قد تعطلت فجأة ـ ولا امل فى سيرها الا اذا عاد السائق الذى ذهب الى القاهرة فى سيارة اخرى ليصلح العجلة التى تمزقت فجأة ،



www.alkottob.com

وبعد تبادل الرأى اتفق ان يبقى ابى وسعادة الباشا فى السيارة المعطلة الى أن يعود السائق ، وأن انصرف انا مع الاسرة ـ الفتيات الثلاث والام ـ الى القاهرة ، وان ننتظرهم حتى يعودا بالسيارة بعد عودة السائق .

وهكذا وعلى غير انتظار بدل الله الدنيا من حال الى حال ، فالقيظ الذى كانت تلفحنى حرارته انقلب الى نسيم عطر متضوع وذراعاى اللتان كانتا قد ماتتا اعياء ، دبت فيهما الحياة من جديد ورحت اقبض على عجلة القيادة فى خفة ورشاقة ، حتى السيارة نفسها ، السيارة التى كانت قد تهالكت على نفسها تعبا واعياء ، انقلبت الى عروس جميلة راحت تتهادى بالركاب الكرام كما يتهادى الطائر الغرد على جسر القناة ، والنفاقة التى كانت منذ دقائق محرمة على شفتى رحت اشعلها من نفاقة ثمينة لطيفة تخضب طرفها بأحمر الشفاه .

وفى الطريق المقفر رحت انظر الى مرآة السيارة التى امامى فأرى فيها العرائس الثلاث ، اللائى جلسن على المقعد الخلفى يتهن جمالا وحسنا ويتمايلن دلالا وفتنة ، وكأنهن فتاة واحدة لا فرق بينهن فى طول او عرض ، ولا فى جاذبية او جمال ، حتى الهدب الطويل المسترخى عند هذه هو نفس الهدب الساجى على المحاجر اندعج عند تلك ، والثغر الاملس القانى عند تلك ، هو نفس الثغر الملتهب الذى تبرق ثناياه عند هذه . حتى الشعر الاسود المسترسل الذى انطرح فى استسلام عجيب على الكتفين ، هو نفس الشعر الساجى المستسلم على ظهر الثانية ، والابتسامة التى كانت تتالق فتضىء الوجه الضاحك الذى يطل على الدنيا فينيرها ، هى نفس ابتسامة الثلاثة التى كانت تطل على قلبى من خلال المرآة فتبدد غياهبه وتمحى ظلماته .

وكنت انظر الى هذا كله فلا يسعنى الا ان ازجر العين المبهورة ثم انقلها فى المرآة الى الام الجالسة بجوارى تتضوع مسكا وطيبا وكأنها بلقيس فى موكبها العظيم ذاهبة الى سليمان



www.alkottob.com

التحاربه بسيف من الفتنة وتقهره بسلاح من الجمال ، وقد لفت نظرى اليها رغم جمالها ، أنها لا تختلف اختلافا كبيرا عن بناتها الثلاث ، لافى القوام ، ولا فى الجمال ، ولا فى الانوثة، الى حد أثار فضولى فسألتها ، بعد أن تجاذبنا أطراف الحديث وزالت الكلفة بيننا جميعا :

قلت لها انه من العسير جدا على المرء أن يصدق انك أم ، لانه لا يستطيع ( ومع التجاوز ) الا ان يجزم بانك الشقيقة الكبرى لهؤلاء الظباء الثلاث ، فقالت ضاحكة وكأن هذا الاطراء غير المقصود قد أطربها :

ـ قد تقتنع تماما اذا عرفت اننى تزوجت الباشا وانا فى السادسة عشرة من عمرى وأنجبت اقبال وعنايات ، اللتين تزوجتا ايضا منذ عام فى الاسكندرية وها هما تعودان الى القاهرة زائرتين لاول مرة بعد الزواج ثم سميرة وأنا لم أبلغ بعد الثانية والعشرين فالفرق كما ترى غير ملحوظ .

ثم أردفت مسبلة الهدب منسكرة الجفن وقالت :

ومع ذلك أرجو الا تكون عينك حاسدة فترديني بسهم ..

ثم استلقت ضاحكة مع الغانيات الثلاث فأحدثت الضحكات الاربع نغمة موسيقية رائعة عبثت بكياني وأحالته الى شيء هش كاد يتطاير مع أنغام انضحك الحنون وكنا قد بلغنا القصر الكبير فى القاهرة لأن السيارة اللعينة أبت الا أن تحرمني من هذا النعيم سريعا ، فقطعت المسافة التى كانت باقية على القاهرة فى غمضة عين ، وأمام مدخل القصر استقبلنا ثلة من الخدم والحشم لفت نظرى من بينها فتاة على جانب غير ضئيل من الدمامة هى التى تناولت منى الحقيبة ، وهى التى كلفتها سيدة القصر بأن تقودنى الى غرفة لأستريح وأبدل ثيابى ريثما نتناول الغداء ، والحق أن هذه الخادم كانت كريمة كسيدتها ، فقد هيأت لى من أسباب الاستجمام والراحة ما أنساني متاعب السفر ، وأنساني أيضا تقززى من دمامتها التى شغلتنى حينا فى المقارنة بين الجمال والقبح . وفى كيفية توزيعهما ، وبأى نسبة توزع هذه الحظوظ على النساء ، وبعد



www.alkottob.com

أن استرحت قليلا فى تلك الغرفة الموشاة بكل ألوان النعيم دعيت الى المائدة التى انتظمنا حولها جميعا ، أنا وسيدة القصر وبناتها الثلاث اللائى استبدلن هى الاخريات ثيابهن بأخرى قشيبة فاخرة غدت على جسدهن أشبه بعناوين محكمة لقصائد خالدة من الشعر ، وقد بالغن على المائدة فى اكرامى وملاطفتى حتى اشعرننى بعد دقائق بأنى أحد أفراد هذه الاسرة ، وكأنى أعرفها من زمن بعيد يرجع الى سنوات ، ودون أن أشعر انفك عقال الخجل الذى كان قد لازمنى عند ما دخلت القصر ،ورجعت الى طبيعتى المرحة الفكهة فرحت أضحك وأنكت نكات طريفة لا أعرف من أين جاءتنى ، وكن يستلقين لها ضاحكات ، ومنها ما كانت الام تسجلها وهى على المائدة بعد أن طلبت قلما وورقا ، وكلما رأيتهن فرحات منشرحات أمعنت أنا فى مرحى وفكاهاتى حتى أقنعتهن دون أن أشعر بأن الصدفة التى جمعت بينى وبينهن كانت أمتع ما لاقين فى حياتهن وأنى أصبحت ضرورة لهن ، حتى على الاقل أيام وجودى فى القاهرة تلك الايام التى صممت سيدة القصر على أن أقضيها معهن ، ولهذا فرحن جدا عند ما أقبل سعادة الباشا مع العصر وأفهمنى بأن والدى ذهب لبعض أشغاله وهو لا يعرف متى يعود . وأنى سأقضى الليلة ضيفا عليهم حتى يأتى والدى غدا لنتناول معا الغداء ثم جلس معى سعادة الباشا يلاطفنى هو الآخر فى حضرة الاسرة التى أخجلتنى مدحا وثناء ، ثم راح يقص على طرفا من صداقته لأبى وكيف أنها ترجع الى عشرات السنين أيام كان سعادته مديرا للغربية ، وكان أبى من أبرز العمد فيها ، وهكذا مكثنا نتحدث الى حين ثم استأذن سعادته وانصرف لينام فى الطابق العلوى الذى فهمت من حديث عابر أنه ينام فيه بمفرده ، ومكثت أنا واقبال وعنايات وسميرة والأم ، نضحك ونتحدث ونحرق اللفائف الامريكانى ونلعب الكونكان ـ الى وقت متأخر من الليل ، ثم انصرفن الى سبيلهن كما انصرفت أنا الى الغرفة التى أعدت لى ، وفيها نزعت ثيابى وأويت الى الفراش الوثير وان كنت لم أستطع



www.alkottob.com

ـ لانام ـ أن أنتزع من نفسى حلاوة هذا اليوم الجميل الذى قضيته ، وألح على التفكير فيه واستجلاء جماله ومعانيه ، والمصادفة التى خلقته لى حتى ضقت ذرعا من كثرة التفكير ورحت بأناملى أقفل عينى المحملقتين فى الظلام لعلنى أنام ، وقد نجحت شيئا بعد المحاولة ، ولكنى فجأة أحسست بباب الغرفة يفتح بطريقة لم تحدث حتى همسا فى الليل وتسلل منه شبح كدت أفزع لمجرد الاحساس به فى الظلام . وهممت أن أصرخ لولا أننى شممت رائحة عطر جميل خنقت غريزة الخوف فى نفسى ، وأحسست به يقبل على السرير يتحسس الخطا حينا ، وحينا يصلح من أطراف غلالة رقيقة لم أستطع أن أتبين لونها فى الظلام الحالك ، وان كنت أقطع أنها تميل الى البياض ، فتناومت وكتمت أنفاسى مضطربا ، ثم شعرت به يحسر الغطاء من على وجهى وكأنه ينظر الى فى الليل ويمد عيونه مدا فى الظلام الى جسدى ليتبين مكان وجهى من الفراش وكأنه استطاع أن يراه فعلا وان يتأكد من أنى أسبح فى سبات عميق لأنه مد يده برفق وحرص أيضا ورفع طرف الغطاء من فوق وجهى ، وأحسست بدقات قلبى ترتفع قليلا وبأنفاسى تكاد تفضح يقظتى التى حاولت جهدى اخفاءها فتصنعت الاغراق فى النوم بأن استدرت الى الجانب الآخر ، فحدث على غير قصد منى أننى أخذت معى الغطاء وبقى الجسد المتمدد بجانبى عاريا الا من تلك الغلالة الشفافة الرقيقة التى لم أستطع فى الظلام أن أتبين وجه صاحبتها .

وفجأة شعرت بشىء يشبه الدوار يلتف حول أنفاسى ويطبق عليها كما التفت تلك الذراع الملساء الناعمة حول عنقى واحتضنته .

ولم أذكر بالتفصيل شيئا مما حدث وكل الذى أذكره اننى بعد أن أفقت من هذا الاغماء رأيت فجأة الشبح يتهيأ للانصراف خفيفا رقيقا كما أقبل منذ ساعة خفيفا رقيقا كالنسيم ، فارتعبت وخشيت أن ينصرف دون أن يكشف لى عن شخصيته التى أحكم اخفاءها بطريقة تثير الدهشة ، والتى



www.alkottob.com

شعرت بأن الموت أهون على نفسى من عدم اكتشافها ، لذلك رأيت نفسى ممسكا بذراعها وشفتاى تلمس اذنها هامسة فى ذلة وانكسار ، واستجداء راجيا أن تكشف لى عن نفسها · وأى الغانيات الاربع تكون هى · بيد أنها لم تكد تشعر بأن هذه هى رغبتى حتى خلصت ذراعها منى بطريقة أشعرتنى بفضولى ووقاحتى لمجرد تفكيرى فى اماطة اللثام عن شخصيتها ،ولكنها مع ذلك كانت كريمة لانها غافلتنى وهى تنصرف ، وقطفت من ثغرى قبلة ، ثم تلاشت فى الظلام فلم أشعر بها ولا حتى بباب الغرفة الذى عاد وارتد كما كان ، وكأن لم تخرج منه أجمل غانية عرفتها الاساطير ·

وفى الصباح عند ما انتظمنا حول مائدة الافطار ، أنا وعنايات ، واقبال وسميرة ثم الأم جليلة هانم ، لأن الباشا انصرف مبكرا الى مقر الشركة التى يعمل فيها ، كنت حائرا قلقا تكاد أى شاردة من لفظ تفضح أمرى ، وتكشف عن ذلك السر الذى ارتكبته مع هذه الجالسة معنا والتى لم أعرفها ، والغريب الذى اندهشت له والذى سبب لى الكثير جدا من القلق والاضطراب ، انى ألفيتهن الاربع كما تركتهن بالأمس يفضن مرحا وابتهاجا كأن واحدة منهن لم تسبب لى هذا القلق أو كأنها أبدا لم تسقنى بيدها تلك الخمر الخالدة ، ثم تبخل على بالكرم الذى اعتصرته منها ، وقد لاحظن على هذا الاضطراب وهذا القلق الذى اكتنفنى ، بل وهذا الصمت المريب الرهيب الذى غرقت فيه فرحن يسألننى عن سر هذا الانقلاب المفاجىء، حتى هى نفسها سألتنى وأقول هى لأنهن جميعا ألقين على هذا السؤال وهى احداهن من غير شك ولكن من هى ؟؟

سميرة التى تكاد تلتهمنى بعينيها التهاما ·

الهام التى تكاد تضع بيدها الطعام فى فمى بدون استحياء

أم عنايات التى لم تجلس على مقعدها دقيقة واحدة كاملة الا اذا انتقلت الى وقدمت لى لونا من ألوان الطعام الشهى الذى حفلت به المائدة ·

أم الأم التى استقبلت صباح هذا اليوم بذلك الثوب



www.alkottob.com

الابيض الذى أضفى على سمتها كل هـذا الاشراق الذى كان يتبلج نوره على أنغام الضحكات العطرة ٠

وكنت أنا من فرط حيرتى أنظر الى هذا كله فأزداد حيرة ، واضطرابا وقلقا وأقول لنفسى وأنا أجلس معهن فى الحديقة التى انتقلنا اليها بعد تناول الافطار ، نو أن هذه التى تجلس منى على قيد أنفاس تعرف هذه الحيرة وهذه النار التى تعتمل فى قلبى ، وكان قلبها من حجر لكسرت لى جفنا أو أرخت لى هدبا ، أو حتى مست بحذائها قدمى فأعرف وأهدأ وأستريح، ولكن لى الله فقد قد قلبها من صخر وليس من سـبيل الى أن أسمعه أنين قلبى ٠٠

وقبل العصر كان أبى قد حضر فى صـحبة الباشا وتناولنا ثلاثتنا طعام الغداء ٠ وكان أشقى ما يشقينى هو أن أنصرف مع أبى دون أن أعرف هذا السر الذى أرى كتمـانه والموت عندى سواء ٠٠ لهذا فرحت جدا عند ما أقبلَ علينا الباشا فى الغرفة التى جلست فيها مع أبى بعد تناول الغداء وقال :

ـ سيبقى النجل العزيز هنا ليذهب مع الاسرة الى السينما هذه الليلة أما أنا وأنت فلنذهب ٠

فقاطعه والدى ضاحكا

ـ الى قهوة الشيشة !

وقبل الغروب كان القدر قد أشـفق وبعث لى بصيصا من الأمل فبينما كنا نركب السـيارة فى طريقنا الى السـينما لاحظت أن اقبال هى التى ـ وبطريقة لبقة ـ ركبت بجـانبى أما جليلة هانم وسميرة وعنايات فقد ركبن فى المقعد الخلفى ٠ ورحن كعادتهن يضحكن ٠ ويعابثنني ولكن اقبال التى جلست بجانبى كانت أكثرهن مرحا وضحكا ٠ استطعت أن أفهم منه أن الغانية المجهولة بدأت ترحم القلب الذى استمرأت تعذيبه أربعا وعشرين ساعة كاملة ، وبدأ هـذا الامل يتكشف لى بطريقة أوضح عند ما جلسنا فى مقصورة السـينما ، فقد تعمدت اقبال أيضا أن تجلس بجانبى وأن تمس ساقى بحذائها الاخضر الجميل مسا آلمنى فيه ـ وذلك لغبائى الذى عرفت به



www.alkottob.com

فى مثل هذه المناسبات ـ اننى لم أعرف ان كان هذا عن قصد أم عن طريق المصادفة · ولكنى أقنعت نفسى بالأولى ورحت أخصها بنظراتى وتعليقاتى الفكاهية على الفيلم ، كما بدأت هى أيضا تخصنى بحديثها وتغدق على من نفائسها الثمينة الأمر الذى سبب فكاهة طريفة لا بأس من ذكرها ، وهى أننى أثناء الاستراحة واضاءة الانوار ألفيتهن فجأة ومن بينهن اقبال أيضا ينظرن الى ويغرقن فى الضحك وكلما سألتهن عن السبب أمعن فيه ، وأخيرا اتضح أننى فى ظلام السينما أخطأت وأنا أشعل لفافة من اقبال فأعطيتها لفافتى فلوث الأحمر العالق بلفافتها شفتى بطريقة مضحكة ، فلم يسعنى الا أن أشاركهن هذا الضحك المرح أنا الآخر ، وان كنت شعرت بشىء من الخجل وأنا أزيل الاحمر من على شفتى ·

بيد أن هذا كله تلاشى بكل أسف أثناء العودة · وعاد ذلك البصيص الذى كان ينير لى الطريق قليلا فانطفأ · لأن اقبال لم تجلس بجانبى وقد قصدت ذلك مع أنى كنت آمل أن السر سينجلى أثناء العودة فى همسة أو ضحكة أو لفتة عابرة ، وركبت بجانبى جليلة هانم وهى التى تعمدت هذا ، وزادت عليه ما جعل القلق من جديد يعود الى قلبى ويأكله أكلا بمنقاره الطويل المدبب ، فقد حدث بعد أن خرجنا من السينما أن ذهبنا نتريض قليلا فى الليل على ضفاف النيل عند الجزيرة وفى الطريق مالت على جليلة هانم وتناولت من يدى عجلة القيادة وراحت تقود هى السيارة ورحت أنا أشكو حرقة النار المتدفقة من كتفها المستلقى على صدرى ، الى حد أننى لم أحتمل أذى تلك النار فطلبت اليها أن أتنحى اليها عن مقعدى وأجلس مكانها وتقود هى · ولكن الجميع صرخن فى وجهى بأنهن يردن الحياة والاستمتاع بالدنيا ، ولا يردن أن يمتن الليلة وعلى هذه الطريقة ·

وهكذا وكلما تدفقت النار من جديد اتجه تفكيرى اتجاها آخر ، وأشفقت على اقبال التى ظننت بها الظنون ، لأن هذه الظنون كان يجب أن أوجهها من أول الامر الى جليلة هانم



www.alkottob.com

لو كنت أنا على شيء من الذكاء • وعلى هـــذا بدأت أستريح قليلا ، غير أنه حدث عند ما بلغنا القصر وهبطنا من السيارة وانصرفنا لننام ان صافحتنى سميرة وهى تضغط عـــلى يدى قليلا وتنظر الى وكأنها ترمينى بالغباء ، اذ كيف لم أعرف ان هذه اليد هى نفس اليد التى عصرت لى بالأمس تلك الخمـر الخالدة • نهذا انفرجت أساريرى وهممت أن أقول لها شيئا ، ولكن عنايات التى أقبلت على منتشية تتهادى مدت لى يدها هى الاخرى وصافحتنى ، وهى تأكل من وجهى بعينيـها وتضغط على راحتى بنفس الحنان والرفق الذى لاقيته من سميرة ، فما كان منى أزاء هذه المرارة القاتلة الا أن انصرفت مسرعا عابس الوجه ، محموما •

وفى الفراش وفى قلب ذلك الظلام الدامس رحت أتلـوى غيظا وحقدا كما رحت ألعن اليوم الذى التقيت فيه بهـــذه الاسرة الماكرة انفاجرة الخبيثة ، وأسب القدر الذى راح يعبث بى هذا العبث المرير القاتل الذى ضاعف منه وجعله يبلـــغ منتهاه ، أننى شعر ت فجأة وفى نفس الـــوقت من الليلـة السابقة بالباب يفتح على مهل كما فتح أيضـــا ليلة البارحة ويدخل منه نفس الشبح ويقبل على كما أقبل من قبل خفيفا رقيقا كالنسيم فتناومت وتريثت عـــلى مضض حتى يدانينى فأقبض على عنقه ولا أتركه حتى يكشف لى عن نفسه ويريحنى من هذا الأذى القاتل الذى سبّبه لى ولكن من سوء الحظ ـ وأنا دائما سيىء الحظ فى هذه اللحظات ـ أننى فجأة نسيت كل ذلك ولم أفكر فيه الا عند ما بدأت تتهيأ للانصراف •

وما أن أحسست ببدء انصرافها حتى تمثل لعينى هـــول الفاجعة ان هى انصرفت مجهولة كما أقبلت مجهولة ، لذلك تشبثت بها وأفهمتها والدموع تكـــاد تطفر من عينى أننى سأرتكب جريمة ، ولو جريمة اضاءة النور فى هذا الـوقت ـ وليحدث فى القصر ما يحدث ـ ان لم تقل من هى ، ولاسيما أننى سأغادر القصر صباحا بل القاهرة كلها ، فمالت على هامسة وأفهمتنى أنها مقدرة هذا كله وأنها ستكشف لى فعـــلا عن



www.alkottob.com

نفسها ولكن فى اللحظة التى سأغادر فيها القصر وأنها أعدت لى مفاجأة سارة وهى صورتها التى ستهديها الى لتكون ذكرى هذه اللحظات التى لا تنسى ٠

وفى الصباح بدأت أرهق عينى فكل واحدة تقتـــرب منى ظننتها ســـتدس لى الصـــورة ، وكل واحدة تنصرف أظن أنها ذهبت لتأتى الى بالصورة ، وكل واحدة تقبل وفى يدها مجلة أو جريدة ظننت الصورة فى قلبها ٠ ولكن شيئا من ذلك لم يحدث بكل أســـف والذى حـدث أننى عند ما ودعتهن منصرفا وصافحننى بحرارة تكاد تكون واحدة وبأسف عـلى الفراق يكاد يكون واحدا ، وانصرفت أقطع طريق الحديقـة الى السيارة تكشف لعينى غبائى الذى لاحد له ٠ فقد كان يجب أن أفهم أن موضوع الصورة كان حيلة ماهرة تخلصت منى بها تلك الغانية اللعوب ٠

وفتحت باب السيارة مهموما محزونا متلبد الحواس ، أكاد من فرط قلقى وحيرتى لا أرى السيارة التى أمامى ٠ ومددت يدى وتناولت الحقيبة دون أن أنظر الى الخادمة ، لأننى لا أريد ان أنظر الى أحد فى هذا القصر الملعون ٠

غـــير أن الذى جعلنى أقف مرتعدا مبهـــور الانفـــاس جاحظ العينين كأننى تمثال للرعب تلك هو الخادم التى قالت وهى تغض حياء بوجهها الدميم الذى شـوهته آثـار الجـــدرى وانطبعت عليه ، وكأنها أقدام الزمن القاسية ٠

ـ خذ هذه الصورة

فقلت مرتعدا

ـ صورة من ؟

فأرخت جفنيها المتآكلين وهى تقول :

ـ صورتى ٠٠٠٠



www.alkottob.com

www.alkottob.com

# إمرأة فى حياتى

www.alkottob.com

لما قطعنا شـــوط الطفولة الهانئة ، وبلغنا شط الصـــبا المتلهف ، كنا قد تخرجنا معا من « كتاب الشيخ الدناصورى » الذى حفظنا فيه جزءى عم رتبارك عن ظهر قلب واستطعنا أن نكتبهما نسخا ورقعة على اللوح الاردواز مرات .

ثم رحلنا بعد ذلك الى القاهرة فى طلب العلا كما كان يحلو له أن يتفكه . وحططنـــا رحالنا فى غرفة مظلمة بشـــارع الحدادين خلف المحافظة . اختيرت لنا بالذات لقربها من مدرسة خليل أغا التى كانت اذ ذاك بجوار سيدنا الحسين ، ولصداقة واندى رحمه الله بصاحب الدار وزوجه العجوز التى ما زلت أحفظ لها أحسن الذكريات .

فى تلك الغرفة الضيقة ذات النافذة الـواحدة التى كانت لا تفتح ، وند حبنا بين أسجاف الظلام ، فكان أجمل ما يكون وليدا . وفى رحاب المدرسة تعهدناه فكان أفتن ما يكون غلاما . ومع الايام شب عن الطوق فكان قوة لا تزعزعها الاعاصـــير ولا احداث الزمن . حتى فرقتنا الايام بعد الدراسة وارغمتنا على اختيار الطريق التى تكفل لنا الرغيف فى الحياة . أما أنا فكنت قد سبقته الى الوظيفة وعينت بالبكلوريا كاتبـــا فى وزارة الأشغال بسبعة جنيهات . قنعت بها حتى لا أرهـق والدى الذى كان يرزح اذ ذاك تحت أعباء الضائقة المالية . حتى بعد ذلك لم نفترق اللهم الا بعض ســـاعات العمل فى النهار ، وبعض ساعات الليل التى كان يقضيها فى داره بعد أن تزوج .

ولزواجه قصة أرى لزاما على أن أذكـــرها ما دمت أسرد الحقائق التى ينوء قلبى بحملها . . اذ ان فى ذلك ترويحا عن النفس رغم مرارة طعمها

... لما جالت برأسه فكرة الزواج . عرض الامر على ، متخذا من الصـــداقة التى تربطنا ، ومن وظيفتـــه التى هى عرضة للنقل من وقت الى آخر حجة للتفكير فى الزواج . وكنا وقتذاك فى القرية وفى حضرة أمى التى سرعان ما وافقته على فكرته التى خلقت لها فى الحال من عندياتها عشا جميلا



www.alkottob.com

صنعته من ورود المستقبل الزاهر ، واقامته على فرعى السعادة والهناء والنعيم الدائم ومن ثم ظلت به تفريه ، حتى اقتنعنا جميعا بالفكرة كما اقتنعنا بالاختيار الذى وقع على فتاة جميلة هيفاء ابنة أحد الوجهاء ممن تجاور ضيعتهم الواسعة قريتنا ، وقصارى القول نم تنته أجازتنا التى قضيناها فى الريف حتى كانت خطبة الاستاذ الشربينى قد أعلنت وحدد للزفاف نهاية العام الدراسى حتى تنتهى العروس من عامها الدراسى الاخير فى « المير دى دييه »

وان أنس فلن أنسى ما حييت الفرحة التى غمرتنى والسعادة التى شعرت بها وانا ارقب عن قرب صديقى الاستاذ الشربينى وأراه وهو ينعم بالسعادة الخالصة بعد الزفاف بصحبة عروسه الجميلة التى وضح جمالها الانثوى الفاتن الفنان الاكبر الذى صور بريشته الخالدة أبدع جسد لامرأة وأروع قوام لفتاة تأخذ بلبك وتكتنف مشاعرك بمجرد النظر انيها · فقد كانت فى الحقيقة بجمالها الذى يأخذك من النظرة الأولى آية كبرى من آيات الجمال الانثوى الملتهب الشبيه بالجمرة المتقدة دائما ·

ومن آيات النعيم الذى كان يغدق على ثلاثتنا وقتذاك من غير حساب ، ان تحققت فى هذا الزواج نبوءة امى حتى أننى اصبحت ارى العش الذى كانت تحدثنا عنه فى الخيال حقيقة ماثلة لعينى · او كثيرا ما كنت أراه يلوح لعينى كالزنبقة الجميلة تتلألأ فى الرياض بين الورود · أو كزورق من فضة يسبح على صفحة من لجين تحفه ابتسامات القمر · وكذلك ظل هذا الزورق يسبح بهما وسط هذا النعيم وأنا على انشاطىء أرقبهما وأدعو لهما ربى أن يجنبهما عوادى الصخور التى يضعها القدر أحيانا فى طريق الهانئين · وما كنت أدرى وأنا أرتل لهما دعواتى فى محراب الضمير الطاهر ان القدر سيخيب انرجاء ويعكس الدعاء ويجعل رائد الامل يضل بالسفين فى خضم الشهوات · فقد بدأت طلائع الانواء تلوح فى سماء الربيع الصافية ، ولم تلبث حتى اطفأت سراجه



www.alkottob.com

الوهاج وطوحت بالزنابق والورود الى الصحراء تتقاذفها لفحات الرمال المحرقة ، كما جعلت أجزاء الزورق تتحطم وتتناثر على ألسنة الزفرات المشتعلة .

ففى ذات يوم وكان بعد الزواج بعام واحد حدثنى الشربينى فى التليفون وطلب منى سرعة الذهاب اليه فى مكتبه ليحدثنى فى أمر هام ، وكانت نبرات صوته أشبه بنداى حزين . ولما وافيته فى مكتبه وقبل أن أستوضحه الامر ناولنى رسالة قرأت فيها أمر نقله الى الصعيد . وأدهشتنى المفاجأة فنظرت اليه مضطربا ، وقبل أن أقول له شيئا ناولنى لفافة وتناول غيرها ثم قال محزونا وهو ينظر الى وجهى وكأنه ينظر الى شىء بعيد :

ـ ولكن ليس هذا كل ما فى الامر .

فقلت وانا انظر الى عينيه الذابلتين :

ـ ماذا أيضا ؟

ـ ان سميحة لا ترغب فى السفر معى بحجة ان الحياة فى الصعيد لا تلائمها ، ولا تتفق مع صحتها ، كما أنها لاتتمشى وحياة الترف التى اعتادتها فى القاهرة .

فقلت دهشا :

ـ أهى التى قالت لك ذلك ؟

ـ هذا ما استطعت أن أفهمه من خلال حديثها معى

ـ وما الذى عقدت العزم عليه ؟

فقال وهو ينكس عينيه كما ينكس الجندى رأسه بعد الهزيمة .

ـ لم أعقده على شىء ، انك تعلم مبلغ حرصى على سعادتها ، فاذا كان فى بقائها ما يهيىء لها أسباب السعادة فانى أرحب به .

ثم أرسل زفرة حارة وأردف

ـ كل الذى اتفقنا عليه هو أننى سأنفذ أمر النقل على أن تظل هى فى القاهرة حتى ينجح مسعاى فى انغاء النقل الذى فرق بيننا . وان تعزيتى الوحيدة هى انك ستكون بجوارها ترعاها وتهيىء لها من اسباب الهناء ما قد تكون فى



www.alkottob.com

حاجة اليه .

ثم عقب وهو يرقب دخان لفافته المتصاعد فى التواء وتعرج :

ـ وانك لتعرف من هى سميحة بالنسبة الى !!

فوعدته مطمئنا .

وفى الصباح كنا ثلاثتنا أنا وهو وسميحه فى المحطة نودعه ونروح عنه ، وأنا أشد ما أكون أسفا على هذا الفراق الذى ذرفت عينى لأول مرة فى حياتى دموعها من أجله ، فأنا لا أستسيغ الدموع ولا يؤذينى شىء مثلما تؤذينى رؤية رجل يبكى .

ومع ذلك .. عند ما أرسل القطار صفيره المدوى الذى خلته كنعيق الغربان وابتدأ يزحف انهوينا كثعبان مخيف وتمثلت لعينى عمق الحسرة التى سيخلفها هذا الفراق ـ لم أتمالك نفسى وأجهشت بانبكاء ، وبعد أن سار القطار ظللت كذلك فأخذت سميحة تهدىء من روعى حتى هدأت بعض الشىء ، ثم أوصلتنى بسيارتها الى الوزارة . وواعدتنى على أن نلتقى فى الدار .

ومن ذلك اليوم كثر ترددى على الزمالك حيث تقطن سميحة بمفردها فى دارها الجميلة المطلة على انشاطىء . وبدأت ألحظها بعين ساهرة حتى اكون عندحسن ظن الشربينى ولكى أشعرها بأننى حقا انما أقوم منه مقام الاخ والصديق ، ومنها مقام الخادم الامين أو الصديق الاشد اخلاصا من الاهل والاقرباء . وسرنى أنها اقتنعت بذلك وحفظته لى وحدثت عنه الشربينى فى رسائلها اليه كما عملت من جانبها على ازالة الكلفة بينى وبينها الى حد كان يسمح لى بأن القاها فى أى وقت من الاوقات وعلى أى وضع من الاوضاع ، ألقاها فى الصالون كما ألقاها فى غرفة الزينة أو المطبخ دون كلفة تشعر أحدنا بفارق ما . وكثيرا ما كانت هى تتعمد ذلك وتعمل على خلق مناسباته . وبلغ من حرصها على ارضائى وقضاء كل أوقاتها معى أنها كانت لا تزور أحدا ولا يزورها أحد حتى العزيزات



www.alkottob.com

عليها من صديقاتها اللهم الا عنايات هانم صديقتها المخلصة وزوجة أحد كبار موظفى وزارة العدل ، فهى التى كانت بحكم الجوار فى المسكن تقضى معها كل اوقات الفراغ ·وفى غير ذلك كانت لا تغادر الدار الا معى ، ولا تذهب الى السينما الا فى صحبتى ،حتى ولا تشترى شيئا من تلكم الاشياء التى تخص النساء الا وأنا معها أنتقيها لها ، وأقرها عليها · كل ذلك وهى تضاحكنى وتلاطفنى كما لو كنت طفلها العزيز المدلل · ولولا أسفى على فراق الشربينى لكنت راضيا كل الرضى · وظللت كذلك الى أن حدث أننى انقطعت يوما عن زيارتها لكثرة مشاغلى فحادثتنى فى التليفون عاتبة · ثم طلبت منى أن أوافيها سريعا لتقرأ على رسالة ملتهبة جاءتها من الشربينى فذهبت اليها مع العصر وهناك استقبلتنى فى ثوب من الحرير الخالص ضغط فى حنان جم على جسدها الفارع المتموج فبرزت كل أوضاع الفتنة فيه تداعب عينيك من بعيد كما تداعبها تلك الجواهر المخبأة خلف الزجاج المصقول ·

وما أن رأتنى حتى علت ثغرها ابتسامة عريضة فرحة أنارت وجهها الصبوح ثم أقبلت على فى خفة الظبى ورعونة الطفل ، ولما دانتنى صافحتنى بحرارة وشوق ثم قالت وهى تعبث بأناملها اللينة ذات الاظافر الحمراء فى رباط رقبتى :

ـ اننى غاضبة منك !

ـ لماذا ؟؟

ـ لانقطاعك عنى كل تلك المدة ·

ـ لقد كنت هنا اول البارحة ·

فزوت ما بين حاجبيها ومدت شفتيها الغليظتين الملتهبتين فى جنون محبب ثم اردفت وهى تسبل اهدابها :

ـ تعنى من ثمان واربعين ساعة

قالت ذلك ثم استلقت فجأة على صدرى ضاحكة وقالت فى دلال ساحر مخيف :

ـ يا قلبك ···

وقبل ان أسترد أنفاسى من هول المفاجأة وأجيبها بشىء كانت قد دفعتنى فى حنان الى غرفة الصالون وهى تقول :



www.alkottob.com

ـ اليك عنايات انها هى الاخرى تود ا نتراك ٠
ـ ومدت لى عنايات يدا لعوبا ككل جارحة فيها ، فمددت نها يدا أرعشها الخزى وصافحتها وأنا أكـــاد أرتعد من أذى نظراتها لى ٠ ثم قادتنى عنايات الى الداخـــل وأجلستنى بجوارها على المقعد المستطيل وقالت وهى تخرج من حقيبتها علبة سجايرها الامريكانى وتشعل لى واحدة :
ـ جرى ايه ٠٠٠ انت مكسوف ؟؟
فأجابتها سميحة فى الحال قائلة وهى تنظر الى وجهى الذى ضرجته حمرة الخجل :
ـ ألم أقل لك ذلك ٠٠٠ انظرى ٠ انظرى كيف خضب الخجل خديه ٠
ثم انتصبت واقفة فى ثوبها الابيض وهى تقـــول متمتمة بصوت لا يبين :
ـ ومع ذلك فان أجمل ما فيه هو هذا الخجل
ثم غادرتنا ونم تمكث غير بعيد حتى عادت وتناولت يدى المضطربة وسارت هى على يمينى وعنايات على يسارى ومن ثم ذهب ثلاثتنا الى المائدة التى اعد عليها عشاء كانت ســـميحة تتناوله مع المغرب كل يوم ٠
وجسلت بينهما دون ان اعترض على شىء فقد كنت كانسان آلى تحركه عدة اسلاك مكهربة ٠ حتى زجاجة الخمر التى كانت على المائدة والتى قيل أول الامر انها لعنـــايات هانم التى اعتادت أن تشرب الخمر كلما أكلت ٠
نم ألتفت اليها ولم أعترض على وجودها ٠ وكل ما كان أننى جلست بين المرأتين كما كنت فى غرفة الصالون مســـلوب الارادة مشوش التفكير كعذراء أوقعها سوء الطالع بين رجلين لا يعرفان من أوضاع الحياة سوى لذتها المستباحة ٠ وكـل الذى كنت أحس به لأنه كان يفعل بجسدى فعل النار هـو ساق سميحة التى دفنتها بين ساقى فى رعونة طائشة فكانت حرارتها تتدفق فى غير شفقة أو رحمة فتلهب جسدى وتصهر جوارحى ٠ وكلما أردت ان أبتعد عن هذا الاذى ٠ أو كلمـا



www.alkottob.com

اتت بحركة جديدة الهبت حواسى وكلما واردت ان اقف او اثور تذكرت عنايات التى بجانبى وخشيت افتضاح ذلك الامر الذى هو الموت بعينه ان أنا جرؤت على التفكير فيه ·

وبلغ من انهيار أعصابى أننى لما رفضت ان أشرب معهما وألحتا فى عزم واصرار وظلتا تلحان حتى شربت وشربت ورحت دون وعى أقرع كاسى بكأسيهما فلما سكرت وبعثت نشوة الخمر فى جسدى حرارة وحياة تمثلت فظاعة الجرم الذى وقعت فيه وتخيلت انشربينى وهو يضغط على يدى مودعا فى المحطة ويقول بصوت حزين :

ـ استودعتك سميحة امانة فى عنقك ·

ثارت ثائرتى وهممت ان انصرف ساخطا لولا اننى عدت وتذكرت عنايات فبقيت على أحر من الجمر وأنا أتمنى ان تنصرف لكى أنصرف أنا الآخر ولا أعود أبدا لهذا البيت ، ولما طال مقامها واذتنى النار التى تحرق جسدى استأذنت وذهبت الى غرفة الصانون بحجة التدخين وهناك ارتميت على اول مقعد قابلنى ورحت انتحب كطفل يتوجع ·

وكذلك مكثت زمنا لا أدرى أطال أم قصر ثم اقبلت على سميحة سكرى تترنح من فرط ماشربت وهى تسير على مهل متكسرة الاعطاف ثملة الجوارح مشوشة الشعر الذى انطرح على كتفيها اسود بلون الليل · ثم وقفت امامى فى ثوب ابيض زانه ذلك الصدر العارى وهذا العنق المشرئب الذى يتألق نورا ولما نظرت الى ورأتنى أرتعد تحت وابل نظراتها المجنونة التى تقذف شيئا كأنه اللهب · ورأت الدموع تسيل من عينى ارتمت عند قدمى تئن هى الاخرى وتتوجع · ولكن من ماذا ؟؟ لا ادرى ·

وهكذا انقضت لحظة صمت رهيبة رفعت على أثرها سميحة نصفها الاعلى من على الارض والقت بذراعيها على صدرى واخذت تقول وهى تخلص شفتيها الغليظتين من بعض الدموع ·

ـ ارحمنى ·· اننى احترق ·· اننى احبك ·· اننى فعلت المستحيل فى سبيل هذا الحب فى سبيل هذه اللحظة التى اخلو فيها اليك ··



www.alkottob.com

ثم مدت أناملها وخلصت عينيها من بعض الدموع واردفت:
ـ أنا التى نقلت الشربينى من اجل هذه اللحظة ٠٠ من اجل هذا الحب ٠٠ وسطت عنايات لدى زوجها فى نقله ٠٠٠ لا تخف لا ترتعب فان عنايات تعرف كل شيء ٠٠ تعرف النار التى تأكلنى من اجلك ٠

وما ان قالت ذلك حتى اظلمت الدنيا فى عينى وتملكتنى قوة غريبة استطيع ان اسحق بها اى قوة فى الوجود ٠لذلك بسطت ذراعى لكى ادفعها بعيدا عنى ثم اسحقها سحقا بقدمى ٠ وقبضت على يدى وهممت ان اوجه اليها اللطمة القاتلة بيد انها سبقتنى وانطرحت على ذراعى واستلقت عليها كصيد جريح مهيض الجناح ٠

فانحسر طوق الثوب الذى ترتديه عن صدر ناصع ناهد كأنه العاج راح يهبط ويعلو مع الزفرات الحارة التى تغمر وجهى وتلفحه بحرارتها القاسية وحولت عينى مضطربا عن هذا الاذى الذى اشعل حواسى وراح فجأة يلهبها بشيء كأنه انسوط

وهنا دارت بى الارض وكدت اسقط لولا اننى عدت فاغمضت عينى ولكن على قوة غريبة تملكتنى واحساس شامل بانسانيتى المتوحشة وحيوانيتى المفترسة فانتصبت واقفا وهى على ذراعى متقلص العضلات مربد السحنة اشبه بذئب مفترس فى الليل ٠ وبدل ان القى بها من النافذة كما عقدت العزم رحت بلاوعى اتسلل بها وسط الظلام من غرفة الى اخرى ككلب جائع يحمل بين فكيه أوزة سمينة ٠ وما ان بلغت بها المخدع حتى القيت بها فى عنف على الفراش الذى انطرحت عليه لاهثة ترتعد وترسل انفاسا ذرية كأنها بخور الاثم تعطر به مهد الجريمة ٠او كأنها زفرات الضمير ترسلها قربانا على مذبح الجسد ٠

ووقفت مرتعبا انظر بعينين جاحظتين الى الثوب وقد انحسر من اسفل عن ساق عارية ببيضاء كأنها فى الليل شعاع من فلق الصبح ٠ ولست ادرى لماذا اخافتنى رؤيتها فاغمضت عينى سريعا وهممت ان انصرف ٠٠ ان اهرب ٠٠ ان اصرخ من اعماقى مستغيثا ، ولست ادرى احدث هذا ام لم يحدث،



www.alkottob.com

ولكن الذى ادريه والذى انا متأكد منه لانه ما زال يطاردنى، هو انه لما انقضى الليل وتسللت خزيان من جوارها ، وكانت لا تزال منسحقة تئن من فرط ما وهبت ·وقعت عينىمصادفة على رسالة ملقاه بجانب انسرير ، وكانت من الشربينى يسأل فيها عن حالى ويدعو الله ان يجزينى عنه خير الجزاء ·

وصمت محدثى لحظات اشعل خلالها سيجارة ومن ثمراح يطيل التحديق الى الثقاب انذى كان لا يزال مشـــتعلا بين أنامله · ثم مد لى يدا معروقة الانامل شاحبة انلون وشـــد على يدى لاهثا وهو يقول :

ـ والان استودعك الله ·· فقلت وانا انظر الى عينيه ووجهه الاصفر المكتئب :

ـ الى اين ؟؟

فقال دون ان ينظر الى وهو يميم وجهه شطر الشاطىء :

ـ لا أدرى



www.alkottob.com

# قرية العشاق

www.alkottob.com

كان اسمه الشيخ منصور . اما نحن فى القرية فكنا نطلق عليه لقب « الشيخ دبور » ونعل فى هذه التسمية ما يقارب الواقع . فهو معك اينما كنت .. اذا هبطت من القطار فى محطة القرية وجدته اول من يقابلك . واذا سرت فى احد أزقة القرية فهو معك . ولو تريضت على انشاطىء . او فى حديقة كبيرة من حدائق الفاكهة التى تكثر فى قريتنا ،رأيته فى ركابك يحدثك عن اصل هذه الشجرة او تلك وسنها ومولدها وعدد ما تنتجه من الثمار واذا صعدت فى الجبل لتشهد مولد الشمس او تشترك فى توديعها . فهو معك يحدثك عن الطبيعة وجمالها . وهذا الجبل والخطوب التى شهدها . واذا جلست عند الساقية تستظل بظل « الجميزة » الكبيرة ، فهو بجوارك يروى لك تاريخ حياتها الحافل ،وكيف ان نابليون بونابرت استظل بها يوما . .

وانشيخ منصور فى السبعين من عمره ، ولكنك لا تعطيه ابدا هذه السن . فهو لا يزيد على الشباب الا اصبعا كما يقول عن نفسه .. وانت لا تراه الا ضاحكا .. يضحك من كل شىء ولكل شىء .. ويظل يضحك ويضحك حتى يستلقى على قفاه. وان لم يجد شيئا يضحك منه او عليه ، ضحك من نفسه .. وهو يحب الخمر ولا يرى الا مخمورا . واحب الاشياء الى نفسه زجاجته التى فى جيبه ، وكأسه انصفيح التى صنعها لنفسه من علبة سردين فارغة . .واحب الهدايا اليه زجاجة من عرقى البلح او عصير القصب انحامض .. وهم فى القرية يقولون عنه اقاويل شتى يقولون انه كان من اثرياء القرية، وكان يملك حديقة العمدة ، وهى اكبر مزرعة للفاكهة فى قريتنا ، ودارا جميلة . وكانت له زوجة وبنون وبنات . ثم فقد كل ذلك ولا يعرفون كيف فقده . ويقول فريق اخر انه يعيش هكذا طوال حياته .. « مجذوبا » لا صديق له ولا انيس غير الزجاجة والكأس اما كيف يعيش ومن اين يجد اللقمة التى يتبلغ بها . فهذا هو السر الذى لا يعرفه احد .

ومنذ عام ذهبت الى القرية فى اجازة قصيرة . وحرصت ،



www.alkottob.com

كعادتي على ان احمل له معى بعض زجاجات من عرقى البلح وكان كما هو منتظر ـ اول من قابلنى فى المحطة فأخذهامنى دون ان يشكرنى أو حتى يحيينى . ثم انصرف مبتهجا بما يحمل . ولم اره بعد ذلك عدة ايام . ولما سألت عنه قيل انه فى انجبل . وكان اذا ذهب الى الجبل مكث اياما طويلة لا يراه احد . الى ان ذهبت فى قيلولة يوم قائظ الىالساقية وجلست تحت « الجميزة » اتقيأ ظلها الوارف ،وفتحت كتابا كان معى . وما أن قرأت فيه قليلا حتى استهوتنى صفحاته فغرقت فيها . وبينما انا كذلك اذ بالشيخ « دبور » فجأة بجوارى يسألنى عن الكتاب الذى فى يدى وعن اسمه وموضوعه واشهد اننى ضقت بوجوده المفاجىء . وخشيت ان تحول ثرثرته دون هذه المتعة اللذيذة . ولذلك اجبته فى تبرم بانه كتاب فى الفلسفة . وقصدت بذلك ان اسكته ، ولكنه لم يسكت وعاد يسألنى عن الكتاب ثانية والفلسفة التى اقرأها فلم اطق صبرا وقلت له ، وعينى على الكتاب لم تفارقه « فلسفة لا شأن لك بها يا شيخ دبور . لانها فلسفة الحب »

وما ان قلت له ذلك حتى انقلبت سحنته فجأة . وعلت وجهه صرامة لم تعهدها عيناى فى وجهه من قبل . ثم قال وهو يرسل نفسا طويلا ملتهبا كأنه النار التى يختزنها فى صدره: « وهل هذا الحب الذى تقرءون عنه فى الورق يسمى حبا يا بنى » وكانت هذه اول مرة اسمعه فيها جادا . فاغلقت الكتاب ونظرت الى وجهه الصارم وعينيه اللامعتين وشفتيه المتحفزتين لحديث طويل وقلت : « وما الحب اذن يا شيخ دبور » فشغل عنى حينا بالزجاجة التى فى يده ، والكأس تلو الكأس يفرغها فى جوفه المحترق . ثم قال وهو ينظر الى بعيد ، وكأنه ينظر الى انشرر المتطاير من عينيه :

ـ هل ترى هذا الجبل يا بنى وهذه الحديقة الكبيرة التى يحتضنها .

قلت : أجل .

فقال : وهل ترى هذا البيت الصغير المتهدم الذى يطل على



www.alkottob.com

اللقمة .. وهذه الساقية التى نجلس بجوارها الان . وهذه الجميزة انتى نفيء الى ظلها .. وهذا النهر الكبير الذى ترقد صفحته مطمئنة .

قلت : أجل

فقال : كل هذه الاماكن يا بنى كانت مسرحا لقصة خالدة لم يستطع غير القدر ان يكتبها ، ونذلك لم تكتب . ولم يقو غير الزمن على حفظها ، ولذلك لم تحفظ .. ونم تستطع غير الايام ان ترويها ، ولذلك ظلت سرا لم يذع .

وعجبت نهذا الشيخ ـ المجذوب ـ ان يصدر منه هـذا القول الحكيم .فالقيت بالكتاب الذى فى يدى . وجلست اليه كما يجلس التلميذ الى استاذه نيستمع الى حكمة بالغة . قال الشيخ دبور :

ـ منذ زمن لا استطيع تحديده ، كان يعيش فى قريتنا هذه التى أطلقنا عليها فى ذلك الحين ـ قرية العشاق ـ فتى رقيق الحال ، يدعى عبد الكريم ويشتغل بتجارة بيع اللبن. فيجمعه من القرية ويبيعه فى المدينة . وكان حلو الشمائل . رضى الخلق سمح الطباع ، مما حبب فيه اهل القرية جميعا، وكان الى جانب هذا كله يتمتع بجمال نادر بحيث اصبح حديث بنات القرية ، ومحط آمالهن . اذ راحت كل واحدة منهن تسعى جاهدة لمرضاته . وتخطب وده ، وتنشده زوجا لها . ولكنه كان بعيدا عنهن جميعا ، لان احداهن كانت قد سبقتهن الى قلبه فاستحوذت عليه . فاحبها واحبته .وغدت قصة حبهما حديث القرية ومن فيها . وعز على الفتيات اللواتى مس شغاف قلوبهن جمال عبد الكريم . ان تظفر به دونهن فاطمة ابنة الشيخ سيد فقيه المسجد الضرير .هذه الفتاة التى لا تمتاز عنهن فى شيء ، بل انها اقلهن جمالا ، وارقهن حالا ، ، وتعيش مع والدها الضرير عيشة الكفاف، ولا تكاد تجد اللقمة الا من كدها المتواصل ليل نهار تجمع ثمار الفاكهة من الحدائق باجر قليل ، تنفق اقله ، وتدخر اكثره لتسهم مع عبد الكريم فى بناء بيت الهناء الجديد .



www.alkottob.com

وكان اكثر بنات القرية غيرة وموجدة على فاطمة وعبد الكريم معا ، « شهيرة » ابنة سيد القرية ورجلها الاول · وهى اجمل فتيات القرية · واكثرهن بهاء وفتنة وانوثة · وفكرت شهيرة فى عبد الكريم تفكيرا ارقها واقض مضجعها · وكاد يذوى جمالها الفاتن وسحرها الباهر · وراحت تغريه بالمال ،وبما يملك والدها من ثراء وجاه ، حتى انها منته ـ وهى وريثة والدها الوحيدة ـ بان تهبه الدار الجميلة التى تملكها ،ومزرعة الفاكهة الكبيرة التى هى اكبر مزارع الفاكهة فى القرية ·· ولكن عبد الكريم لم يكن يطمع فى مال ، ولا يأمل فى جاه او ثراء ، فاحت ساعاته هى التى يحلب فيها بقرته وأهنأ لحظاته هى التى يرضى فيها زبائنه ، واسعد لياليه هى التى يقضيها بجانب فاطمة يغترف الصفاء من عينيها الجميلتين · وانوفاء من وجهها السمح وعطفها الكريم ورعايتها السامية ·

ولما لم يستطع سلاح المال الذى شهرته شهيرة فى وجه الفتى ان ينال منه ، او يؤثر فيه ، اكلتها الغيرة فالهبت قلبها ، واعماها الحقد · فراحت تحاربه بسلاح اخر ، اقوى مضاء ، وامضى فتكا ، فقد لجأت الى سلاح جمالها الاخاذ · وراحت ترميه بالسهم تلو السهم · فهى مرة تسعى اليه وهو يحلب البقرة عند الجبل ، وتحادثه حديثا عذبا يسيل رقة وفتنة · واخرى تسير بجانبه فى الليل بين الحدائق وقد ازاحت الخمار عن وجهها فبدا كالقمر عندما يتخلص من الغمام ويروح مشرقا بساما يسكب ضحكاته نورا فى الليل · ثم تعاتبه وتلاعبه وتحدثه حديثا شائقا عن الاحبة والاحباب وعن الغرام وما يفعله بقلوب العذارى والعشق وما يصنعه بالحسان · وطورا تسعى اليه مع الفجر عند الشاطىء حيث يغتسل ويصلى · وتنزل امامه الى النهر ، وتغتسل هى الاخرى كاشفة عن ساقيها الجميلتين وما فوقهما بكثير · فلا يسعه الا ان يغضى وهو يصعد عينيه الى السماء ، عسى ان رحمتها تجنبه نفحات هذه النار التى بدأ يحس لهيبها يمس قلبه مسا رفيقا · ولكنها لا ترضى بهذا المس الرقيق ، ولا بهذه



www.alkottob.com

الاسهم لا تصيب من قلبه جرحا ، فتغافله ذات مرة وقت الفجر على الشاطىء ، وتنزع ثيابها وتغوص فى النهر • وما هى الا لحظات حتى يتعالى صراخها طالبة النجدة ، فلا يسعه الا ان يخرج من صلاته وينطلق خلفها فى الماء ثم يخرج بها عارية تلوذ باحضانه ، وتسأله فى رفق ان يدثرها ، وترجوه فى انوثة ان يغض من بصره حتى لا يرى جسدها العارى • ثم هى تلح فى الرجاء ان يتريث قليلا حتى ترتدى ملابسها • ثم هى تنصرف بعد ذلك كله شاكرة له هذا الفضل ، وينصرف هو ايضا الى عمله اليومى ، ويحس فى الطريق ان شيئا يشغله فلا يأبه له فى أول الامر ، ولكن هذا الشىء يظل يشغله حينا ، ثم يقلقه حينا اخر ، ثم يؤرق مضجعه وفى النهاية تبينه فاذا به مرض يقعده فى الدار ويشتد عليه يوما بعد يوم حتى ليكاد يودى به ، كل ذلك واهل القرية يسعون اليه فى الليل والى الاطباء فى النهار • ثم الى الله فى الليل والنهار عساه ان يشفى هذا الفتى الحبيب الى نفوسهم ، العزيز على قلوبهم ، ومن خلف الجميع فاطمة تذيب فؤادها حسرات • وترسل انفاسها جمرات ، كلما رأت وجهه الشاحب وجسده الناحل • ونفسه التى تفيض حزنا ويأسا وبغضا للحياة • وكلما سألته عما به اطبق شفتيه واغمض عينيه وراح فى تلك الغيبوبة التى لا تفارقه الا قليلا • ولكنها فهمت السر ذات يوم وكانت الحمى تأكل جسده اكلا حتى غالبته على نفسه فأخذ يهذى هذيانا متقطعا ، اذ استطاعت اذن فاطمة ان تصل هذا الذى تقطع ، فاذا بحب شهيرة هو الداء الذى يشكوه وهو العلة التى يكابدها •

وكان من فضل الله على الفتاة انها لم تستقبل النبأ الفاجع كما كان يجب ان تستقبله هلعة تلطم خديها • وانما استقبلته فى هدوء العاشق الذى طهر العشق نفسه من شوائب الدنيا ورغبات الجسد وفتنة القلوب •• وفكرت فاطمة •• انها تحب عبد الكريم حبا ليس من سبيل ابدا الى رده عن قلبها •وليس من سبيل ايضا الى اقناع هذا القلب بغير هذا الحب الذى



www.alkottob.com

تعيش له ومن اجله .. فسعادتها انما تستمدها من سعادة عبد الكريم . وهناءتها لا تكون الا فى هناءته . والنعيم الذى تنشده خالصا لنفسها ، هو ان ترى عبد الكريم هانئا فى حياته ناعما بدنياه . واذن فهى لا تحب عبد الكريم لذاته وانما تحب نفسها فى شخصه . وهى ستظل تحبه حتى ولو احتوته احضان غيرها .. حتى لو اصبح عبد الكريم بعلا لغيرها من النساء . لذلك لم تستقبل النبأ صارخة ولا مولولة ، وانما استقبلته فرحة سعيدة ، لان عبد الكريم سوف يشفى . وما ان تخيلت ان عبد الكريم سيشفى ، حتى راحت تسعى رويدا فى الليل ، كما يسعى القدر فى جوف الظلام بين الناس ، حتى التقت بشهيرة وراحت تقص عليها القصة ، وشهيرة تصغى اليها منتشية وتستعيدها مرا ت، وتسألها ان تقصها ثانية . ولما ايقنت بأنها حقيقة اخذتها فرحة النصر فراحت تلقى بضحكاتها النشوانة ذات اليمين وذات الشمال . وهرعت الى ابيها وافضت اليه بما حدثتها به فاطمة ،فأخذهوالاخر يضحك ملء شدقيه ، لأن ابنته قد شغفت أطهر فتيان القرية حبا ، وأخذته هو الآخر العزة بهذا الاثم الكبير ، كما أخذت ابنة له من قبل . فاستجاب على الفور لرجاء فاطمة ولرجاء غيرها من الناس . واذا بالقرية تمسى وتصبح على النبأ الذى أشاع البهجة فى ربوعها ، وهو شفاء عبد الكريم . ثم هى تمسى وتصبح مرة أخرى على نبأ آخر استقبلته بتحفظ شديد، وهو اعلان خطبة شهيرة لعبد الكريم .

وصمت الشيخ دبور لحظات طوالا أفرغ فيها عدة كؤوس فى جوفه المحترق ثم قال وهو ينظر بعينيه الملتهبتين الى الجبل وما حوله من مروج خضر وحدائق غناء .

وكان يجب أن تنتهى القصة عند هذا الحد يا بنى . ولكن القدر أبى الا أن يجعل هذه النهاية بداية المأساة ، فقد وفد على قريتنا ذات يوم فتى حضرى واسع الثراء ، عريض النعمة ، تعود أن يلم بالقرية فى أيام الحصاد ليصطاد عند الجبل ، فالتقى بشهيرة ، وكانت هى الاخرى تجيد الرماية وتحذق



www.alkottob.com

فنون الصيد . ووطدت هذه الهواية بين الفتى الحضرى والقروية الحسناء ، فكانان يخرجان معا للصيد . وشيئا فشيئا وجدت شهيرة فى صيدها الجديد الآمال التى كانت تنشدها والاحلام التى كانت تعيش عليها وتود لو حققتها ، فهى تعتقد بأن القدر قد خلقها ـ فلاحة ـ على الرغم منها . وأن مكانها ليس القرية كما شاء القدر وانما هناك فى المدينة بين ربوع الحضر وبهجته وأضوائه التى تأخذ الابصار ، وأن الحضريات لسن أكثر منها جمالا ، ولا فتنة . ولا هى أقل منهن ذكاء ، وقد وجدت فى هذا الفتى الجديد الواسع الثراء ، ما يحقق كل هذه الاحلام،فراحت تغريه بما تملك من أسلحة لا تعرف الهزيمة ، ولا تعترف بغير النصر وقد حققت كل ما تريده سريعا . ثم لما أصابت منه مقتلا امتنعت عن لقائه عند الجبل وبين الحدائق . كما امتنعت عن الخروج معه للصيد . ولما سألها انفتى أفهمته بأنها ظلمته حين أنكرت منه أنها مخطوبة لفتى من فتيان القرية لا تحبه وانما أرغمت على قبوله ارغاما ، وأن هذا الفتى الغليظ انقلب الجاف الطباع قد منعها عن لقائه . ثم راحت تسفك بين يديه بعض الدموع التى تعرف جيدا كيف ترغم عينيها على أن تجود بهافى بعض المناسبات . ونزل الخبر على العاشق الجديد نزول الصاعقة ، فقد كان الجرح الذى أحدثه سهم الحسناء فى قلبه لا يزال يقطر دما ، ولما أيقن أن لا غناء له عنها ولا حياة له بدونها ، راح يتدبر معها الامر . فلم يجدا غير جشع الاب ملجأ لهما ، فالأب يحرص على دنياه حرصا شديدا ، وهو فىسبيل المال الذى يحبه يرضى بما لا يرضى به سواه ، ويعترف بما لا تعترف به السماء .. وكان أن ذهب الفتى الواسع الثراء الى الاب وعرض عليه ألفا من الجنيهات ، غير ما سيغدقه عليه بعد ذلك من خير كثير ، ان هو فصم خطبة شهيرة من عبد الكريم وقبله زوجا نها . وقبل الاب سريعا هذا العرض السخى الذى علمت به فاطمة فنزل عليها كهول الصاعقة ، لانها خشيت على عبد الكريم أن يقتله النبأ ، او يعيده سيرته الاولى . فهرعت الى الاب فلم تجد منه الا ظلما وتعنتا ، وأسرعت الى شهيرة فلم



www.alkottob.com

تجد منها الا تمسكا بهذه السعادة التى تغمرها · وكان حديثا ثقيلا بين الفتاتين · كاد يمتد الى صراع ، بين الخير والشر ، لولا أن شهيرة قطعته فى غلظة بأن نزعت من اصبعها خاتم الخطبة وألقت به فى وجهها · فلم يسع فاطمة الا أن تتناوله من فوق الارض ، مشفقة على صاحبها الذى لم يكن ليستحق كل هذا الشر من شيطان عنيد فى ثوب حسناء فاتنة · وراحت تسير رويدا فى الليل ، وتجفف دموعها المنسابة ، وما أن بلغت عبد الكريم حتى ارتمت بين يديه واجفة تقص عليه النبأ ، وهى تنظر الى وجهه وما ستفعله به النازلة ، والى عينيه وما سينزل بهما من ثورات وأحزان · ولكن رحمة الله التى تأبى الا أن تمس قلوب الناس فى وقت المحن ، أبت الا ان تمس قلب عبد الكريم ، فتجعل النبأ الفاجع ينزل على نفسه بردا وسلاما وعلى قلبه أمنا وهدوءا وطمأنينة · واذا به هو الذى يمد يده فى رفق وينهض فاطمة الحزينة ويجفف لها دموعها · ثم يتناول منها فى صمت بهيج خاتم الخطبة ويضعه فى اصبعها معلنا بذلك زواجه منها · شاكرا لله هذا الفضل الكبير · فضل النعمة التى استردها · والهناءة التى استعادها ·

ومرة أخرى صمت الشيخ دبور لحظات أفرغ فيها بعض الكؤوس فى جوفه المحترق · ثم عاود حديثه :

ـ وانتقلت شهيرة من القرية الى المدينة ، وحقق الله لها كل ما كانت تريد · فغدت سيدة صالون يؤمه كبار القوم وعلية الناس ، ولم تترك فنا من فنون الحضريات الا أجادته ، فهى ترقص وتركب الخيل وتلعب التنس وتجيد التجديف ، ولم تبق لها أمنية من أمانيها العراض لم تحققها ، سوى أمنية واحدة · كانت عندها هى أم الامنيات جميعا · وهى أن تصبح أما وأن ترى لها طفلا جميلا تداعبه ·

وفى سبيل هذه الامنية فعلت المستحيل فلم تترك طبيبا الا ذهبت اليه ، ولا منجما الا طالعت عنده حظها ، ولا دجالة أو مشعوذة الا ذهبت اليها فى السر والعلانية ، ولا دواء كريها كأنه الحنضل ، الا تجرعته كؤوسا · ولكن دون جدوى ، وقد



www.alkottob.com

نغص عليها هذا الامر حياتها ، وملأ قلبها حقــدا يتبدى فى النار التى تتطاير شررا من عينيها ، وكانت هذه النار تكاد تأكلها كلما ذهبت الى القرية ورأت بعينى رأسها كيف ان الله يمنح بعض الناس الخير فيعود عليهم بالنعمة · وكيف أنه أجزل هذا الخير وأسبغ هذه النعمة على عبد الكريم وزوجه فاطمة ، اذ وهبهما من لدنه هذا الطفل الجميل الذى جعله الله قرة عــين لأبويه ·· هذا الطفل هو الذى كان يؤجج النار فى قلبهـــا ويلهب حواسها ، ويجعل ثعابين الغيرة تلدغ جسدها ·· الى أن جاءت الى القرية ذات مرة لتقضى فيها يوما او بعض يوم ،فقد كانت لا تطيق الحياة فى القرية أكثر من سحابة يوم أو أمسية ليلة · وخرجت على صهوة جوادها المطهم تحمل بندقيتها لتصطاد عند الجبل كالعادة · وقد حالفها التوفيق فى ذلك اليوم فلم تخطىء هدفا وسرها ذلك سرورا كبيرا ، بيد أنها رأت فيمـــا رأت وهى فوق الجبل شيئا أزعجها ازعاجا قاسيا ، وجعلها تقف فى مكانها تنظر اليه بعينى لبؤة هائجة مسعورة · فقد رأت طائرا جميلا يلعب عند السفح ، ويهفهف بجناحيه الجميلتــين فرحا مسرورا · فأرسلت ببصرها النارى اليه مرة ثانيـــة ، ودققت فيه وفى وجهه الجميل شبيه وجه عبد الكــريم الذى ما زالت تحبه ، وفى جبينه المشرق الوضاء كجبين فاطمة التى ما زالت تكرهها وتحقد عليها ··

ونظرت الى الطفل طويلا ، وتأملت بعينيها مبعث النار التى تأكل جسدها · وأصل الداء الذى يفرى كبــدها · ودون ان تدرى راحت ذاهلة ذات اليمين وذات الشمال · ثم فعلت شيئا خرجت على أثره الى الفضاء رصاصة خرساء لم تكد تسمعهـــا أذناها ·· وأرسلت طرفها سريعا الى مكان الرصاصة فاذا به يرتد مأخوذا مبهورا · فقد رأت هولا لم تكن لتظن انها ستراه ·· ورأت ظلما لم تكن لتتصور انه سيكون ···· ورأت الوليد الصغير ، وقد هتكت الرصاصة رأسه الناعم الجميل ، وأطاحت بالجمجمة وفروة الرأس الى بعيد · ولم تبق غير فجـــوة غائرة أعلى العنق وأسفل العينين · وكأنها لم تقو على رؤية ما فعلت



www.alkottob.com

فطار صوابها ، وارتدت تكتم صرخات الرعب والفـزع ، حتى بلغت السيارة فانطلقت بها الى المدينة واجفة راجفة ترتعد · وما أن غابت السيارة التى لم يرها أحد حتى كانت فاطمةمقبلة من بعيد ببقرتها ، تبحث عن ابنها الحبيب لتعطيه قلبها ·

ومرت على شهرة أيام واسابيع لا يفارق فيها مخيلتها هذا المشهد البشع ·· مشهد الرأس والجمجمة والفجوة الغائرة · وكلما تخيلته تعالى صراخها وارتعدت فرائصها ، حتى ان احد الاطباء راح يلازمها فى الليل والنهار الى أن هدأت نفسهاواستقر ثائرها · ومع الايام نسيت هذا الحادث المروع · وكما يخرج الخير من الشر أحيانا ، خرجت شهيرة بعد هذا الحادث بخـير لم تكن لتظن انه سيكون · فقد حملت ووضعت طفلا لم تشهد العين من يماثله بهاء وجمالا · حتى ا نالطبيب انذى كان أول من رآه ·· بهرته فتنة الوليد ·· فأبى أن يترك البيت الا بعد أن تفيق أمه من آلام الوضع ويريها هذا الجمال الذى أعطاه الله اياها · ولما افاقت سرها جدا ان الوليد ذكر وطلبت رؤيته· بيد أنها ما كادت تتحسس رأسه الصغير الطرى ، حتى رأت بجانبه فجأة رأس وليد آخر هتكت الرصاصة رأسه وأطاحت بالجمجمة وفروة الرأس وتركت تلك الفجوة الغائرة بأعلى العنق وأسفل العينين ، فألقت بالوليد صارخة من بين يديها ، ومن لحظتها أصيبت بما يسميه الاطباء وعلماء النفس « عقدة الخوف» فقد اعتقدت ان ابنها سيلاقى نفس المصير ، وان الرصاصـــة التى أطاحت برأس ذلك الوليد على الجبل ، ستطيح حتمـــا برأس وليدها ، وانها سوف لا تترك من هذا الرأس الجميـــل سوى تلك الفجوة الغائرة بأعلى العنق واسفل العينين ··وجسم الخوف عندها هذا الوهم حتى صار كأنه حقيقة مروعة ، وهى أن القتله يطاردون وليدها فى كل مكان ·· يطاردونه وهو فى أحضانها ، ويطاردونه وهو فى أرجوحته الصغيرة ، ويطاردونه وهو نائم فى الليل وقد وسدته صدرها · ولذلك فكل حركة تسمعها مباغتة ، هى رصاص القتلة الذين يسعون الى قتـل ابنها · فيطير صوابها وتنطلق صارخة مولولة الى الوليـــد ،



www.alkottob.com

فتخفيه مرتعدة بين أحضانها · وتروح تركض برأسه المختفي في صدرها ذات اليمين وذات الشمال · أما اذا سمعت فرقعة في الليل أو في انهار فهي المجنونة التي تقفز من الابواب والنوافذ صارخه مستغيثة من الرصاصات التي تنطلق حواليها لتطيح برأس فلذة كبدها ·

وفي ذات مساء أقام زوجها حفلا في البيت بمناسبة مولد الطفل ، وكان حفلا رائعا جمع بين ألوان الطرب وفنون البهجة ، وحدث أن فتح أحد المدعوين زجاجة صودا فأحدث بذلك فرقعة هائلة ، فانقلب الحفل الى مأتم حزين ، حيث شقت ثيابها صارخة · ومرقت كالسهم الى مخدع الطفل فاحتضنته بجنون ، وانطلقت به عارية في الطرقات لتحميه من طلقات الرصاص · وحدث مرة ان كانت ـ مع زوجها في الطريق الى البيت ، فانفجرت عجلة السيارة وأحدثت بذلك دويا ، فذعرت ذعرا شديدا ، وراحت تركض في الطريق على غير وعي ، وما ان بلغت البيت حتى ارتمت على سرير الطفل تتحسس مرتعدة ذاهلة رأسه الذي فتته الرصاص ·

·· وهكذا ساءت حالتها ونحل جسدها · وشحب وجهها وغدت كشبح من الاشباح · كل ذلك والاطباء من حولها يبذلون أقصى ما في جهدهم دون فائدة · ولم يدخر زوجها وسعا من مال أو جهد في سبيل شفائها ، وراح والدها أيضا ينفق عليها ماله حتى نفذ · فهو يجوب بها البلاد القريبة والبعيدة ، باحثا عن طبيب هنا ومداو هناك ·· وأخيرا أشار طبيب سويسري وقد خصيصا لعلاجها بضرورة نقلها الى مكان هادىء لا تشوبه حركة او يسمع فيه لغو ، وان يقوم على شؤونها فرد واحد لا ترى غيره في النهار او في الليل · وان تحرم عليها رؤية جميع الاسلحة بمختلف أنواعها ، سواء أكانت للصيد او لغيره · كما يتحتم ان يكون البيت الذي يختار لها على مقربة من المكان الذي وقع فيه الحادث ، بحيث لو أطلت من نافذة أو شرفة ، رأت مكانه آمنا هادئا من كل ما يخيف أو يزعج · وبذلك تستطيع ان تسترد صوابها رويدا



www.alkottob.com

زويدا ، وتحل تلك العقدة التى تمكنت من نفسها ·
وقد نفذت أوامر الطبيب بدقة ،فابتنى لها والدها عشا جميلا هادئا بين الحدائق وعند الجبل ، وقام زوجها على خدمتها صباح مساء ، وحرمت عليها رؤية جميع الاسلحة
وكل ما يزعجها · وقد افادت ارشادات هذا الطبيب الى حد كبير · واثمر علاجه فعلا · وبدأت تسترد صوابها وحياتها الناعمة · فهى تطل من النافذة · وتجلس فى الشرفة ·وتداعب طفلها وتتحسس رأسه دون فزع او خوف · كما بدأت صحتها تتحسن كثيرا · ويزايل وجهها ذلك الشحوب الذى كان قد ران عليه زمنا · واستعاد جسدها الفتى قوته وبهجته ونشاطه كما بدأت انوثتها الصاخبة تسترجع دفئها وحرارتها · واكتمل ذلك كله لها ذات يوم ضحكت فيه كثيرا وداعبت وليدها طويلا · حتى غلبها النوم قبيل الغروب فوسدت ابنها الحبيب صدرها الحانى وراحت تسبح معه فى نوم عميق · وانتهز زوجها فرصة هذا الاستغراق فى النوم ، واخذ سيارته وذهب الى المدينة لقضاء بعض الحاجات المنزلية انهامة ، وبينما هو فى الطريق تلبدت السماء بالغيوم ، وهبت العاصفة فجأة ، فاظلمت الدنيا وبرقت السماء ورعدت رعدا قاصفا يصم الاذان · وخشى ان هى استيقظت وسمعت دوى هذا الرعد ان تعاودها العلة ، وهى وحدها فى البيت ، وتذكر غير ذلك فجأة انه نسى وهو يبدل ملابسه ، مسدسه الصغير على المنضدة بجانب سريرها ، وه ى ان استيقظت فلا بد من انها ستراه ، وبذلك تعاودها العلة حتما كما قال الطبيب · لذلك رجع تانية ينهب الارض نهبا مروعا بسيارته الكبيرة ·ولكنها كانت قد استيقظت قبل ان يبلغ البيت ·· استيقظت هلعة جزعة مضطربة اضطرابا شديدا ، تضع اصابعها فى اذنيها من هول دوى الرصاص الذى يتفجر من حولها ، ويطبق عليها اطباقا مروعا ليطيح برأس ابنها · ونظرت مرتاعة الى الطفل الناعم على الفراش فى اغفاءته الجميلة وما ان رأت رأسه الاملس الناعم حتى رأت بجانبه تلك الفروة المتهتكة ، والجمجمة



www.alkottob.com

المتفتتة ، والفجوة البشعة الغائرة باعلى العنق واسفل العينين ، فارتمت عليه مرتاعة وحملته صارخة تحاول جهدها ان تنجو به من هذا الهول الكبير ·· وكان زوجها قد بلغ البيت فترك السيارة وانطلق يعدو الى مخدعها مارقا كالسهم، ورأت فى زجاج باب مخدعها شبحا يقبل عليها فى سرعة جنونية ، فاخذها الهول لانها ظنته القاتل الغادر ينقض عليها لينفذ جريمته فارتاعت وهمت بأن تقفز به من النافذة فوقعت عيناها فجأة على المسدس بجانب السرير ، فاطمأنت قليلا وهى تتناوله ، ثم وهى تتحسس سريعا الرصاصات السبع التى فى قلبه ، وفجأة كتمت انفاسها واغمضت عينيها وهى تطلق الرصاصات السبع على الشبح الذى كان قد مد يديه ليفتح عليها الباب ، فاردته قتيلا من اول رصاصة · ثم انطلقت بالطفل تعدو فى جنون حتى لا يلحق بها قاتل اخر · وما ان بلغت الخلاء حتى اخذ الرعد القاصف يترامى الى اذنيها من كل مكان · وبريق انسماء الثائرة ينصب فى عينيها نارا كأنه ومضات الرصاص ، فراحت وسط هذا الشر المستطير تهرب بابنها هنا وهناك · فجابت الحدائق ، ولاذت بالاشجار ، وصعدت الجبل ، واخترقت الحقول · وبلغت النهر · كل ذلك وهى تنظر خلفها وامامها مستطارة انلب من هول ماتسمع وترى ونظرت الى النهر والى هديره انصاخب ، وموجه الثائر المضطرب · ·ولكنها لو اخترقت هذا النهر فلن يستطيع القاتل ان يخترقه خلفها · وهى ان بلغت انضفة الاخرى فلن يبلغ الرصاص رأس ابنها ·· ومدت قدما وتحسست الماء ، ومدت قدما اخرى وغاصت الى ساقيها ، وهمت بأن تمد ثالثة فأخذها الموج ولكنها ردته عن ابنها الذى تحمله سريعا ، بان القت به على جذع شجرة عجوز امتد فرعها كاللسان فوق الماء · ومن ثم خلصت هى الى الموج تصارعه فى خوف ويصرعها فى عنف وغضب · وراحت فى قوة الحياة تدفع عنها هذه الامواج الثائرة الهادرة التى تبدت لها هى الاخرى كالوحوش الضاربة ترغى وتزبد وتزمجر وتلطم هادرة جسدها الناعم انجميل فى قسوة



www.alkottob.com

وعنف .. وما هى الا لحظات قصار حتى اطبقت عليهـــا تلك الوحوش . وهبطت بها الى القاع فرحة بصيد جديد ...
وكأن السماء كانت تنتظر هذا الموت ، لان العاصفة هدأت بعده فجأة ، وعادت الطبيعة انثائرة الى امنها وهدوئها وانقشع الظلام . وانجلى الليل عن صبح بهيج طلع نوره على الكون انسا وصفاء واشرقت الشمس ضاحكة تنشر عسجدها على الارض ذهبا يتدحرج بين المروج والحدائق . واقبل على الشاطىء اول من اقبل ، وسط هذا الهدوء والجمال والفتنة ، رجل يقـــود بقرته . ومن خلفه امرأة تحمل على رأسها وعاء كبيرا .. وماان اقتربا من جذع تلك الشجرة حتى سمعا بكاء طفل صـــغير ينبعث من مكان بعيد . فتلفت عبد الكريم ، وتلفتت فاطمة. وما ان رأياه حتى اسرعا اليه وانقذاه .. ولما دثرته احضـان فاطمة ، وباركت شفتيه قبلاتها الطاهرة . .قانت لعبد الكريم حانية وهى تنظر الى وجه انطفل الضاحك ، وثغـره المشرق ، وجبينه الوضاء الذى يقطر طهرا ونورا .

ـ ترى يا عبد الكريم لمن يكون هذا الوليد الجميل ، انه يشبه وليدنا انذى اودت به تلك الرصاصة الطائشة .. .

فقال عبد الكريم وهو يتحسس بيده مبتهجا ظهر بقـــرته العزيزة :

ـ ولم لا يكون الله يا فاطمة قد بعث به الينا ليعوضنا خيرا عن وحيدنا الذى فقدناه .. ثم راح يقرأ فى سره القرآن .

وصمت الشيخ دبور صمت من انهى حديثه ، فالتفت اليه وقلت :

ـ هل تعرف هذا الطفل الان يا شيخ دبور ؟

فاربدت سحنة الرجل وجحظت عيناه جحوظا كبيرا حتى انفرطت منها بعض الدموع ، وقال وهو يفرغ آخر كأس من زجاجته ويلقى بها فى جوفه المحترق :

ـ وكيف لا اعرفه يا بنى وهو حفيدى ..

ثم تناول زجاجته الفارغة وكأسه وانصرف يسير بين الحدائق على مهل ، ومن يومها لم أره . ولم يره احد آخر فى القرية .



www.alkottob.com

الكتاب الذهبى
العدد الخامس ـ اكتوبر سنة ١٩٥٢
يصدره نادى القصة
عن دار روز اليوسف
١٨ شارع سعيد
تليفون : ٢٠٨٨٧ ـ ٢٠٨٨٨
الثمن ١٠ قروش

الاشتراكات :

مصر ١٢٠ قرشا عن سنة ـ ٦٠ قرشا عن نصف سنة .
الخارج ١٨٠ قرشا عن سنة ـ ٩٠ قرشا عن نصف سنة .

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

رئيس التحرير المسئول : سعد الكفراوى خليل

الكتاب الذهبى

قرش
١٠ النظارة السوداء
١٠ خان الخليلى
١٠ وراء الستار
١٠ وا اسلاماه

تطلب من دار « روز اليوسف » ١٨ شارع سعيد
( تليفون : ٢٠٨٨٨ )
ومن مكتبة الخانجى بشارع عبد العزيز ( تليفون : ٤٣١٤٨ )

www.alkottob.com

# ست البنات

www.alkottob.com

## المنظر

« صالة فى بيت متواضع بحارة السد فى حى السيدةزينب· ترى عدة مقاعد متآكلة ومائدة عليها بعض اطباق العدس · وبعض حزم انفجل والكرات · وقلة · وقد جلست اليها الست فطومة وامامها ابنتها احلام البالغة من العمر ٢٥ عاما وهى فى انتظار رب البيت الليثى افندى شحاته الموظف بأرشيف وزارة الاوقاف · الوقت الثانية بعد انظهر » ··

**فطومة** ـ ، وهى تجفف العرق المتصبب من جسدها المترهل) الساعة بقت اتنين ونص · وبسلامته ابوك لسه ما شرفش ·

**احلام** ـ المواصلات يا ماما ·

**فطومة** ـ ولازم يركب · ما ييجى ماشى ·

**احلام** ـ يا شيخه حرام عليك · هو بقى فيه حيل ·

( يدق الباب )

**فطومة** ـ ( وهى تذهب الى الباب ) اكسرى اللمونه ،وقشرى البصل · ( ثم تفتح الباب ) ·

**الليثى** ـ ( يدخل ) ·

**فطومة** ـ ( وهى تنظر الى يديه ) فين البيض ياليثى ·

**الليثى** ـ لقيته غالى قوى يا فطومة · الواحدة باتناشر مليم·

**فطومة** ـ غالى ايه، وهباب ايه ، ياراجل انت يا الى ماعندكش دم · ماناكلش بيض فى شم النسيم ؟!

**الليثى** ـ يا شيخه سيبك من الخرافات دى · شم النسيم ايه وبتاع ايه ·

**فطومة** ـ خرافات · خرافات ايه يا راجل انت ·· مين يقول ان البيض فى شم النسيم خرافات · عال والله · فاضل كمان شويه تقول · ان انخص والملانه والبصل فى شـــم النسيم خرافات ·

**الليثى** ـ وحياتك كل دا كلام فارغ ·

**فطومة** ـ فارغ والا مليان · حاجة نفسى فيها ليه ماتجبهاش ·

**الليثى** ـ بصراحة · مافيش فلوس ·

**فطومة** ـ ولو كانت حاجة للمفعوصـة بنتك ، الى مالهاش



www.alkottob.com

شغله طول النهار والليل غير الاحمـــر ، والابيض ، وتخطيط الحواجب ، كنت استلفت وجبتها لها ·

**الليثي** ــ ( متضايقا· ) سبحان الله · ماهى بنتك برضــه يا فطومة ·

**فطومة** ــ ( بصوت متهدج ) حسرة على وعلى بنتى · اتنـين وتلاتين سنة · عشرة فى السنبلاوين · وتمانية فى ديرب نجم واربعتاشر فى المخروبة دى · عمرى ماشفتك مرة داخل بايدك مليانة ·

**الليثي** ــ ( وهو ياكل ) أهو انتوا كده يا نسوان · تاكلوا وتنكروا زى القطط ·

**احلام** ــ ( تضحك ) ·

**فطومة** ــ ( وهى تكسر رأس فجلة كبيرة ) طبعا بتضحكى · ماتضحكيش ليه · بعد اتنين وتلاتين سنة ، اخدمه فيهم خدمة العبد للسيد يقوم يشتمنى ·

**الليثي** ــ ( مداعبا ) ما عاش من يشتمك يا فطومة ·

**فطومة** ــ ( بدلال ) ماتكلمنيش ·

( يسمع دق على الباب ) ·

**احلام** ــ ( محاولة النهوض )

**فطومة** ــ ( بغضب ) قلت لك ألف مرة ، لما الباب يخبط ماتفتحيش انت · حد عارف مين اللى بيخبط · يمكن يكون راجل ·

**أحلام** ــ ( تجلس ) ·

( يدق الباب مرة ثانية )

**فطومة** ــ ( وهى تنهض ) حاضر ( تفتح الباب )

**خادم** ــ الليثى افندى موجود · ؟

**فطومة** ــ ايوه ·

**الخادم** ــ من فضلك أدى له دى ( يناولها بطاقة ) ·

**فطومة** ــ ( وهى تنظر اليه ) مش حضرتك ( تفكر ) تبقى ( تفكر ) خدام الافندى العازب اللى ســــاكن فى البيت اللى قصادنا ·

**الخادم** ــ ( وهو ينصرف ) مضبوط يا افندم ·



www.alkottob.com

**فطومة** ـ ( مبتهجة ) يامرحب يامرحب اتفضل .. اتفضل . ( تغلق الباب ) يا ألف مرحب . يا الف مرحب . ( ترجع فرحة وهى تنظر فى البطاقة حتى تكاد تتعثر فى المائدة ) .

**الليثى** ـ خير .

**فطومة** ـ خير . وخير . وفيه أيه غير الخير يا ليثى ( تناوله البطاقة ) .

**الليثى** ـ ( وقد ادناها جدا من عينه اليسرى ) على حسنين . مهندس ميكانيكى ( ثم يدير البطاقة ويقرأ ) : عزيزى الليثى أفندى شحاته .. يسعدنى ان اتشرف بزيارتكم الكريمة لأمر خاص . ولهذا يسرنى لو تفضلتم بانتظارى فى منزلكم العامر الساعة الخامسة من مساء اليوم ولكم الشكر سلفا . (صمت) .

**فطومة** ـ انت تعرفه يانيثى ؟

**الليثى** ـ ( مفكرا ) معرفة جيران يا فطومة . السلام عليكم . عليكم السلام .

**فطومة** ـ ( فى سرور ) جيرة الهنا . جدع مؤدب وابن حلال . شهرين ساكن قصادنا الباب فى الباب . عمرى ما شفته مرة شال عينه نفوق .

**الليثى** ـ ( بعد تفكير ) يا ترى عايز ايه .

**فطومة** ـ اسأل نفسك . شاب ، وعازب وساكن قصادنا من شهرين ، والنهارده عايز يقابلك ، يبقى عايز ايه .

**احلام** ـ ( خجلة محاولة الانصراف ) .

**فطومة** ـ ( تربت على كتفها فرحة ) انا مش قلت لك انك سعيدة من يومك .

**احلام** ـ ( متوردة الوجه ) ماما .

**فطومة** ـ عيون ماما .

**احلام** ـ أنا مش عايزه اتجوز .

**فطومة** ـ ( ضاحكة ) كل البنات كده ، أنا يوم أبوك ماخطبنى كانت الفرحة بتتنطط فى عينه وساعتها كنت باقول لهم برضه انا مش عايزه اتجوز .



www.alkottob.com

**أحلام** ـ ( تنصرف وهى تكتم ضحكاتها ) ٠
**فطومة** ـ ( بعد تفكير ) طيب مهندس عرفناها٠ لكن ميكانيكى يعنى ايه يا ليثى ؟
**الليثى** ـ ميكانيكى يعنى مهندس وابورات يا فطومة ٠
**فطومة** ـ ( مقطبة ) يعنى عطشجى ٠
**الليثى** ـ ( متبرما ) ياست مهندس ٠ مهندس ٠ يعنى مهندس فنى ٠
**فطومة** ـ ( فرحة ) والله عال ياليثى ربنا عوض صبرك خير وخلاك تناسب ناس كبار ٠( تغير لهجتها سريعا ) وهو كمـــان يطول ياخد ست انبنات ٠ دا زعق له نبى ٠ احلام بنتى حزين اللى ماهى فى بيته ٠ جمال وشطارة ٠ تقعد قدام الفرن تخبز الست كيلات ماتقولش آه ٠
**الليثى** ـ ( فى ضيق ) ياوليه بلاش هلوسه ٠
**فطومة** ـ هلوسه ٠ انا با هلوس ياليثى ٠
**الليثى** ـ طبعا بتهلوسى ٠ ايه الكلام الفارغ ده ٠
**فطومة** ـ انت اللى كلامك فارغ ٠ وانت اللى بتهلوس ٠ ومن دلوقت ما لكش شأن بى ولا ببنتى ٠ دى بنتى وانا حرة فيها٠ وحياة النبى ما يندفع فيها أقل من ستين جنيه مهر ٠ وماتنزف الا وقدامها الطبل البلدى ومزيكة الحكومة ٠ ولما يجى انساعة خمسة ، أنا بنفسى اللى ح اقول له الكلام ده ٠
**الليثى** ـ ( فى دهشة ) انت بنفسك ٠
**فطومة** ـ ايوه ٠
**الليثى** ـ ( غاضبا ) بقى اسمعى انا مش مغفل ، عشان اخلى مراتى تقابل واحد غريب ما اعرفوش ٠
**فطومة** ـ غريب ٠٠ دا جوز بنتى ٠
**الليثى** ـ ونو ٠
**فطومة** ـ انت بتشك فى يا ليثى ٠
**الليثى** ـ يا ست ما باشكش ٠ لكن الاصول ٠
**فطومة** ـ ( باكية ) أصول انى ما اقابلش خطيب بنتى ٠٠ ماكانش عشمى ، ماكانش عشمى ياليثى ٠



www.alkottob.com

**الليثي** ــ ياست احنا عرفناه لسه ؟ مش لما نسأل عنه ونعرف حالته ، ويقدر يوكلها والا لأ ·
**فطومة** ــ كويس · شاب وميكانيكي وصغير في السن ·وغني وعنده خدام ( تبكي ) ·
**الليثي** ــ يعني موافقة ·
**فطومة** ــ ( تجفف دموعها ) ايوه موافقة ·
**الليثي** ــ أهو عندك كليه ·
**فطومة** ــ ( باكية ) وكما بتقول لي كليه · ما كانش · ماكانش عشمي ما كانش عشمي يا ليثي ·
**الليثي** ــ ( متأثرا ) معلهش · الحق على ·
**فطومة** ــ ( تستمر في البكاء ) ·
**الليثي** ــ قلت لك حقك على ·· معلهش ·
**فطومة** ــ ح اقابله ·
**الليثي** ــ قابليه ·
**فطومة** ــ ( تجفف دموعها ) اخص عليك يا ليثي ·
**الليثي** ــ ( مداعبا ) انا لي غيرك يا فطومة ·
**فطومة** ــ تقوم تشك في ·
**الليثي** ــ أصلي بغير عليك ·
**فطومة** ــ ( مبتسمة ) وانا كمان باغير عليك ·
**الليثي** ــ ( ضاحكا ) كان زمان ·
**فطومة** ــ قوم بقى نضف بدلتك · واحلق دقنك · وعندك علبة الورنيش في البريه · أمسح جزمتك ·
**الليثي** ــ حاضر · وانت ؟
**فطومة** ــ أنا ح انضف البيت · وامسح البلاط · واستحمى أنا واحلام · ( مفكرة ) مش قلت لك ياليثي من زمان عايزين قزازة ريحة القسيس ·
**الليثي** ــ اللي نتريح بيه ناكل بيه ·
**فطومة** ــ لكن النهارده شم النسيم ، وبسلامته ح يشرف الساعة خمسة · اقل من شوية بيض ، وشوية خص وبصل وملانة ·



www.alkottob.com

**الليثى** ـ والله يا فطومة مافى جيبى غير قرش صاغ ·
**فطومة** ـ استلف ·
**الليثى** ـ من مين · احنا فى آخر الشهر ·
**فطومة** ـ( بعد تفكير تسرع الى الباب وتفتحه وتنادى ):ست أم شلبى ·· ست أم شلبى ·
**صوت** ـ عنين أم شلبى يا أم أحلام ·
**فطومة** ـ وحياتك كلمة ·
**الصوت** ـ حاضر ( تظهر أم شلبى على الباب ) ·
**فطومة** ـ يا اختى عقبال ولادك · أحلام انخطبت ·
**أم شلبى** ـ أنف مبروك ( تزغرد ) انخطبت لمين ؟
**فطومة** ـ عبقال بناتك · واحد مهندس وميكانيكى قد الدنيا·
**أم شلبى** ـ ( تزغرد ) ألف بركة ·
**صوت** ـ خير يا أم شلبى ·
**أم شلبى** ـ دى يا اختى أحلام بنت الست أم أحلام انخطبت·
**الصوت** ـ ( يزغرد ) مبروك يا ست أم أحلام ·
**فطومة** ـ الله يبارك فيك يا أم فهمى عقبال خيرية وانشراح ·
**أم شلبى** ـ بقى مهندس ، وميكانيكى ·
**فطومة** ـ أنا مش قلت لك يا أم شلبى أحلام سعيدة من يومها سنة ما حبلت فيها · الليثى خد الدرجة وزادت ماهيته نص جنيه · ·ونهار ما ولدتها ابويا الله يرحمه طلع الحجاز ، وتاب علينا ربنا من السنبلاوين ·
**أم شلبى** ـ ربنا يجعله قدم السعد عليك وعليها · يلزمش خدمة يا أم أحلام ·
**فطومة** ـ تسلمى ياختى بس صنية القهوة بتاعتك والكوبيات وشويه مية زهر فى فنجال ·
**أم شلبى** ـ من عنيه ·
**فطومة** ـ وكمان مكسوفة اقول لك عايزه نص جنيه سلف لأول الشهر ·
**أم شلبى** ـ بس كده ( تنادى ) يا زوبه بنت يا زوبه ·
**صوت** ـ نعم يا ماما ·



www.alkottob.com

**أم شلبي** ــ صنية القهوة ، واربع كوبيات ، وفنجال مأزهر .
( تخرج منديلا من صدرها ) انص جنيه أهو يا أم أحـــــلام
( وهى تنصرف ) يلزمش خدمة تانى .
**فطومة** ــ ما اعدمكيش ابدا . ( منادية ) يا أم شوقى . .
يا أم شوقى .
**أم شوقى** ــ نعمين .
**فطومة** ــ وحياتك فين شوقى يجيب لى حاجة من السوق .
**أم شوقى** ــ شوقى بره . عايزه ايه وانا اجيبه
**فطومة** ــ بس ح اتعبك .
**أم شوقى** ــ يا عيب الشوم . ان ما كنتاش نتعب لاحلام وأم
أحلام ، نتعب لمين .
**فطومة** ــ عقبال ما اتعب لك ( تناولها نصف الجنيه ) عشر
بيضات وخمس قروش خص ، وتلاتة ملانة ، واتنين بصل وتلات
ورقات تفته ، احمر واخضر واصفر وعلبة سجاير مكن
**الليثى** ــ ( من الداخل ) مالاكونيان .
**أم شوقى** ــ حاضر ( تنصرف ) .
**زوبة** ــ اتفضلى الصنية .
فطومة ــ تسلم أديك ، عقبال ما أفرح لك بالعريس اللى
يعرفك ويفرحك ويريح بالك .
**زوبه** ــ ( فى خجل وهى تنصرف ) كتر خيرك
**فطومة** ــ ( تقفل الباب وتعود الى الداخل ) أهو ربنا فرجها
**الليثى** ــ عال ( ينهض ) .
**فطومه** ــ أنا قلت لك نضف نفسك واحلق دقنك ، ولمع الجزمه
( منادية ) أحلام . أحلام .
**أحلام** ــ نعم .
**فطومة** ــ يالله يا روحى ، نفضى الكراسى وولعى شوية فحم
علشان نبخر البيت .
**أحلام** ــ حاضر .
**فطومة** ــ ( تبدأ فى تنظيف الصالة وهى تغنى بصوت اجش)
روق القنانى روق .. املأ المدام واسقينى .



www.alkottob.com

( يدق انباب )
**فطومة** ـ حاضر ( تفتح ) .
**أم شوقى** ـ اتفضلى .
**فطومة** ـ تسلم اديكى . عقبال عندك يا اختى .
**أم شوقى** ـ ( وهى تنصرف ) ربنا يتمم بخير يا أم أحلام .
**فطومة** ـ ( وهى تغلق الباب ) أحلام أحلام .
**أحلام** ـ نعم .
**فطومة** ـ بالعجل نضفى الخص ، واغسلى الملانة ، وعلقى شرش بصل على الباب .
**أحلام** ـ حاضر . والبيض ؟
**فطومة** ـ شيلى أربعه ، واسلقى ستة للعريس . ولونيهم اتنين خضر . واتنين حمر . واتنين صفر .
**أحلام** ـ حاضر .
**فطومة** ـ وهاتى بصلة حمرة كبيرة واكسريها واعصرى ميتها على العتبه .
**الليثى** ـ ولزومها ايه دى ؟
فطومة ـ اسكت . دى تمنع العكس ( تعاود تنظيف الصالة . بينما يقوم الليثى بحلق دقنه فى مرآة صغيرة وهو يتمتم مغنيا ) عجب لما ترى عينى عجب .
( تدق الساعة الرابعة والنصف )
**فطومة** ـ خلاص يا أحلام ؟
**أحلام** ـ خلاص يا ماما .
**فطومة** ـ وانت يا ليثى ؟
**الليثى** ـ ( وهو ينظر لنفسه معجبا فى المرآة ) على سنجة عشرة .
**فطومة** ـ ( أحلام ) وريني شعرك كده .
**أحلام** ـ اهه .
**فطومة** ـ هاتى المشط .. قلت لك ميت مـرة . المقصوص ما بيفاش طويل كده ( ترجله لها ) شوفى دلوقت حلو ازاى .
**أحلام** ـ الساعة خمسة الا عشرة .



www.alkottob.com

**فطومة** ـ ( وهي تذهب معها الى الشرفة ـ هانت ( تقف فطومة وأحلام فى الشرفة ترقبان كل مار · حتى يحضر شاب وسيم ويدخل البيت ) ·

**فطومة** ـ ( فرحة ) شبابه · محفض ومنصان ( تقبل احلام ) مش قلت لك من زمان انك سعيدة من يومك · ( تهـرول الى الداخل ) ليثى ·· ليثى ·· انبيه شرف ·

( يدق الباب )

**الليثى** ـ حاضر ( يفتح الباب ) أهلا أهلا على بك اتفضل ·

**على** ـ ( داخلا ) السلام عليكم ·

**الليثى** ـ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته · دى خطـــوة عزيزة ·

أنا كمان باقول البيت منور كده ليه النهارده (يقدم له مقعدا) اتفضل ·

**على** ـ متشكر ·

**الليثى** ـ خص ·· ملانة ، ( ضاحكا ) بصل ··

**على** ـ متشكر قوى ·

**الليثى** ـ ( وهو يناوله بيضة ) طيب انبيضة دى ·

**على** ـ متشكر ما اكلوش ·

**الليثى** ـ ( يقشرها ) حد ما ياكلش البيض يا اخى ·

( تدخل فطومة بصنية القهوة ) ·

**فطومة** ـ أهلا وســـهلا · أنست وشرفت ونورت البيت ، يا حضرة المهندس ·

**على** ـ الله يحفظك ·

**فطومة** ـ دا أحنا النهارده زارنا النبى ·

**على** ـ العفو · العفو ·

**فطومة** ـ ( وهى تقدم له القهوة ) كان نفسى اعمل لك القهوة بايدى · لكن أحلام حلفت لازم تعملها بأيدها ·

**على** ـ دا بس كرم منكم ·

( ترى أحلام خلف الباب وهى تكتم ضحكاتها ) ·

**الليثى** ـ اتفضل سيجارة ·



www.alkottob.com

**على** ـ متشكر ما اشربوش ٠
**فطومة** ـ اتفضل دى سيجاره مكنة ٠
**على** ـ ( ضاحكا ) متشكر ٠
**فطومة** ـ أهلا وسهلا ٠
**على** ـ أهلا بيكم ٠
**فطومة** ـ اتفضل خص هو انت غريب ٠
**الليثى** ـ دا بيتك ٠ داحنا أهلك ٠
**على** ـ ( وهو يضع يده فى جيبه ويخرج بطاقة كبيرة )وعشان انتم زى أهلى جيت بنفسى أدعوكم جميعا لحفلة زواجى بكره ان شاء الله فى البيت الجديد ١٥ شارع ابو المعالى ٠
**فطومة** ـ ( شاهقة ) بتقول ايه ؟
**على** ـ ١٥ شارع أبو المعالى ٠
**الليثى** ـ ان شاء الله ٠ ان شاء الله ٠
**على** ـ ودنوقت استأذن بقى ٠
**الليثى** ـ مع السلامه ٠ ( يصافحه ) ٠
**على** ـ ( يمد يده ليصافح فطومة التى تتعثر فتسقط من يدها صنية القهوة متحطمة ) ٠
**على** ـ متأسف ٠
**الليثى** ـ معلهش بس اتفضل انت ٠
**على** ـ ( يخرج ) ٠
ترى فطومة ذاهلة تنظر الى بقايا الصينية المتناثرة على الارض ٠
« وبينما يرى الليثى وهو ينظر الى البطاقة الكبيرة بين يديه ، فى حين يسمع بكاء مكتوم ينبعث من الداخل » ٠
« ســـتار »



www.alkottob.com

نادى القصة

طه حسين • توفيق الحكيم • محمود تيمور • فريد ابو حديد • احسان عبد القدوس • يوسف السباعى • صلاح ذهنى عبد الحليم عبد الله • امين يوسف غراب • على باكثير • نجيب محفوظ • عبد الحميد السحار ...

يقـــــدم

الدكتورة بنت الشاطئ

– فى –

صور من حياتهن

الكتاب الذهبى العدد السادس
يصـدر فى نوفمبر – الثمن ١٠ قروش

www.alkottob.com

# جسد يتيم

www.alkottob.com

وقفت وسط الحديقة تستنشق عبيرها الفواح وتستقبل نسيم الصباح الطلق الخفيف . وتستمع لاناشيد الطير وهى ترجع فى اعشاشها لحن الجمال والحب ليستيقظ على نغمه العذب صبح الربيع انوسنان . وسرها ان ترى الطبيعة فى ساعة من ساعات جلوتها فغمرت نفسها فيها لعل مباهجها تروح عنها وتهدىء من ثائرتها وترد الى جسدها الذابل فتنته وبهجته. بعد ان اذبل عوده الشوق وحرقته حيرة العقل بين تعلات الجسد الظامىء ورغبات الضمير المستيقظ .

وكانت تبدو فى غلالتها انفضفاضة البيضاء وروبها الازرق اللامع المتهدل وشعرها الفاحم الذى شاطرها حزنها فنام مكتئبا حول عنقها العاجى مسترسلا على ظهرها المستقيم . ثم فى نظرتها انسابحة فى اعياء خلف عقلها الشارد المتعلق بأوهى خيوط الامل الكاذب . وشحوبها الساجى على جمالها الحزين المستسلم لعبث الحياة .

كانت تبدو عليها فى ذلك كله مخايل الضنى المرهق والفكر المجهد والفؤاد المكدود . وكأنها لحظت ذلك على صورتها التى كانت تتراءى لها فى خيالها واضحة جلية ترقص على تموجات النسيم الرقراق فوقفت بين الخميلة مستسلمة ترقب يد المعونة وتنتظرها حتى من ذلك الطائر الصغير الذى هو فى شغل عنها متنقلا امام عينيها يجر الساق من فنن الى فنن يبحث هو الاخر عن أليفه الذى يرد اليه دنياه .

وحانت منها التفاتة عارضة نحو السماء فرأت مواكب الافق تهيىء للكون نبأ مولد الشمس فوقفت تتطلع الى اضوائها المنبعثة آملة ان تجد مع هذا النور الذى يفيض على الكون ويغمره نورا اخر يفيض على قلبها ويهديه الى الطريق السوى ويرده الى مكانه ويريحه من عناء الوصب الذى يعانيه طول الليالى بين جوانحها . وانفرجت شفتاها عن ابتسامة عذبة لهذا الامل الذى برق فى خاطرها المبلبل كما تلمع شقائق البرق فى جوف الليل البهيم ووقفت ترقب وتنتظر ولكنها لم تجد الا نسيما هفهافا عاطرا انبعث يسبق طلعة الشمس وراح



www.alkottob.com

يمس ثوبها فى رفق ويطارحها فى هوى ويداعب عطفيها فى مجون برىء ومن ثم نفذ الى جسدها فمسه مسا رقيقا رفيقا فايقظ مشاعره والهب حواسه وحرك فيه شتى كوامن الرغبات الملحة .

واحست بجسدها يهتز ويرتعش وبساقيها لا تقويان على حمله فالقت به كله على العشب المخضوضر وجلست عليه باكية بعد ان حملت رأسها الصغير المحموم على ساعدها الاماس الطرى واسبلت عينها المريضة واخذت تتأمل

ومثلت لها تأملاتها الاشياء واضحة جلية فرأت عن كثب منها صورة زوجها الشيخ يقبل عليها يتوكأ على عصاه التى يحمل عليها صدره المكدود المريض بعلة الربو وظهره الذى هدته الستة والسبعون عاما التى مرت عليه طويلة متباطئة فقوسته وادنته من الارض حتى لكأنها كابوس ثقيل . ورأت ساعده الهزيل المرتعش وهو يهتز على العصا كأنه يئن من ثقل السنين .

رأته وهو مقبل عليها فى خطوات ضيقة ثقيلة متخاذلة وكلما تقدم خطوة ارجعته علة الصدر خطوات وامعنت النظر فيه وأدامته طويلا ثم ابتسمت فى حسرة آسفة على نفسها مشفقة على حياتها ساخرة من هذه الذراع التى يحاول ضمها بها احيانا ليهصر غصنها الرطيب ويعرك عودها المياد وان كانت أنامله المرتعشة لا تقوى على ضم العصا التى ينقلها مع قدميه .

رأت ذلك كله وتبينته فصمتت قليلا وزمت على شفتيها ثم تمتمت فى صوت حبيس مخنوق : ظلم !

ومن الظلم يا جليلة أن تعيشى وانت الغانية اللعوب والشابة المرحة الطروب فى احضان هذا الفانى الذى انهكت قواه السنون وامتصت حيويته الايام ففقد ميزة الرجل قبل أن يتزوجك او بعد ان تزوجك بايام . حتى غدوت وقد مرت على زواجك منه اربع سنوات كزهرة الصحراء مطموسة الرواء جافة العود خشنة الملمس من فرط ما يعانى فرعها من حرقة الظمأ وقيظ الهاجرة ولفحات الرمال !!



www.alkottob.com

من الظلم ان تكونى زوجة بلا زوج وارمل ذات بعل ·

وكان هذه الخواطر صادفت هوى فى نفسها فانفـــرجت شفتاها عن ابتسامة خفيفة بعثت فيهما الحياة من جديدولكنها تلاشت رويدا رويدا عندما حانت منها التفاتة على الرغم منها الى اعلى العنق المائل المنحرف فرأت وجها صبيحا·رأته كطهر السماء مشرقا بسناما وقد انعكس اشراق جبينه العـــريض اللامع على لحيته البيضاء المسترسلة على صدره فبلورها حتى أنها كادت ترى فيها بسهولة نور الايمان الساطع قد مـزج بصفاء ووقار الشيخوخة الطاهرة · ورأت ذلك وتبينته ·· فانتفضت فى جلستها ومست جسدهاهزة راعشة ولمعتعيناها وتمتمت بصوت فيه رعشة ورهبة وخوف :

« ظلم ! · ومن الظلم يا جليلة انّ تلوثى هذا الطهر وان تضعى بيدك تلك النقطة السوداء على هذا انجبين المتألق ··

من الظلم ان تكفرى بنعمة هذه اليد الواهية المرتعشـة التى انتشلتك من وهدة الفاقة وخلصتك من ذل انعوز وأراحتكمن عناء الكد المتواصل والانحناء طول الليالى على ماكينة الحيـاكة تخبطين للناس ثيابهم ولا تجدين الثوب الذى تخيطينه لنفسك

من الظلم ان تجحدى نعمة هذه اليد الواهية المرتعشـة التى أنقذتك من وهدة الفقر وجاءت بك الى هذا القصر الفسـيح انجنبات وأقامتك على عرشه · والى هذا الثراء العريضوأطلقت يدك فيه ··

« من الظلم أن تتأذى من رؤية هذا الصدر المريض المـكدود وقد اذاقك حلاوة الامن بعد الخوف ، وعذوبة البرء بعـــد السقم ، ولذة الغنى بعد الفقر ، انه زوجك · وقع عليـه اختيارك راضية · حقا انهلم يشعرك يوما من ايام تلكالسنوات التى انقضتوانت بين احضانه انك معهفىخلوة من خلواتالازواج أو جعلك تحسين لحظة واحدة بنشوة من نشوات الهـــوى ولكنه استطاع ان يعوضك عن ذلك بحنان الابوة الصادقـة وعطفها الذى لا يقدر ، وحبها الذى يغمر القلب،ويضىء جوانبه ويشعره بنشوة اعذب من نشوات انهوى· الم يمت ابوك منذ



www.alkottob.com

زمن بعيد يرجع الى ما قبل مولدك بأيام فكان هو عوضا عنه وكان خير العوض .. فكيف تكفرين بهذه النعمة وتجحدين هذه اليد وتخونين صاحبها . ومع من ؟ مع اقرب النـــاس اليه وأوثقهم صلة به وأقربهم الى فؤاده منك ، مع الذى تربطه به رابطة الدم والحياة . مع .. مع .. مع ابنه ! محسن الذى عاد اليك من اوربا منذ ايام !!

وما أن رددت شفتاها هذا الاسم اسم محسن حتى لمعت عيناها وتصلبت اساريرها واحست بتلك الابر المحمـــاة بنار الشهوة تعود من جديد فتدغدغ جسدها الذى انتابتـه موجة جارفة غمرته على أثر ذكر هذا الاسم فرنحته وجعلته يتأرجح مع النسيم .

وظلت كذلك لحظة حدجت فيها العشب الجالسة عليه ثم القت برأسها الصغير المحموم مرة اخرى على ساعدها المرتعش واسبلت عينيها ورأت ( محسن ) امامها بشبابه الفتى وحميته المتأججة التى اخفاها خلف كتفيه العريضتين وعضلاته القوية وساعده المفتول . يبتسم لها تلك الابتسامة التى تعصـــف بدنياها وتخلق فى حياتها جوا موسيقيا مليئا بالنشوة واللذة ومفعما بالاغراء وتنسم انوثتها الكامنة عطر الحياة وتجعلها تطفر حتى تكاد تتساقط دموعا من عينيها .

ورأت هذه الابتسامة تطاردها فى كل مكان . ورأته يبتسم لها وهو على المائدة ، يبتسم لها وهو يرقب تعـاريج دخان لفافته . يبتسم لها وهو يطالع لها فى ( الزنبقة الحمـراء ) يبتسم لها وهو معها فى طريق الهرم بين النيل والاصـيل يبتسم لها وهو ملتصق بها فى مقصورة التمثيل يشاهدان معا نهاية ( الفاكهة المحرمة ) يبتسم لها وهو يودعها ساعة النوم ليلة البارحة ضاغطا على يدها التى ارتعشت بين انامله القوية ملقيا على يدها تلك القبلة الخاطفة التى كانت بمثابة حجـر ضخم القى فى جدول حياتها الرقراق فأحال سكونه الى اضطراب وهدوءه الى ثورة . ولذيذ نومه الى يقظة الثكل فى مضـــجع الارق .



www.alkottob.com

انها اوهام المرأة يا جليلة ، ابتعدى عنه ، لماذا لا تقصينه عن طريقك اقصاء ؟؟

لا أقوى ! ·· لا أقوى ! ·· اننى امرأة ·· ألست امرأة ؟! وانفجرت باكية وتركت دموعها تنسكب على خدها طليقة غزيرة بكماء · وظلت كذلك الى حين ثم رجعت الى عبراتها فكفكفتها بيد مضطربة الانامل والى شعرها الذى كاد يسرقه النسيم فسوت خصلاته وعادت الى محسن :

« كيف اقصيه بعيدا عنى وانا اذوب شوقا اذا فارقنى يوما أو بعض يوم · ؟ اننى ارتعد ولهـــا تحت وابل نظراته بله ابتساماته ان صوته المتموج الرقيق يكاد يقتلنى · وعباراته الملتهبة تنحدر من فمه الجميل لا لتصعد الى الافق وتتلاشى مع الاثير بل تتسرى فى جسدى مسرى الكهرباء » ·

« كيف اقصيه بعيدا عنى واقل نظرة منه تجعلنى اخشاه · أرهبه · تجعلنى اتبعه مستكينة مستسلمة لا الى ما تريد المرأة بل الى ما يريد الرجل ذو الكتفين العريضتين والساعد القوى والعزم الاصيل · ان المرأة الفتية عبدة للرجل القوى

ولكن لااحد يقرك على ذلك ياجليلة · لانهم يجهلون المرأة · حتى الرجل القوى نفسه هو اجهل الناس بالمرأة والا فلم اذل محسن رجولته وألقى بها صاغرة عند قدميك ؟ »

وقامت من مكانها متخاذلة مهمومة تدفع عنها الما ثقيـــلا لا يدفع واخذت تنقل الخطا نقلا بين ورود الحديقة المونقـــة وزهرها العطر وشجيراتها الوارفة · ورأت على قرب منهـــا بعض الورود ضاحكة مشرقة على اغصانها فوقفت حيالهـــا هنيهة ترقبها وتتأملها واستهوتها واحدة تضرب الى الحمـــرة العنابية الفاتحة الشبيهة بخدود الحسـان اللاتى هى منهن ورأتها ريانة العود ندية الحياة كصبح الربيـــع الذى هى فيه فتقدمت منها ووقفت امامها وكأنها وجدت صلة قوية بين رقة الوردة وعواطف المرأة فدققت فيهـــا واخذت تتأملهـــا فى حنان وتناجيها فى صمت ثم مدت اليها انامله التى تماثل نعومتها رقة أوراقها ومرت بها عليها فى حنو وقطفتها ودخلت



www.alkottob.com

بها الجوسق تناجيها ٠
وهمت أن تدنيها من ثغرها تنطبع عليها قبلة تودعهـــا كل نداءات ابدن الانثوى الظامىء فرأت وهى تدنيها من وجهها وجه محسن المشرق البسام مختبئا خلف اوراق الوردة يهش لمرآها ويبتسم لطلعتها ويدنى ثغره من ثغرها ليفرغ فيــه ذلك السلسبيل العذب الذى تتحرق اليه وبدل ان تسرها هذه المفاجأة نفرت من هذه التخيلات وغاظها ان تذهب بها اعصابها الى هذا الوضع وتسرف اوهامها الى هذا الحد وتسخر منها حتى هذه الوردة على الرغم من انها شىء هش ٠ فابعدتهـــا عن ثغرها واشاحت بوجهها وهمت بان تلقى بها الى الارض ٠
ولكنها احست فجأة براحتين لرجل تسربتا الى وجهها من الخلف وحجبتا عينيها فجفلت وقبضت بيدها على يديه فى ذعر والتفتت بصدرها اليه لترى من يكون هذا المجترىء على خدرها فاذا بها وجها لوجه امام محسن تنظـــر اليه ويداها مشبكتان بيديه وصدره الخافق يشكو لصدرها حر لهفتــه وثغرها الظامىء يشكو لثغره من حرقة النار ٠ وغمرت انفاسه الحارة محياها وانحدر صوته الخشن الى قلبها فرنحه والتفت ذراعه القوية حول خصرها النحيل تهدىء روعها وتستنهض همتها ٠
ورأت بعينى رأسها روعة كتفيه ووثاقة عضـــلاته ولونه الاسمر الجميل فشعرت بالنشوة تدب فيها والدم يغلى فى عروقها وحيوية شبابها تتجه برمتها اليه وتناديه وتطلبــه وتلح فى ذلك الحاحا ٠ فمدت يدها ومست جبينه ولاطفت شعره وخديه وثارت ثائرتها وعصفت الريح بالسفين فتوردت وجنتاها واحمرت عيناها وتصلبت اساريرها وتقلصت ذراعاها وهى ترفعهما اليه ليذوب الجسد المحموم فى الصدر الخـــــافق المضطرب ٠
وهمت بأن تسر اليه شيئا بعينيها فرنت بهمـــــا اليه وصوبت شعاعها النزى الى ملامحه ولكنها لم تروجها واحدا بل رأت وجه زوجها قائما بجانب وجه ابنه بجبينه العريض



www.alkottob.com

المشرق ولحيته البيضاء المسترسلة تتراقص متبلورة امام عينيها على قطعة بيضاء ناصعة كأنها قطعة من السماء هبطت الى الارض ورأت اسلاكا نورانية تتجمع وتتقابل وتتركز على صفحة الوجه الصبيح فتقيم عليه بعض الخطوط والتعاريج ثم رأت شعاعا قويا يأخذ بالابصار ومض على صفحة الوجه وكتب عليه باحرف من نور اسمى « الله والزوج »

وما ان رأت هذه الصورة حتى انتفضت فى وقفتها وجلة خائفة ترتعد ودفعت الشاب عنها فى عنف وقوة ما كان ليعتقد انها كامنة فى قلب امرأة وصرخت فى وجهه صرخات مرتعشة متقطعة وانطلقت تعدو كأن شبحا مخيفا يطاردها وقفزت درجات سلم القصر فى سرعة خاطفة وانحدرت الى مخدع زوجها ودفعت بابه فرأته قائما يصلى فوقفت خلفه مصطكة مضطربة ترتعش حتى خلص من صلاته فارتمت بين احضانه وطوقت عنقه المائل المنحرف بذراعيها ودفنت وجهها الصغير المجموم فى لحيته المسترسلة وهى تردد مرتعشة ..

« أبى علمنى الصلاة .. علمنى الصلاة !! »



www.alkottob.com

# يوم الثلاثاء

www.alkottob.com

**« كان الليل قد انتصف عندما دلفت الى مخدعها وتجردت من ثيابها ، وبدت عارية الا من غلالة رقيقة شفافة • ولما القت نظرة على المرآة واطمـــأنت الى جمالها فيها • والى البـــاب وعرفت أنها احكمت رتاجه الداخلى • ذهبت الى منضدة بجانب السرير عليها قلم وقرطاس وزجاجة من الخمر وبعد حين تناولت كأسا واشعلت لفافة • ومن ثم تناولت القلم وراحت تكتب :**

عزيزى حمدى •••

هأنذا اكتب اليك • وها هى ذى رسالتك الاخيرة امامى أقرؤها للمرة العشرين أو المائة بعد العشرين أنا نفسى لاادرى، ولكن الذى ادريه هو أننى شكرت لك كل حرف فيها ، كما شكرت لك هديتك الغالية التى أرفقتها بها ، فقـــد صرفت « الشيك » الذى بعثت الى به امس على بنك بركليز • وأنا اذ أشكر لك هذه الهدية ، انما اشكر لك قيمتها المعنـــوية التى تقبلتها على أساسها والتى أتقبل منك كل هدية مماثلة على أساسها •• أما القيمة المادية ، فأنت تعرف اننى اكره المادة، وأظنك تذكر مدى تألمى من كثرة اغداقك على •• كأننى لا اعرفك الا لهذا الاغداق ••• وكأننى لم احبك ••• وكأننى لا أكاد أموت شوقا اليك كلما فارقتنى يوما او بعض يوم •••

لهذا فكرت فى أن أعيد اليك « الخمسين » جنيهـــا التى بعثت بها الى أمس ، وأن أرد اليك الشيك ثانية ، لاننى ظننت انك بهذا الاغداق ، وبمثل هذه الهدايا تظن انك تدفع الثمن وهذا ما يخيفنى حتى وأنا بين ذراعيك ألوذ بأحضانك •• ان كان هذا يا حمدى فإنت واهم ••• مخدوع ••• تغـالط نفسك وتتناسى الحقيقة ، لانك لو وضعت مال الدنيا فى كفة و « جسد » حسنية فى كفة •• لما تكافأت الكفتان ، ولمـــا قبلت انا حتى مجرد التفكير فى هذه الموازنة •

ان هذا يذكرنى بامرأة قدر لها ان تحب صديقها مثلمـــا أحببتك ، وتخلص له مثلما أخلصت لك •• اجـل يذكرنى « بجورج صاند » وما قالته فى رسالتها السابعة والعشرين « لالفريد دى موسيه » عندما ذكرها أبان القطيعة بماله الذى



www.alkottob.com

انفقه عليها ، وشبابه الذى اهدره على جسدها الذى كان يحبه أجل يذكرنى بقولها « لكل تضحية فى الوجود ثمن الا تضحية ـ المرأة ـ لانها هى الثمن نفسه » .

لهذا أقول لك انت واهم اذا كنت تعتقد انك بهـــذا تدفع الثمن .. واقول لك ايضا انك واهم اذا كنت تظن انك دفعت ثمن الليالى التى انفقتها .

ان الرجل يستطيع ان يشترى دنيا . ولكنه لا يستطيع ابدا أن يشترى امرأة . وبالعكس تماما تكون المرأة . انها تستطيع ان تشترى رجلا بابخس الأثمان ، ولكنها لا تستطيع ابدا أن تشترى لحظة سعادة واحدة ، والا لما اشترت حواء آدم بتفاحة ولم يقو هو على بيعها بجنة الخلد .

لا .. لا .. أنت واهم ياحمدى اذا اعتقدت ان فى الوجود امرأة تبيع جسدها ... أو تساوم على بضاعتها ، ومن الخطأ أن يظن الرجل ذلك . حتى فى تلك التى تعرضه لقاء لقمة .. أو تقدمه لقاء قبلة .. ان كلتيهما من احرص الناس على جسدها بدليل ان تلك حرصت عليه فغذته .. وهذه أشفقت عليـه فأروته .

وأنا الثانية مكثت طوال عمرى أبحث عن الذى يروى هذا الظمأ فلم اجد غير المنهل العذب الذى يترقرن كالسلسـبيل من صفاء عينيك ، وينساب كالكوثر من بين شفتيك .

أبدا لم اجد فى هذا الوجود على سعته ، وكثرة الرجال فيه . ما يهدىء ثورة الجسد الثائر ، ويخمد نار الانوثة المتفجرة ، سوى رنين قبلاتك انتى تطبعها على شفتى بمهارة فائقـة ، ورحابة صدرك عندما يدثر جسدى وهو يرتجف بين احضانك . على الرغم منى اعترف لك بهذا لانه لن يوجد ـ الرجل ـ الذى يعرف معنى اعتراف المرأة .

وهأنذا اعترف ...

ترى لماذا أعترف ... ؟؟

أنا نفسى لا أدرى ...

تريدنى كما تقول فى رســالتك ان أذهب اليك يوم



www.alkottob.com

« الثلاثاء » .. وأن أعد العدة لقضاء الليل معك .. وليس احب الى من ذلك كما تعلم . .ولكنك نسيت ان يوم الثلاثاء هذا هو اليوم الاول من الاسبوع الثالث من الشهر العربى . وان هذا اليوم والايام الاربعة التى تليه . هى ايام الشهر التى على أن أدفع فيها ضريبة الانوثة .

ولهذا على الرغم منى كما ـ ترى ـ عدم الوفاء بالوعد ولكنى سأنتظر عودتك من الاسكندرية وارجو الا تبقى فيها طويلا لان الله وحده هو الذى يعلم كيف سأقضى ايام هذا الانتظار ...

وبهذه المناسبة . مناسبة وجودك فى الاسكندرية ارجو أن تشترى لى من عند ـ جوليان ـ « الكاب » الذى رأيناه معا فى الاسبوع الماضى . انا كنت فعلا استكثر ثمنه ولكنى وجدت ان ـ الستين ـ جنيها التى طلبها لا قيمة لها بالنسبة لارتفاع الاسعار فى القاهرة ، وأحب ان تعرف سلفا انك ان رفضت اخذ ثمنه فسأرفض انا تسلمه .. فكرفى هذا . وفكر فيه جيدا يا حمدى .

حمدى .. لاحظ أن برد الاسكندرية شديد فى هذه الايام على صحتك . فحافظ على نفسك واحرص على شبابك ..

أنت لا تعرف مدى آلامى اذا رأيتك يوما منحرف المزاج . والى أن تعود سالما لك قبلات المرأة التى لا تستطيع أى قوة على الارض ان تحول بينها وبين من تحب

حبيبتك

**حسنية**

**« ولما فرغت من هذه الرسالة واعادت مرات قراءتها واطمأنت الى كل حرف فيها ، تناولت القلم وراحت تكتب الرسالة الثانية »**

حبيبى .. صلاح :

اكتب اليك والليل فى هزيعه الاخير لاننى لم أنم حتى هذه الساعة التى تدق الان دقتها الرابعة بعد منتصف الليل .. ولم تكن هذه أول ليلة لم انم فيها يا صلاح ولكنها السابعة .



www.alkottob.com

السابعة على فراقنا ... السابعة على آخر لقاء لنا .. على آخر قبلة قطفناها .. ولست ادرى هل انت كذلك . ؟ يالى من امرأة تنطق كل جارحة فيها بالغباء وتعبر عن البلاهة ..اذ كيف اسأل نفسى هذا السؤال مع ان الاجابة عليه تكاد تسبق شفتى .. انك ولا شك تنام .. وتنام ملء عينيك . ملء جفنيك ، وانت محق فى هذا لانك لم تحب ، ولم تجرب الحب ... ألا ما أظلم قلب الرجل وما أقساه .. انك لوكنت تحبنى حقا لما استطعت ان تفارقنى كل تلك الايام السبعة مع ان ـ طنطا ـ ليست فى المكسيك ، ولا هى فى البنغال . وانما بينها وبين القاهرة مسيرة ساعة واحدة كما تقول بذلك مصلحة السكة الحديد . وقد كان فى استطاعتك ان تقضى كل لياليك معى . وأن تكون كل لياليا كتلك الليلة التى أنفقناها ... منذ سبع ليال .. والتى ما زلت اعيش على ذكراها .. على حلاوتها .. على نشوتها ولذتها . على ماجرعتنى فيها من كؤوس الحب المترعة ... أجل كنت تستطيع ذلك . وكنت تستطيع على الاقل ان تشفق على شباب امرأة احبتك، ولكنك لا تريد .. فلى الله .. !!

أمامى رسالتك التى تقول فيها انك ستأتى يوم ـ الثلاثاء ـ وأنا لا أدرى كيف سأقضى الاحد والاثنين دون أن أراك . أما انت فطبعا تدرى .

ترى مع هذا حوالة على مكتب بريد ـ طنطا ـ «بخمسين» جنيها أبعث بها انيك ثمن البذلتين اللتين حدثتنى عنهما فى الاسبوع الماضى ، ومن يومين ارسلت لك الثلاثين جنيها التى طلبتها فلعلها تكون قد وصلت اليك .. لماذا لم تطلب أكثر من هذا ؟ .. لماذا لم تطلب منى مال الدنيا كلها .. ولماذا لم تكن معى مفاتيح خزائن الارض .. ترى هل الوجود كله شىء ، اذا ما حيل بينى وبين تحقيق رغباتك يا حبيبى ... أجل يا حبيبى :

تسألنى عن « حامد » فأقول لك انه بخير . وانه ما زال فى بنى سويف . وانه لم ينجح فى الغاء النقل ، وسيظل فى بنى



www.alkottob.com

سويف ، وقد اقنعته بأننى سأظل فى القاهرة ..
أتعرف انه طيب ..
طيب الى حد البلاهة ..
أتعرف أن المرأة دائما فى حاجة الى زوج أبله . ؟؟
سأنتظرك ظهر الثلاثاء ، وستمكث معى الى صباح السبت حيث تعود الى طنطا مباشرة . لا تقل لاحد انك ستقضى هذه الايام فى القاهرة فأخشى ما أخشاه ان يشغلك عنى انسان ولو خمس دقائق تشرب معه فيها فنجانا من القهوة .
سأننظرك ... ولست أنا وحدى التى ستنتظرك ... ان كل شىء حولى ينتظرك ... حتى هذا الصمت المطبق الذى يكتنف مخدعى الان ، يخيل الى انه هو الاخر يتهيأ من الان . لترجيع صدى انغامك . ورنين قبلاتك وانت تطبعها على شفتى بمهارة وشغف .
وانى أن نلتقى أرجو أن أنهم الصبر .

« حسنية »

**« ولما أن فرغت من هذه الرسالة الثانية ، واعادت تلاوتها واطمانت الى كل حرف فيها تناولت كاسا واشعلت لفافة ومن ثم تناولت القلم وراحت تكتب الثالثة »**

زوجى العزيز .. حامد .

.. أنا لاظن ان فى الوجود امرأة شقية مثلى ... وأى شقاء يبلغ شقاء زوجة تحب زوجها كل هذا الحب . وتوليه كل هذا الاخلاص ومع ذلك يكتب لها ان تعيش بعيدة عنه . لا تكاد تراه فى الشهر مرة .. ولا حتى فى العام مرات . لوان ذلك الوزير او الكبير الذى خط بيده امر نقلك الى بنى سويف يعلم انه بهذا النقل قد قتل قلبا ، ويتم جسدا ، واحرق فؤادا وكان قلبه قد من حجر ، لما عاد والغى امره فحسب وانما قضى حياته يكفر عن خطيئته .. ومن يدرى ربما يحاسبه الله ، ونكون نه زوجة تشقى مثل شقائى ، ولكن لا ... لا يا حامد ، لانه ليس فى الوجود الزوجة التى تحب زوجها كحبى أكتب اليك والساعة قد بلغت الرابعة صباحا وأنا ما أزال



www.alkottob.com

في مكانى من الشيزلونج بجوار السرير ·· السرير ·· السرير الذى لم يعله جسدى من يوم ان فارقتنى وكيف اعلوه وقد تحول ـ بعدك ـ فراشه الدافىء انوثير الى ثلج مخيف · الى شوك كأنه النار ·· لذلك فأنا أنام من يوم ان فارقتنى فى مكانى هذا من الشيزلونج لم اغيره ·· وكيف أغيره كيف ·· كيف ·· ؟

لا تندهش اذا كان خطى هذه المرة مشوها غير مقروء ،فقد انشغلت بالدموع وتجفيفها عن الرسالة وحروفها وكيف لا أذرف الدموع كيف ·· لنا الله يا حامد ·· اجل لنا الله يا حبيبى :

··· ولله تلك الليالى التى تقضيها بعيدا وحيدا فى ذلك البلد النائى ··· ولله أيضا تلك الدموع تذرفها عيناى كلما برح بى انشوق الى طلعتك ·

لا تكتب الى قبل نهاية الاسبوع ، فسأسافر صباح الثلاثاء الى المنصورة لاعودأمى المريضة هناك · ثم أعود صباح السبت ترى هل ستموت أمى كما مات أبى منذ اعوام · ؟ ترى هل سأفقد كل من لى فى هذه الدنيا ؟؟

··· ليت ذلك يكون على شريطة ان تبقى لى انت ···

وصلتنى رسالتك وفيها ثلاثون جنيها · وقد انفقتها عن آخرها فى أجر المسكن وحاجيات البيت · ولكن ثق اننى لسته فى حاجة الى نقود ·

وماذا اعمل بها ·

أننى أريد ···

أريد ·· ؟ اريد ماذا ··· ؟

أريدك بجانبى يا حامد ·

زوجتك

« حسنية »

**ولما خلصت من رسائلها الثلاث وأوت الى السرير · وغاصت فى دثره كان الليل قد أدبر · والنهار قد اقبل · وكانت الزجاجة قد فرغت واللفائف قد احترقت ·**

**أما الرسائل الثلاث · فقد كانت فى طريقها · تجد غير هازلة لتروى أنباء يوم الثلاثاء ·**



www.alkottob.com

## فهـــرس


سارق الأوهام .. ١٠

صراع الى الأبد .. ٢١

الحاكم الصغير .. ٣٤

رسائل لم تتم .. ٤٧

يا حبيبى .. .. .. ٦٣

نهار الصباحية .. ٧١

الست النـاظرة .. ٧٩

رسالة الى السماء.. ٨٧

زوجتى .. .. .. .. ٩٥

حامـلة الأسرار .. ١٠٥

اذا جاء الليـل .. ١١٣

امراة فى حياتى .. ١٢٥

قرية العشـاق .. ١٣٥

ست البنـات .. ١٥١

جسـد يتيم .. ١٦٣

يوم الثـلاثاء .. ١٧١


www.alkottob.com

# حديث الشهر

## هذا الادب

قد تعود ان يكون فى هذا البلد سلبيا ، لا ايجابيا وان يقوم بدور التابع لا القائد وان تحركه الاحداث ولا يحرك هو الاحداث . فالادباء يقفون منها موقف المشاهد المتخوف مطبقى الشفاه مكبلى الاقلام ، يخشون كل من هب ودب من الحكام والشعب

لقد راينا الادباء فى فرنسا وفى غيرها يحولون دفة التاريخ ويوجهون الاحداث ويقولون للحكام والناس هذا يجب وهذا لايجب ويخرجون مافى صدورهم طليقا حرا . اما هنا فنحن ننتظر حتى تحدث الواقعة وحتى يستبين اتجاه الريح ثم ننطلق فى الركب

اذكر ذات مرة انى جلست فى بيت العقاد وكان عائدا من بعثة الحج فى الحجاز وانطلق يتحدث عن اشياء تقشعر لها الابدان فدهشت وقلت له لم لا تكتب هذا

فلم ينطق ولم يكتب

والعقاد فيما أعلم اجرأ أدبائنا فاذا كان هو قد خشى الحرج وخاف ان يكتب لينقد ما يراه فاسدا فى احدى النواحى التى رآها رأى العين تري ماذا يكون حال بقية الادباء .

نريد ان تقرأ القصص التى تزلزل ركنا والمسرحيات التى تقوض بنيانا

ايها الادباء سيروا بالركب ولا تسيروا فيه

« يوسف السباعى »

www.alkottob.com

www.alkottob.com